



الجمهورية الإسلامية الإيرانية

مجلس الشورى الإسلامي

١٨٠

مُعِينُ الْخُطْبَاءِ

(في جلسته الجديدة)

مُحَاضِرَاتُ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ

تأليف

الشيخ كاظم التبريزي

الجزء الخامس

الإشراف العلمي

مؤسسة الأئمة

للأئمة العظماء في عصر النهضة الإسلامية

الطبعة ٧٠

مُعِينُ الْخَطْبَاءِ

(فِي مُجَلَّتِهِ الْجَدِيدَةِ)

مُحَاضِرَاتُ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْإِخْلَاقِ

بطاقة فهرسة

مصدر الفهرسة: IQ- KaPLI rda IQ - KaPLI ara

رقم تصنيف: LC: BP260.4.B34 2017

المؤلف الشخصي: البهادلي، كاظم. مؤلف.

العنوان: معين الخطباء.. في حلته الجديدة: محاضرات في العقيدة والأخلاق.

بيان المسؤولية: تأليف: كاظم البهادلي.

بيانات الطبعة: الطبعة الثانية.

بيانات النشر: النجف، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤسسة

وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م.

الوصف المادي: ٥ مجلد، ٢٤ سم.

سلسلة النشر: مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية.

تبصرة بليوغرافية: يتضمن ارجاعات بليوغرافية.

مصطلح موضوعي: الخطب الدينية الإسلامية (شيعة).

مصطلح موضوعي: الوعظ والإرشاد.

مصطلح موضوعي: عقائد الشيعة الإمامية.

مصطلح موضوعي: الأخلاق الإسلامية - الشيعة الإمامية.

مصطلح موضوعي: المآتم الحسيني ومجالس العزاء.

مصطلح موضوعي: المآتم الحسيني ومجالس العزاء.

اسم هيئة إضافي: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤسسة وارث الأنبياء

للدراستات التخصصية في النهضة الحسينية - جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٣١٨) لسنة (٢٠١٧ م)

مُعِينُ الْخُطْبَاءِ

(فِي حُلَّتِهِ الْجَدِيدَةِ)

مُحَاضِرَاتٌ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْأَخْلَاقِ

تَأليف

الشيخ كاظم الزهرايي

الجزء الخامس

الإشراف العلمي

مؤسسة دار الشريعة

للدراسات التخصصية في النهضة الإسلامية



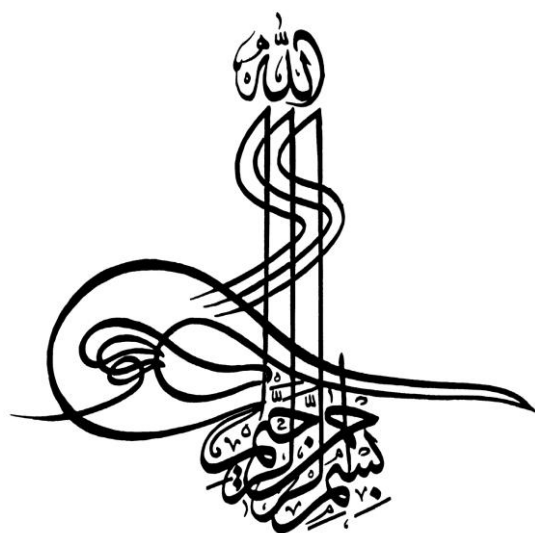
جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الثانية

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

إصدار

مؤسسة وارث الأئمة
للدراسات التخصصية النهضة الحسينية



هوية الكتاب

معين الخطباء.. في حلّته الجديدة: الجزء الخامس

الشيخ كاظم البهادلي

اللجنة العلمية في مؤسسة وارث الأنبياء

حسين المالكي

الثانية

دار المؤمن

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

١٠٠٠

• عنوان الكتاب

• المؤلف

• الإشراف العلمي

• الإخراج الفني

• الطبعة

• المطبعة

• سنة الطبع

• عدد النسخ

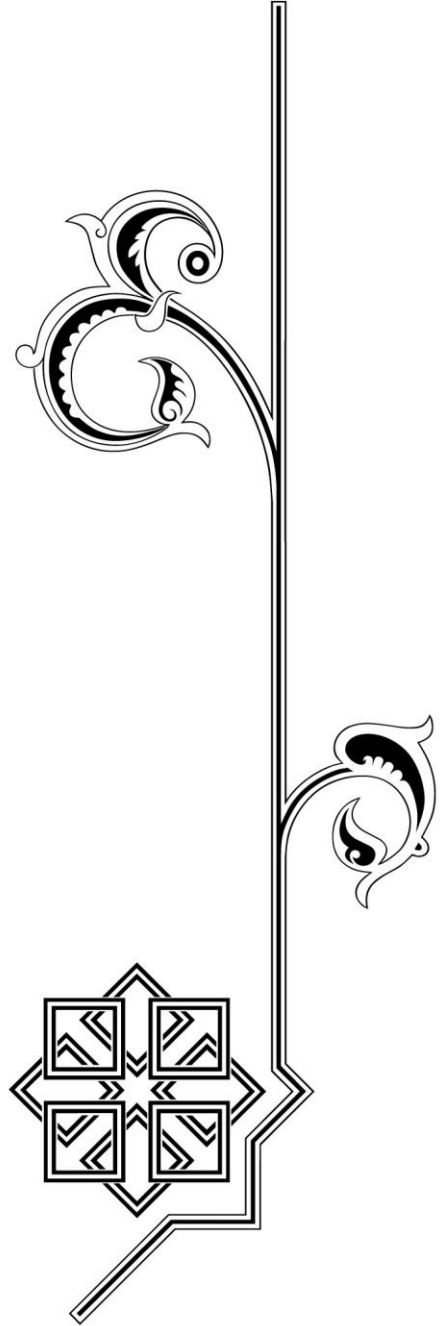
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أكرمنا بسيد أنبيائه وأشرف أصفیائه، مُحَمَّدٍ والنُّجباءِ من عترته وأوصیائه، حجج الله في أرضه وسماؤه، صلوات الله عليه وعليهم ما استنارت بحبيهم قلوبُ أحبائه، وانشرحَتْ بولائهم صدور أوليائه.

وبعد، هذا هو الجزء الخامس من كتابي (مُعِين الخطباء.. في حلّته الجديدة).

الحاضرة الأولى

شهر الله



روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه سيد الشهداء الحسين بن علي، عن أبيه سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطبنا ذات يوم فقال: أيُّها الناس، إنَّه قد أُقبلَ إليكم شهرُ الله بالبركةِ والرَّحمةِ والمغفرةِ، شهرٌ هو عندَ الله أفضلُ الشهور، وأيامه أفضلُ الأيام، ولياليه أفضلُ الليالي، وساعاته أفضلُ الساعات، هو شهرٌ دُعِيتُم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفأسُكم فيه تسبيح، ونومُكم فيه عبادة، وعملُكم فيه مقبول، ودعاؤُكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربَّكم بِنِياتٍ صادقة، وقلوبٍ طاهرة، أن يوفِّقكم لصيامه وتلاوة كتابه؛ فإنَّ الشقي من حُرِم من غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعِكم وعطشِكم فيه جوعَ يومِ القيامةِ وعطشه...»^(١).

جملة من الأسئلة تلوح في أفق العقل السليم بمجرد أن يشرف عليه هذا الشهر الفضيل، والسؤال الأول هو: كيف نستثمر هذا الشهر المبارك؟

والجواب عن السؤال يتوقَّف على معرفتنا للظرف الذي نحن فيه؛ فإذا لم نعرف أين نحن؟ فلن ننتفع؛ لأنَّ الانتفاع من الشيء فرع معرفته ومعرفة قابلياته وإمكاناته؛ فلذا تجد أنَّ الإنسان الذي لا يعرف الشيء وقيمته يتساهل ويتهاون في الحفاظ عليه، بل قد يبيعه بثمنٍ بخس، كما حصل في قصة بيع نبيِّ الله يوسف الصديق عليه السلام، وبقي من باعه

(١) فضائل الأشهر الثلاثة: ص ٧٧، ح ٦١.

بحسرة لا تفارقه بعد أن عرف مَنْ هو المباع.

وفي التاريخ الحديث يُذكر أنّه: باع جورج هاريشن - من جنوب أفريقيا - مزرعته إلى شركة تنقيب بعشرة جنيهات فقط؛ لعدم صلاحيتها للزراعة، وحين شرعت الشركة في استغلالها، اكتشفت بها أكبر منجم للذهب على الإطلاق، أصبح بعدها هذا المنجم مسؤولاً عن ٧٠٪ من إنتاج الذهب في العالم^(١).

وفينا أملاه إمامنا أبو عبد الله الصادق عليه السلام على المفضل بن عمر أن قال له: «اعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة، واعلم أنّ في أدمغة الأطفال رطوبة، إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلة وعللاً عظيمة، من ذهاب البصر وغيره، والبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم. أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان ليسكتانه ويتوخيان في الأمور مرضاته لئلا يبكي، وهما لا يعلمان أنّ البكاء أصلح له وأجمل عاقبة. فهكذا يجوز أن في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنّه لا منفعة فيه، من أجل أنّهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه، فإنّ كلّ ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون، وكثيراً ما يقصر عنه على المخلوقين محيط به علم الخالق جلّ قدسه وعلت كلمته»^(٢).

فجهل الإنسان بالشيء يجعله لا ينتفع به، بل ويسيء استخدامه، ويكون في عالم آخر، كما يحصل الآن في قضية الهلال، فنحن نلج الآن للشهر الفضيل وأكبر مشكلة تواجهنا في هذا الشهر الفضيل هي عدم معرفة هذا الشهر بما ينبغي، وبالتالي عدم

(١) أنظر الموقع الإلكتروني التالي: Ibdoo.Com. (أخطاء تاريخية لا تنسى).

(٢) توحيد المفضل بن عمر الجعفي: ص ١٧.

الاستفادة منه فكأننا في وادٍ وشهر رمضان في وادٍ آخر.

لكن عندما نقرأ هذه الرواية الشريفة نعرف ما هو معنى شهر رمضان؟ روى الشيخ الصدوق رحمته الله بسنده عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «سمعت أفضل الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّين يقول: إنَّ سيّد الوصيين يقتل في سيّد الشهور. فقلت: يا رسول الله، وما سيّد الشهور؟ ومن سيّد الوصيين؟ قال: أما سيّد الشهور فشهر رمضان، وأما سيّد الوصيين فانت»^(١).

وأنّه الشهر الذي أنزلت فيه الكتب السماوية، فعن النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله أنه قال: «أنزلت صحف إبراهيم ثلاث مضيّن من شهر رمضان... وأنزلت توراة موسى لستّ مضيّن من شهر رمضان، وأنزل إنجيل عيسى ثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل زبور داود لثمان عشرة ليلة مضت من رمضان، وأنزل الفرقان على محمّد لأربع وعشرين من شهر رمضان»^(٢).

الصوم تكليفٌ وتشريف

فالصوم - مع أنّه تكليف شرعيّ - يعدّ تشريفاً من الله عزّ وجلّ لعباده، وهذا يوجب الشكر؛ إذ أصبحوا موضع خطاب الله تعالى وندائه، ومحلّ تكليفه ودعوته: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣)، وأيّ شرف عظيم للإنسان أن تتوجّه إليه العناية الربّانية فتدعوه إلى ضيافته الخاصّة، ووفادته المكرّمة! وأيّة كرامة له - إذا كان مؤمناً - أن يُخصّ بالنداء الشريف كي ينهض بتكليف أعد

(١) فضائل الأشهر الثلاثة: ص ١١٠، ضمن حديث ١٠١.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ٢، ص ١٤.

(٣) البقرة: آية ١٨٣.

بعده الخير والسعادة والإكرام!

نحن في أعرفنا ندرك هذا المعنى، فلو جاء كبير قوم بأي نحو من التقدم وخصك من دون الناس فطلب منك أن تأتيه بالماء، فإن هذا يشعرك بالفخر؛ لأنه خصك في ذلك، في حين لو طلب الماء منك من هو دونك لاعتبرتها إهانة، فالنبي الأكرم ﷺ يقول عن شهر رمضان بأنه: «شهر دُعيتُم فيه إلى ضيافة الله، وجُعِلتم فيه من أهل كرامة الله». وينبغي الإشارة إلى أن هذه الضيافة تعدّ خاصية من الخصائص التي يختص بها شهر رمضان، وميزة يمتاز بها على بقية الشهور، وكذا شهر الحج وموسمه.

أركان الضيافة

وكل ضيافة لها ثلاثة أطراف أو أركان: مضيّف ومائدة وضيف.

الركن الأول: المضيف

مَنْ هُوَ الْمُضَيِّفُ؟ المضيف لا تنفذ خزائنه، ولا ينتهي كرمه، وأنه باسط جوده على الخلق أجمعين، فضلاً عن المؤمنين، فلذا نقرأ في الدعاء الذي يقرأه المؤمنون كل يوم: «الحمد لله الفاشي في الخلق أمره وحمده، الظاهر بالكرم مجده، الباسط بالجود يده، الذي لا تنقص خزائنه، ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، إنه هو العزيز الوهاب... فصرت أدعوك آمناً، وأسألك مستأنساً، لا خائفاً ولا وجلاً، مدلاً عليك فيما قصدت فيه إليك، فإن أبطأ عني عتبتُ بجهلي عليك، ولعل الذي أبطأ عني، هو خير لي؛ لعلّك بعاقبة الأمور، فلم أر مولئ كريماً أصبر على عبدٍ لئيم منك عليّ، يا ربّ إنك تدعوني فأولّي عنك، وتحبب إليّ فأتبغض إليك، وتتودد إليّ فلا أقبل منك، كأنّ لي التطوّل عليك، فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي... الحمد لله الذي يُجيبني حين أناديه، ويسرّ عليّ كلّ عورة وأنا أعصيه، ويُعظّم النعمة عليّ فلا أُجازيه، فكَم من موهبة هنيئة قد أعطاني، وعظيمة مخوفة قد كفاني، وبهجة

مُونَقَّةٌ قَدْ أَرَانِي...»^(١).

الركن الثاني: المائدة

مائدة للروح بالدرجة الأولى، وكلّها كرم وعطاء؛ لأنّها من الكريم المطلق، فنحن نرى الكريم من الناس يبالغ في إكرام ضيفه وإتحافه بلذيذ الطعام والشراب، فكيف تكون ضيافة أكرم الأكرمين؟!

والجدير بالذكر أنّها ضيافة مختلفة؛ لأنّها تتقوّم بمنع ضيفه من الطعام والشراب، فالباري جلّ شأنه، كأنّه يقول لعبده: بأنّ ضيافتي لك في هذا الشهر ليست كضيافة البشر بالطعام والشراب فهما لا قيمة لهما، وإنّما هي ضيافة للروح والعقل والضمير وكلّ الذات، ولذلك لا يفهم هذه الضيافة إلّا مَنْ كان عنده احترام لذاته، ويميّز نفسه عن الحيوانات، أمّا مَنْ كان لا يرى فرقاً بينه وبين الحيوان، فهو لا يعرف عن أي شيء نتحدّث!!

ومن المؤلم جداً أنّ البعض يدرك الأمور ناقصة، فيعتقد بأنّ الصوم إنّما هو امتناع عن الأكل والشرب فقط، وبالتالي لا يحصل على شيء من هذه الضيافة الإلهية، بل يخرج منها جائعاً عطشاناً.

يقول الملكي التبريزي رحمته الله: «إنّك تعلم بالعلم القطعيّ وجه اختيار الله لضيفه الجوع لأنّه لا نعمة أنعم وأسنى من نعمة المعرفة والقرب واللّقاء، والجوع من أسبابها القرية. وتعلم أنّ الصوم ليس تكليفاً، بل تشريف يوجب شكراً بحسبه، وترى أنّ المنّة لله تعالى في إيجابه، وتعرف مكانة نداء الله لك في كتابه في آية الصوم وتلتدّ من النداء إذا علمت أنّه نداء ودعوة لك لدار الوصول، وتعلم أنّ الحكمة في تشريعه قلة الأكل وتضعيف القوى،

(١) مقطع من دعاء الافتتاح، أنظر: مصباح المتهجّد: ص ٥٧٨.

وتظنّ أن تأكل في الليل ما تركته في النهار، بل وأزيد»^(١).

فالعاقل هو مَنْ يعرف ويدرك الفرق بين ضيافة الله وضيافة بعض القنوات الفضائية، إنّ القنوات الفضائية قبل حلول شهر رمضان تعرض لنا تلك البرامج والقصص والمسلسلات، التي سوف تُعرض في شهر رمضان المبارك!! والنبِيُّ الأعظم ﷺ في آخر جمعة من شهر شعبان عرض علينا عرضاً فأُتيهم نريد وبأيّهم نأخذ؟ النبي الأكرم ﷺ عرض لنا الضيافة الإلهية، بينما القنوات عرضت لنا ضيافة اللهو والأفلام الضارة، النبي الأكرم ﷺ قال: «أنفاسكم فيه تسبيح»، القنوات تقول: أنفاسكم فيه آهات وحسرات على الدنيا وما فات فيها، النبي الأكرم ﷺ قال: «أقرأوا القرآن»، لكن القنوات قالت: اسمعوا الغناء. النبي الأكرم ﷺ قال: «ارحموا اليتامى والمساكين»، والقنوات تقول: اعطنا أموالك ووقتك بمسجات واتصالات ومسابقات. النبي الأكرم ﷺ قال: «غَضُوا عَمَّا لَا يَحِلُّ النظر إليه أَبْصَارَكُمْ». بينما القنوات تتعمّد أن تجعل نظري على الحرام، فأنت بين النبي العظيم ﷺ وبين القنوات! وهنا تظهر حقيقة الطاعة، ولذا لَمَّا سألَه باب مدينة العلم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن أفضل أعمال هذا الشهر؟ قال ﷺ: «الورع عن محارم الله».

الركن الثالث: الضيف

إذا اجتمعت الأركان الثلاثة تتحقق الضيافة ويتمّ المطلوب، والركنان الأولان موجودان لا نخشى فقدهما، وكلّ المعادلة متوقفة على الركن الثالث (الضيف) وهو نحن المكلفون، فإنّا مدعوون لأن نكون ضيوف الرحمن، فإذا قمنا بما طُلب منّا من صوم وصلاة وتهجّد وعبادة فحينها نكون ضيوفاً حقيقيين، ونكون قد قبلنا الدعوة وليّيناها،

(١) المراقبات: ص ١٥٧.

وإذا لم نتفاعل مع الشهر، ولم نلتزم بما أمرنا به، نكون قد رفضنا الدعوة، وبالتالي نخسر هذه الضيافة الكريمة من رب العالمين.

وباختصار الضيف هو المستجيب لأمر الله تعالى ودعوته لقبول الضيافة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١)، فالذي يخرج بغنيمة هذا الشهر الفضيل هو من ينال الجائزة التي تُعطى في آخر هذا الشهر المبارك، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: قال النبي ﷺ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ شَوَّالٍ نَادَى مُنَادٍ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ اغْدُوا إِلَى جَوَائِزِكُمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِرُ، جَوَائِزُ اللَّهِ لَيْسَتْ بِجَوَائِزِ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ، ثُمَّ قَالَ هُوَ يَوْمُ الْجَوَائِزِ»^(٢)؛ ولذا يقرأ المؤمنون الدعاء الذي يُستحب أن يُدعى به، عقيب الشفع: «إلهي، تعرّض لك في هذا الليل المتعرّضون، وقصدك فيه القاصدون، وأمل فضلك ومعروفك الطالبون، ولك في هذا الليل نفحات وجوائز وعطايا ومواهب تمنّ بها على من تشاء من عبادك، وتمنعها من لم تسبق له العناية منك»^(٣)، ونحن نتعرّض في هذا الشهر ولياليه لهذه الجوائز والعطايا، ونعطى - إن شاء الله تعالى - ذلك بالتفضّل لا بالاستحقاق، نسأل الله تعالى القبول، ومن أفضل ما نستجلب به الجوائز والعطايا هو ذكر سيّد الشهداء، المظلوم العطشان، نذكره عندما نعطش ونجوع؛ فإنه عليه السلام قُتل عطشاناً جائعاً^(٤)، ورحم الله دعبل الخزاعي، حيث يقول:

(١) الأنفال: آية ٢٤.

(٢) الكافي: ج ٤، ص ١٦٨، ح ٣.

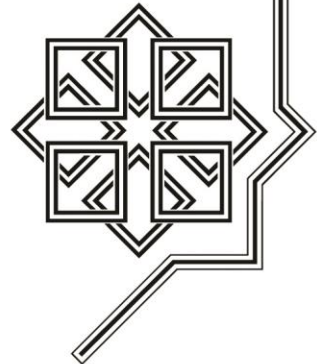
(٣) مصباح المتهجّد: ص ١٥٢.

(٤) أنظر: كامل الزيارات: ص ٢٥٢، ح ٣، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إِذَا أُرِدَتْ زِيَارَةُ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَزِرْهُ وَأَنْتَ كَتِيبُ حَزِينٍ مَكْرُوبٍ، شَعْتُ مَغْبَرٍ، جَائِعٍ عَطْشَانٍ، فَإِنَّ الْحُسَيْنَ قُتِلَ حَزِيناً مَكْرُوباً شَعْتاً مَغْبَرًا جَائِعًا عَطْشَانًا».

أَفَاطِمُ لَوْ خَلَّتِ الْحُسَيْنَ مَجْدَلًا وَقَدْ مَاتَ عَطْشَانًا بِشَطِ فِرَاتٍ
إِذْنٌ لِلطَّمْتِ الْخَدَّ فَاطِمٌ عِنْدَهُ وَأُجْرِيَتْ دَمْعُ الْعَيْنِ فِي الْوَجْنَاتِ
أَفَاطِمُ قَوْمِي يَا بِنْتَ الْخَيْرِ وَانْدَبِي نَجُومَ سَمَاوَاتٍ بِأَرْضِ فِلَاةٍ^(١).

المحاضرة الثانية

وظائف الرسول الأكرم ﷺ



قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

لقد صرّح القرآن الكريم نفسه بأن بعثة الأنبياء والمرسلين لأجل تنبيه الناس على المخزون الفطري الذي عندهم وأودع في فطرتهم، حيث يقول: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^(٢).

وفي هذه الآية يدور الحديث حول أكبر النعم الإلهية، ألا وهي نعمة بعثة الرسول الأكرم والنبى الخاتم محمد ﷺ، وهو في الحقيقة إجابة قويّة على التساؤل الذي خالج بعض الأذهان من حديثي العهد بالإسلام بعد (معركة أحد)، وهو: لماذا لحق بنا ما لحق؟ ولماذا أصبنا بما أصبنا به؟

فيجيهم القرآن الكريم بقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾، أي: إذا كنتم قد تحمّلتم كلّ هذه الخسائر، وأصبتم بكلّ هذه المصائب، فإنّ عليكم أن لا تنسوا أنّ الله قد أنعم عليكم بأكثر نعمة، ألا وهي بعثه نبياً يقوم بهدايتكم وتربيتكم، وينقذكم من الضلالات، وينجيكم من المتهاتات، فمهما تحمّلتم في سبيل الحفاظ على هذه النعمة العظمى والموهبة الكبرى، ومهما كلّفكم ذلك من ثمن فهو ضئيلٌ إلى جانبها، وحقيرٌ بالنسبة إليها.

(١) آل عمران: آية ١٦٤.

(٢) الأنعام: آية ٤٤.

والجدير بالاهتمام - في المقام - هو أنَّ هذه النعمة قد شُرِّعَ ذكرها بكلمة (مَنْ) التي قد لا تبدو جميلةً ولا مستحسنةً في بادئ الأمر، ولكننا عندما نراجع مادة هذه اللفظة وأصلها اللغوي يتَّضح لنا الأمر غاية الوضوح.

وتوضيحه هو: أنَّ (مَنْ) - كما ذكر الراغب في مفرداته - ما يوزن به؛ ولذلك أطلق على النعمة الثقيلة: المنَّة، ويقال ذلك إذا كان ذلك بالفعل، فيقال: مَنْ فلان على فلان، إذا أثقله بالنعمة الجميلة الثمينة، وهو حسن لا بأس فيه^(١)، أمَّا إذا عظم أحد - في القول والادِّعاء - ما قام به من حقير الخدمات والأفعال والصنائع فهو في غاية القبح، وعلى هذا فإنَّ مَنْ المُستَقْبَح هو الذي يكون استعظماً للصنائع والنعم في القول، أمَّا المنَّة المستحسنة فهي بذل النعم الكبرى والصنائع العظيمة.

أمَّا تخصيص المؤمنين بالذكر في هذه الآية في حين أنَّ الهدف من بعثة النبي ﷺ هو هداية عموم البشر؛ فلأنَّ المؤمنين هم الذين سيستفيدون - بالنتيجة والمآل - من هذه النعمة العظمى فهم الذين يستأثرون بآثارها عملاً دون غيرهم.

ثم إنَّ الله سبحانه يقول واصفاً مهمات هذا النبي العظيم: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^{(٢)(٣)}.

لماذا من أنفسهم؟

ثم إنَّ الله سبحانه يقول: ﴿مَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، وهذه إحدى مميزات هذا النبي ﷺ، وأهم ما جاء من ﴿مَنْ﴾ هو أنَّه من نفس الجنس والنوع البشري، لا من جنس الملائكة وما

(١) أنظر: مفردات غريب القرآن: ص ٧٧٧.

(٢) آل عمران: آية ١٦٤.

(٣) أنظر: تفسير الأمل: ج ٢، ص ٧٦٧.

شابهها؛ وذلك لكي يدرك كل احتياجات البشر بصورة دقيقة، ولا يكون غريباً عنها، غير عارف بها، وحتى يلمس آلام الإنسان وآماله، ومشكلاته ومصائبه، ومتطلبات الحياة ومسائلها، ثم يقوم بما يجب أن يقوم به من التربية والتوجيه على ضوء هذه المعرفة.

وهكذا كانت رسالة الأنبياء ومهمتهم تتعطل وتفقد تأثيرها، ولا تحقق أغراضها؛ ولهذا أختير الأنبياء من جنس البشر ومن فصيلة الإنسان بغرائزه، واحتياجاته؛ ليتمكن أن يكونوا أسوة لغيرهم من البشر، وقدوة لسواهم من بني الإنسان^(١).

وذكر الشيخ الشيخ الطوسي رحمه الله ثلاثة أقوال في الجواب على هذا التساؤل:

القول الأول: ﴿مَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾؛ ليكون ذلك شرفاً لهم، فيكون ذلك داعياً لهم إلى الإيمان.

القول الثاني: ﴿مَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾؛ لسهولة تعلم الحكمة عليهم؛ لأنه بلسانهم.

القول الثالث: ﴿مَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾؛ ليتيسر عليهم علم أحواله من الصدق والأمانة والعفة والطهارة^(٢).

ما معنى كون النبي أمي؟

يرد سؤال في غاية الأهمية وهو: هل كان رسول الله ﷺ لا يعرف القراءة والكتابة، أو كان يعرفهما، أو أنه لا يعرفهما في أول بعثته ثم عرفهما؟

الجواب: إن صريح الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(٣)، نصت على أنه أمي،

(١) أنظر: المصدر السابق.

(٢) أنظر: التبيان: ج ٣، ص ٣٩.

(٣) الأعراف: آية ١٥٧.

ومعنى ذلك: أي لو كنت تقرأ وتكتب كتاباً لقالوا: إنَّما جمعه من كتب الأولين، وليس حياً من الله عزَّ وجلَّ وشكَّوا في نبوتك، أمَّا إذا كنت لا تقدر على القراءة والكتابة وأنت تعيش فيما بينهم، وبمرأى منهم ومسمع، وهم مطلَّعون على أمَّيتك فلا مجال لهم للارتباب والشكَّ في الكتاب الذي تأتِيهم به من عند الله عزَّ وجلَّ، ولكان لا بدَّ لهم من تصديقك والقبول منك^(١).

وروي عن جعفر بن محمد الصوفي، قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام محمد بن علي الرضا عليه السلام، وقلت له: يا بن رسول الله، لم سُمِّي النبيُّ الأمِّي؟ قال: ما يقول الناس؟ قال: قلت له: جُعِلَ فداك يزعمون إنَّما سُمِّي النبيُّ الأمِّي لأنَّه لم يكتب. فقال: كذبوا (عليهم لعنة الله) أتَى يكون ذلك، والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن؟ والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنين وسبعين أو بثلاثة وسبعين لساناً، وإنَّما سُمِّي الأمِّي لأنَّه كان من أهل مكَّة، ومكَّة من أمَّهات القرى، وذلك قول الله تعالى في كتابه: ﴿لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٣)»^(٤).

وقال الشيخ المازندراني رحمه الله: «والأمِّي بالنظر إلى نفسه؛ لأنَّه منسوب إلى أمِّه، أي: هو كما خرج من بطن أمِّه لا يقرأ ولا يكتب»^(٥).

(١) أنظر: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه: ص ١٣٢.

(٢) الجمعة: آية ١٥٧.

(٣) الشورى: آية ١٥٧.

(٤) بصائر الدرجات: ص ٢٥٥.

(٥) شرح أصول الكافي: ج ٥، ص ١٧٨.

وفي موضع آخر قال أيضاً: «أي المنسوب إلى أم القرى وهي مكة، أو أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ؛ لعلمه بما فيه، أو إلى الأم في أصل ولادته، لم يقرأ ولم يدرس ولم يكتب، وهو من أوصاف كماله؛ لدلالته أن كماله التي تُعجز عقول البشر عن الإحاطة بها كانت من فيض الحق، لا من جهة الاكتساب»^(١).

وظائف النبي الأكرم ﷺ

أشارت الآية الشريفة إلى وظائف ثلاثة:

الوظيفة الأولى: تلاوة آيات الله على مسامعهم

وقد تحمّل رسول الله ﷺ ما تحمّل في هذا المجال، حتى أن القوم ما كانوا ليدعوا رسول الله يقرأ القرآن على مسامع الناس، كما بين لنا القرآن ذلك، حيث يقول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْافِ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، فكان طريقهم الذي يتصورون به الغلبة هو أن لا يتركوا المجال لرسول الله ﷺ في بيان أهدافه ودينه الجديد الذي يسحق جاهليتهم وأصنامهم.

قال الشيخ الطوسي رحمه الله: «حكى الله تعالى عن الكفار أنهم يقول بعضهم لبعض: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾، الذي يقرؤه محمد ﷺ ولا تصغوا إليه، ﴿وَالْغَوْافِ بِهِ﴾ لكي تغلبوه، ويجوز أن تغلبوه، فاللغو هو الكلام الذي لا معنى له يُستفاد، وإلغاء الكلمة إسقاط عملها... وقال مجاهد: قالوا خلطوا عليهم القول بالمكاء والصفير، وقال غيره: هو الضجيج والصياح»^(٣).

(١) المصدر السابق: ج ١١، ص ٣٠٧.

(٢) فصلت: آية ٢٦.

(٣) التبيان: ج ٩، ص ١٢٢.

وقال الشيخ الطبرسي رحمته الله: «فربما صفّروا، وربما صفّقوا، وربما لغطوا ليغلطوا النبي صلّى الله عليه وآله، فأنزل الله تعالى هذه الحروف حتى إذا سمعوا شيئاً غريباً، استمعوا إليه، وتفكّروا واشتغلوا عن تغليطه، فيقع القرآن في مسامعهم، ويكون ذلك سبباً موصلاً لهم إلى درك منافعهم»^(١).

وتمت وظيفة النبي على أحسن وجه بعد مشقّة وعناء كبيرين تعرّض لهما الرسول الخاتم صلّى الله عليه وآله.

الوظيفة الثانية: تطبيق ما يتلوّه عملياً لهم لكي يتأسّوا به صلّى الله عليه وآله

وكان صلّى الله عليه وآله يصرّح بأنّ ما يأمرهم به يقودهم إلى الجنّة، وما ينهاهم عنه يسوقهم إلى النار إن ارتكبه، كما قال صلّى الله عليه وآله: «أيّها الناس، إني لم أدع شيئاً يقربكم إلى الجنّة ويباعدكم من النار إلّا وقد نبأتكم به»^(٢).

فإن تكلم في الصبر جرّبوه واختبروه، فوجوده كما وصفه خالقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

وإن أرادوا منه التواضع وجدوه آيته الباهرة، وكنوزه الظاهرة، ولهذه المعاني قصص وعبر يطول المقام بذكرها.

الوظيفة الثالثة: تركية نفوسهم بعد تخليتها من الصفات الرذيلة والأخلاق السيئة

من الأهداف الأصلية لبعثة الأنبياء، ومنهم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى صلّى الله عليه وآله، تركية النفوس وتربية الناس على أن ينهجوا الأخلاق الحسنة حتى أن تعليم

(١) مجمع البيان: ج ١، ص ٧٦.

(٢) الكافي: ج ٥، ص ٨٣، ح ١١.

(٣) القلم: آية ٤.

قراءة القرآن بشكلها الصحيح تُعدُّ عند العلماء مقدّمةً مُوصلةً لتزكية النفوس وتربية الناس، وهو صريح قوله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

فبقوله (أتمم) إشارة مهمة إلى أن الأخلاق هي مهمّة جميع الأنبياء والمرسلين، وتماهما بشريعة النبي الخاتم ﷺ، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٢).

وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على أهميّة الأخلاق في نظر المُشرِّع وقد تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم، حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٣).

وهذه المعاني العظيمة التي منَّ الله علينا بها ببعثه النبي هي الرّحمة التي يُصرِّح بها القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَكِيدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤).

فالوظيفة الثالثة تخلّيتهم من الأخلاق الرذيلة التي اعتادها القوم في أيام الجاهلية الجاهلاء، وتخلّيتهم وتزكّيتهم بالصفات الحميدة، وهذه العملية يُعبّر عنها اليوم: (بالتخلية والتخلية)، التخلية من الرذائل والتخلية بالمحاسن، وبه تمّ الإخراج من الظلمات إلى النور، ومن شفا جرف الهلكات، كما أشارت إليه ابنته الصديقة الشهيذة فاطمة الزهراء عليها السلام، حيث قالت: «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطأ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد، أذلة خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله برسوله ﷺ بعد اللّتيا والتي، وبعد

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢١٠.

(٢) الأحزاب: آية ٤٠.

(٣) الجمعة: آية ٢.

(٤) الأنبياء: آية ١٠٦-١٠٧.

أَنْ تُنِي بِهِمُ الرِّجَالُ، وَذُؤْبَانُ الْعَرَبِ...»^(١).

وهذا المعنى هو ما ختمت به الآية الشريفة حيث تقول: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢)، كما صرّح أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً بهذا المعنى، حيث يقول: «وأنتم معشر العرب على شرّ دين، وفي شرّ دار، متنخون بين حجارة خشن وحيات صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام فيكم معصوبة»^(٣).

وبقيت هذه الآثام وتلك الأصنام في صدور قوم أبرزوها في أهل بيت رسول الله ﷺ، أبرزوها بالقتل والتنكيل والتهجير.

بَعْضُ بَطِيئَةٍ مَدْفُونٌ وَبَعْضُهُمْ
بِكَرْبَلَاءَ وَبَعْضٌ بِالْغَرِينِ^(٤).
وقال الشاعر الآخر:

تَبَّأْهُمْ مِنْ أُمَّةٍ لَمْ يَحْفَظُوا
عَهْدَ النَّبِيِّ بِآلِهِ الْإِجَادِ
قَدْ شَتَّوْهُمْ بَيْنَ مَقْهُورٍ وَمَأْسُورٍ
وَمِنْحُورٍ بِسَيْفِ عِنَادِ^(٥).

(١) شرح الأخبار: ج ٣، ص ٣٥.

(٢) الجمعة: آية ٢.

(٣) نهج البلاغة: ج ١، ص ٦٦.

(٤) البيت من قصيدة رائعة لشاعر أهل البيت (عليه السلام) أبي الحسن علي بن حمّاد العبدي (رحمته الله)، كما في الغدير:

ج ٤، ص ١٦٣.

(٥) البيتان من قصيدة رائعة لشاعر أهل البيت (عليه السلام) السيد مهدي الأعرجي (رحمته الله)، كما في رياض المدح

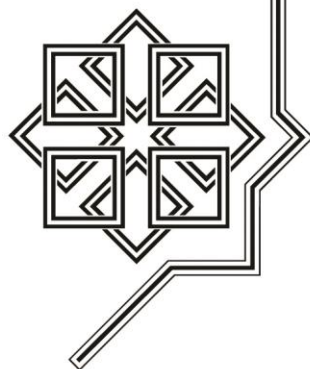
والرثاء: ص ٧٥٦، مطلعها:

رحلوا ومارحلوا أهيل ودادي
إلا بحسن تصبّري وفؤادي

الحاضرة العترة



الأئمة لرسول الله ﷺ



قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانْقُذُوا
أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

الغالب في المجتمعات حبّ التمرد لمن يظهر لهم التواضع والاحترام، ويعتبرونه نقطة ضعف في شخصيته، ويعتقدون أنّ الشخصية القويّة هي الشخصية التي تأنف من الجلوس مع الناس، وعدم المبادرة بالسلام، بل ولا ردّ السلام أحياناً، ومتى ما رأوا شخصيّة غايّة في اللطف، والعطف، والرحمة، والخلق العظيم، وعدم الفضاضة والقسوة، نست أو تناست عظم هذه الشخصية، وتعدّت الحدود المرسومة بينهم وبينها، فنادوه كما ينادي بعضهم البعض، بل تصل الحالة بهم إلى عدم المبالاة بوجوده ولا بكلامه، وكان هذا واضحاً من تصرّفات بعض الجهلة من العرب في الجفاء وسوء الأدب في خطاب النبي ﷺ، مع تصريح القرآن الكريم بعظمة أخلاقه ﷺ، حيث يقول الباري عزّ وجلّ فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٣)، فأخلاقه العظيمة ورحمته ولينه صار مدعاةً للاستغلال من بعض الجاهلين بمقامه ﷺ، فجاءت هذه الآية لتبيّن لهم بأن: «لاتركوا من احترامه شيئاً لا بالفعل ولا بالقول، ولا تغتروا برأفته، وأنظروا إلى رفعة درجته»^(٤).

(١) الحجرات: آية ١.

(٢) القلم: آية ٤.

(٣) آل عمران: آية ١٥٩.

(٤) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ٢٨، ص ١١٠.

السبب في نزول الآية

يشكّل السبب في النزول قرينة على فهم الآية، لكنّه لا يمنع من تعديتها لمصاديق أخرى تنطبق عليها الآية الشريفة، وأنّ سبب النزول لا يمنع من التعميم كما هو مقتضى الحال في بقية آيات القرآن الكريم بالنسبة للموضوعات الأخرى؛ لما روي عنهم عليهم السلام بأنّ القرآن الكريم يجري مجرى الليل والنهار والشمس والقمر، كما ورد في ألسنة الروايات^(١).

وفي تفسير القمّيّ أنّها: «نزلت في وفد بني تميم، كانوا إذا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقفوا على باب حجرته فنادوا: يا محمد، اخرج إلينا، وكانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله تقدّموه في المشي، وكانوا إذا تكلموا رفعوا أصواتهم فوق صوته، ويقولون: يا محمد يا محمد، ما تقول في كذا وكذا. كما يكلمون بعضهم بعضاً، فأنزل الله...»^(٢).

وسبب نزول هذه الآية نلخصه في هذه الأقوال الستّة على ما عثرت عليه:

الأوّل: أنّ قوماً كانوا يقولون: لو أنزل فينا كذا وكذا. فأنزل الله هذه الآية، قاله قتادة.

الثاني: أنّهم أن يتكلموا بين يدي كلامه، قاله ابن عباس.

الثالث: لا تعارضوا، أو لا تعجلوا على الله ورسوله في أمر حتى يقضي الله على لسان رسوله صلى الله عليه وآله ما يشاء، قاله مجاهد، فتكون الآية الشريفة على غرار قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٣).

الرابع: أنّها نزلت في قوم ذبحوا قبل أن يصليّ النبي، فأمرهم أن يعيدوا الذبح، قاله

(١) تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٠٣.

(٢) تفسير القمّيّ: ج ٢، ص ٣١٨.

(٣) الأحزاب: آية ٣٦.

الحسن. وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال لأصحابه في يوم الأضحى: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ. فقام أبو بردة بن نيار خال البراء بن عازب، فقال: يا رسول الله، هذا يوم يُشْتَهَى فيه اللحم، وإني ذبحت قبل أن أصلي، وعندي عناق جذعة خير من شاتي لحم. فقال: تجزئك ولن تجزئ عن أحد بعدك».

الخامس: لا تقدّموا أعمال الطاعة قبل وقتها، قاله الزجاج^(١).

السادس: ما رواه البخاري في صحيحه من الاختلاف بين الشيخين، حيث قال: «إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَرَ الْقَعْقَاعُ بْنُ مَعْبُدٍ بِنِ زُرَّارَةَ. فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمَرَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا خِلَافِي! قَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ. فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢)»^(٣).

وهناك مؤيدٌ لهذا القول وهو ما رواه العلامة المجلسي رحمه الله في البحار أنه: «قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فسأله عن قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٤) فيمن نزلت؟ فقال: ما تريد؟ أتريد أن تغري بي الناس؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، ولكن أحب أن أعلم. قال: اجلس. فجلس، فقال: اكتب عامراً، اكتب معمرًا، اكتب عمر، اكتب عمارًا، اكتب معتمرًا، في أحد الخمسة نزلت، قال سفيان: قلت لفضيل: أتراه عمر؟ قال: فَمَنْ هُوَ غَيْرُهُ»^(٥).

(١) أنظر: أحكام القرآن (ابن العربي): ج ٤، ص ١٤٤.

(٢) الحجرات: آية ١.

(٣) صحيح البخاري: ج ٥، ص ١١٦.

(٤) الحجرات: آية ١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣٠، ص ٣٨٠.

معنى الآية المباركة

بالرجوع قليلاً للآية المباركة نرى أنّ متعلقها مطلق، بمعنى أنّها لم تذكر شيئاً مخصوصاً بعينه؛ فلذا يمكن أن يكون سبب النزول فيها هو الحالة الاجتماعية السائدة آنذاك من العناد وعدم الانقياد للنبي الأكرم ﷺ، وبكلّ أنحاء التقدّم بين يديه بالفعل والقول والعبادة والاعتراض وما شاكل ذلك؛ لذا قال شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله: «...والأولى حمل الآية على عمومها، فيقال: كلّ شيء إذا فعل كان خلافاً لله ورسوله، فهو تقدّم بين أيديهما فيجب المنع من جميع ذلك.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين الذين اعترفوا بتوحيده وإخلاص عبادته، وأقروا بنبوّة نبيه محمد ﷺ، ينهاهم أن يتقدّموا بين يدي النبي ﷺ بأن يفعلوا خلاف ما أمر به أو يقولوا في الأحكام قبل أن يقول، أو يخالفوا أوقات العبادة، فإنّ جميع ذلك تقدّم بين يديه، وأمرهم أن يتّقوا الله بأن يجتنبوا معاصيه ويفعلوا طاعاته، (إن الله سميع) لما يقولونه (عليم) بما ينطوون عليه ويضمرونه»^(١).

ومثله الشيخ الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان: «...والأولى حمل الآية على الجميع؛ فإنّ كلّ شيء كان خلافاً لله ورسوله، إذا فعل، فهو تقديم بين يدي الله ورسوله، وذلك ممنوع»^(٢).

وكذا العلامة الطباطبائي رحمه الله: «... واللفظ مطلق يشمل التقدّم في قول أو فعل حتى التقدّم على النبي ﷺ في المشية والجلسة، والتقدّم بالطاعات المؤقتة قبل وقتها وغير ذلك»^(٣).

(١) تفسير التبيان: ج ٩، ص ٣٤٠.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ٩، ص ٢١٧.

(٣) تفسير الميزان: ج ١٨، ص ٣٠٧.

وفي عمدة القارئ: «لا تقدموا لا تقطعوا أمراً إلا بعد ما يحكم الله ورسوله ويأذنان فيه، فتكونوا إمّا عاملين بالوحي، وإمّا مقتدين برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعليه يدور تفسير ابن عباس: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة. وقال عطية: لا تكلموا بين يدي كلامه، وحذف المفعول ليفيد شموله لكل ما يخطر بالبال ممّا تقدّم»^(١).

وعلى الأسباب المتقدمة لنزول الآية الشريفة اختلفت أفهام المفسرين؛ وهذا شيء إيجابي في النصوص القرآنية في أنّها تتحمّل من المعاني الشيء الكثير الذي لا يحتمله كلام المتكلم العادي، فهنا بعض المعاني للآية المباركة:

المعنى الأول: أيها المؤمنون لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكم الله ورسوله فيه، فلا تحكموا بأمر من أمور الدين قبل علمكم بأنّه بيّنه الله ورسوله، فلا تقولوا ولا تفعلوا شيئاً على أنّه أمر من أمور الدين إلا أن تعلموا أنّه ممّا قاله الله تعالى ورسوله، دلالة على تحريم الفعل والقول من غير علم^(٢).

المعنى الثاني: أي لا تتقدّموا على الله ورسوله بافتراض رأيكم على الرسول والأمة المسلمة، فإنّ تقديم الوجوه الاستحسانية على النصّ تقدّم على الله ورسوله، ونعم ما قال الإمام الشافعي: «مَن استحسن فقد شرّع»^(٣).

نماذج من تقدّم الصحابة بين يدي رسول الله ﷺ

تبيّن لنا من خلال بيان سبب النزول والإطلاق الموجود في الآية المباركة أنّ الآية الشريفة نهدت عن كلّ تقدّم بين يدي الله ورسوله ﷺ، وأنّه من الخلال والصفات المذمومة،

(١) عمدة القارئ: ج ١٨، ص ١٩.

(٢) أنظر: زبدة البيان: ص ٤١٦.

(٣) أنظر: الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف: ج ١، ص ٣٤.

وقد خاطبت الآية الشريفة القوم بمنتهى الأدب حيث عبرت بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، لكن للأسف الشديد نحن نرى هناك نماذج من التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ حتى بعد نزول الآية المباركة، وسنذكر نماذج من ذلك لتبطل دعوى عدالة الصحابة وعصمتهم!

النموذج الأول

حين تحرَّك النبي ﷺ لفتح مَكَّة في السنة الثامنة للهجرة كان ذلك في شهر رمضان، وكان معه جماعة كثيرة، منهم الفرسان ومنهم المشاة، ولما بلغ منزل كراع الغميم أمر بإناء ماء، فتناول منه الرسول وأفطر، ثم أفطر من كان معه، إلا أن العجيب هو أن هناك جماعة منهم تقدَّم على النبي ﷺ ولم يوافقوا على الإفطار، وبقوا صائمين فسأهم النبي ﷺ بالعصاة^(١).

النموذج الثاني

ومثل آخر ما حدث في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة، حيث أمر النبي ﷺ أن ينادي المنادي: «مَنْ لَمْ يَسْقَ هَدِيًّا فَلْيَحِلْ وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً، وَمَنْ سَاقَ مِنْكُمْ هَدِيًّا فَلْيَقِمْ عَلَى إِحْرَامِهِ»، ثم يؤدِّي مناسك الحج، وأنَّ مَنْ جَاءَ بِالْهَدْيِ وَحَجَّ حَجَّ إِفْرَادٍ فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْقَى عَلَى إِحْرَامِهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «لَوْ لَا أَنِّي سَقْتُ الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ لَمْ يَسْقَ هَدِيًّا فَلْيَحِلْ». إلا أنَّ جماعة أبوا وقالوا: كيف يمكننا أن نحل وما يزال النبي محرمًا؟! ليس قبيحاً أن نمضي للحج بعد أداء العمرة ويسيل منّا ماء الغسل - من الجنابة؟! فسأه النبي ما قالوا ووبَّخهم ولا مهم^(٢).

(١) أنظر: صحيح مسلم: ج ٣، ص ١٤١. سنن الترمذي: ج ٢، ص ١٠٦. سنن النسائي: ج ٤، ص ١٧٧.

سنن البيهقي: ج ٤، ص ٢٤١.

(٢) أنظر: السيرة النبوية (ابن كثير): ج ٤، ص ٢٥٦.

النموذج الثالث

قصة التخلّف عن جيش أسامة عندما أراد النبي ﷺ أن يلتحق بالرفيق الأعلى؛ حيث أمر ﷺ المسلمين أن ينفذوا جيش أسامة ابن زيد ويتحرّكوا إلى حرب الروم، وأمر المهاجرين والأنصار أن يتحرّكوا مع هذا الجيش، ولعلّ النبي ﷺ أراد ألاّ تقع عند رحلته مسائل في أمر الخلافة - وقد وقعت - حتى أنّه لعن المتخلّفين عن جيش أسامة، ومع كلّ ذلك تخلّف جماعة بحجّة أنّهم لا يستطيعون أن يتركوا النبي ﷺ في مثل هذه الظروف^(١).

النموذج الرابع

قصة (القلم والدواة) - المعروفة كما أنّها مثيرة - ففي الساعات الأخيرة من عمر النبي ﷺ عندما أمر بقلم ودواة، والأحسن أن ننقل ما جاء من عبارة في صحيح البخاري بعينها هنا، حيث قال: «عن ابن عباس قال: لَمَّا حضر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وسلّم، قال: وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: هلم اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده، قال عمر: إنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وسلّم غلبه الوجع! وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله. واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول قُربوا يكتب لكم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسلّم كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغط والاختلاف عند النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وسلّم، قال: قوموا عني. قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسلّم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم»^(٢).

وهذه القضية من الحوادث المهمّة في التأريخ الإسلامي التي تحتاج إلى تحليل وبسط

(١) أنظر: الملل والنحل (الشهرستاني): ج ١، ص ٢٣.

(٢) صحيح البخاري: ج ٨، ص ١٦١.

ليس هنا محلّه، ولكنّها على كلّ حال من أجلّ موارد التخلّف عن أمر النبي ﷺ ومخالفة الآية محلّ البحث، وما يهمنّا هنا هو: أنّ رعاية الانضباط الإسلامي والإلهي تحتاج إلى روح التسليم المطلق، وقبول القيادة الإلهية في جميع شؤون الحياة، والإيمان المتين بمقام القائد الشامخ^(١).

النموذج الخامس

ما وقع في أصل موت النبي ﷺ، حيث خالف فيه عمر بن الخطاب؛ إذ قال: «مَنْ قَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ قَتَلْتَهُ بِسَيْفِي هَذَا، وَإِنَّمَا رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ كَمَا رُفِعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ...: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ إِلَهَ مُحَمَّدٍ فَإِنَّ إِلَهَ مُحَمَّدٍ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ وَلَنْ يَمُوتَ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾»، فرجع القوم إلى قوله. وقال عمر: كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى قَرَأَهَا أَبُو بَكْرٍ^(٢).

وبأي وجه كنّا نقول، وفي أي سبب نزلت الآية الشريفة، فهي صريحة في النهي عن التقدّم على الرسول الأكرم ﷺ؛ كما صرح العلامة الطباطبائي، حيث قال: «... ولعل التأمل... يكفيك في المنع عن المصير إلى شيء من هذه الوجوه»^(٣).

وفي تفسير ابن أبي حاتم الرازي، قال: «عن ابن عباس في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾»، قال: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة^(٤).

(١) أنظر: تفسير الأمثل: ج ١٦، ص ٥٢٠-٥٢٢.

(٢) الملل والنحل (الشهرستاني): ج ١، ص ٢٣.

(٣) تفسير الميزان: ج ١٨، ص ٣٠٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ج ١٠، ص ٢٣٠٢.

لكن تعال وانظر بعين الإنصاف كم من أصحاب النبي ﷺ من انقاد إلى أوامره ونواهيهِ، ولم يخالف كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ؟!!

بل الخلاف للكتاب والسنة وصل ببعضهم إلى أظهر مصاديقه وأجلاها، كما في أحكام الموارث، وما ذاك إلا عناداً وخلافاً لله ورسوله ﷺ، وهذا الذي دعا بضعة الرسول ﷺ إلى «أن لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثم أتت أنه أجهش لها القوم بالبكاء، وارتجّ المجلس، ثم مهلت هنيهة حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت كلامها بالحمد لله ﷻ والثناء عليه، والصلاة على رسول الله ﷺ. ثم قالت ما قالت، وفيما قالت: أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية يبغون؟! ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟ يا بن أبي قحافة، أترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والوعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون. ثم انكفأت إلى قبر أبيها ﷺ فقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنيئة	لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
فليت بعدك كان الموت صادفنا	لما قضيت وحالت دونك الكتب

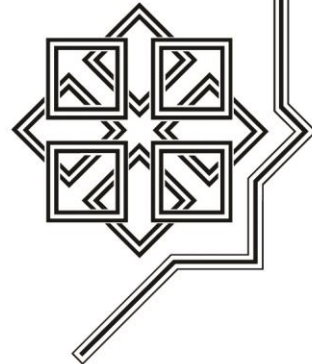
وهذا الذي تركها غضباء على من خالفها، وتدعو عليه بعد كل صلاة حتى لفظت نفسها الأخيرة ﷺ...»^(١).

الحافظه الرابعه



تقوى الله تعالى

والإيمان برسوله
صلى الله عليه وآله



قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

ليس من اليسير أن يدرك الإنسان سبيل سعادته؛ لأنه غيرٌ محيطٌ للعلم بها، وليس عنده القدرة على إدراك ما هو أوسع من حجمه، لذا هو محدود العلم من جهة، وجاهلٌ بعالم المصالح والمفاسد، بل ليس هناك مَنْ يدرك مصالح ابن آدم إلا الذي خلقه وسوّاه، ومنحه وأعطاه، وهو المفيض المطلق، الله تبارك وتعالى، ومن استمد منه عز وجل، وهم خلفاؤه في الأرض إذ أطلعهم على ذلك، فمن هنا صار علينا اتباع ما جاءت به شريعتنا الإسلامية من أوامر ونواهي، فنمثل الأوامر ونجتنب النواهي؛ لنحصل على السعادة الأبدية التي رسمها لنا الشارع الأقدس.

سبب نزول الآية

لسبب النزول مدخلية في فهم الآية المباركة؛ إذ يتّضح لنا المراد من لحن الكلام الذي أنزل على النبي الأكرم ﷺ، وهذه الآية كغيرها من مجموعة من الآيات التي نزلت في واقعة، كما روى ذلك سعيد بن جبیر، حيث قال: «بعث رسول الله ﷺ جعفرًا في سبعين راكبًا إلى النجاشي، يدعوهم، فقدم عليه ودعاه، فاستجاب له وآمن به، فلما كان عند انصرافه قال ناسٌ ممن آمن به من أهل مملكته، وهم أربعون رجلًا: إئذنا لنا فتأتي هذا النبي، فنسلم عليه، فقدموا مع جعفر، فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة، استأذنوا رسول الله ﷺ،

وقالوا: يا نبيَّ الله، إِنَّ لَنَا أَمْوَالاً، ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة، فإن أذنت لنا انصرفنا فجنّنا بأموالنا، فواسينا المسلمين بها. فأذن لهم فانصرفوا، فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين، فأنزل الله فيهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١)، فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين، فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ (٢)، فخرجوا على المسلمين، فقالوا: يا معشر المسلمين، أما من آمن بكتابكم وكتابتنا، فله أجران، ومن آمن منا بكتابتنا، فله أجر كأجوركم، فما فضلكم علينا؟ فنزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْرِفْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣)، فجعل لهم أجرين، وزادهم النور والمغفرة» (٤).

فالآية جاءت بصدد تسكين قلوب المؤمنين من فخر أهل الكتاب.

القرآن الكريم وأسلوبه الجذاب

من أجمل أساليب القرآن الكريم هو أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة الذي استعمله القرآن الكريم وأمر به أيضاً، حيث قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ الْبَلَاءَ هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٥)، وله سبل عديدة كان من أوضح هذه السبل وأكثرها هو أسلوب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، الذي تكرر في القرآن الكريم كثيراً، حتى وصل إلى (٨٩) مرة، يخاطب الباري عز وجل عباده فيها بهذا الأسلوب الرائع.

(١) القصص: آية ٥٢-٥٤.

(٢) القصص: آية ٥٤.

(٣) تفسير مجمع البيان: ج ٩، ص ٤٠٦.

(٤) النحل: آية ١٢٥.

ولو رجعنا إلى روايات أهل البيت عليهم السلام نجد أنهم عليهم السلام اهتموا بهذا الخطاب، بل قال عنه الإمام الصادق عليه السلام: «لَذَّةُ مَا فِي النِّدَاءِ، أَزَالُ تَعَبَ الْعِبَادَةِ وَالْعَنَاءِ»^(١)، فلاحظ أهميّة الأسلوب في هداية الناس، ولاحظ جيداً قول الإمام عليه السلام، هذا وكيف أنّ لذة النداء أزالَت التعب والعناء، ونحن نلمس ذلك بوضوح في حياتنا، ففرق بين أن تقول لولدك: لو سمحت، أو إذا أمكنك فعل ذلك فافعله. وبين قولك: افعل ذلك.

وهذا الأسلوب هو نفس الأسلوب الذي استعمله رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في هداية الناس، وهو أسلوب كلّ إنسانٍ حكيم، وواعظ ناجح، وصاحب قضية يريد لها الانتشار والازدهار، وهو أسلوبٌ عمَلَ به المصلحون ونبذَه الجاهلون والمعاندون، فأبدلوه بأسلوبٍ آخر شديد ومتطرّف، أوصل الإسلام إلى درجة من السخرية والاستهزاء، وصوّر الإسلام الحنيف للآخرين دينَ قتلٍ وسفك دماء الأبرياء.

لماذا الخطاب للمؤمنين؟

قد يسأل سائل عن سبب خطاب الله تبارك وتعالى المؤمنين خاصة، ولم يعبر بـ (يا أيها الناس) مثلاً، والحال أنّه تبارك وتعالى عبر في آيات كثيرة بهذا التعبير؟!
لعلّ السبب يعود إلى أنّ مضمون الآية الشريفة لا ينسجم مع الروح المظلمة بالشرك، كما هو ظاهر من سبب النزول، وأنّ المؤمنين هم الذين يستحقون الحث والتأكيد على تقوى الله والإيمان برسوله ﷺ.

الشرط والجزاء في الآية المباركة

الخطاب في الآية الشريفة صريحٌ في وجود شرطين وجزاء، هما: أنّ من اتقى الله

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٢، ص ٦.

تبارك وتعالى وآمن برسوله الأكرم ﷺ، فَإِنَّ اللَّهَ جَزَاءُ سَيِّئَاتِهِ جَزَاءٌ وَفِيْرًا عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ نَصِيْبَانِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَنَوْرًا يَمْشِي بِهِ، وَجَزَاءُ ثَالِثٌ وَهُوَ أُمْنِيَّةُ كُلِّ مُؤْمِنٍ أَلَا وَهُوَ غَفْرَانِ الذَّنُوبِ، فَأَيَّ نِعْمَةٍ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ بَعْدَ هَذِهِ النِّعَمِ الثَّلَاثِ؟!

وَتَقْوَى اللَّهِ جَزَاءٌ وَالْإِيْمَانُ بِرَسُولِهِ ﷺ لَيْسَتْ بِالْمُسْتَحِيلِ فَعَلْهَا، فَالْمُؤْمِنُونَ مِنْذُ أَنْ أَدْرَكُوا الْإِيْمَانُ عَرَفُوا أَنَّ مَعْنَاهُ هُوَ: تَقْوَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالْإِيْمَانُ بِرَسُولِهِ ﷺ، أَمَّا تَقْوَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهِيَ لَيْسَتْ خَافِيَّةٌ عَلَى أَحَدٍ، وَإِجْمَالُهَا مَا عَبَّرَ بِهِ الْإِمَامُ الصَّادِقُ ع، حَيْثُ قَالَ: «التَّقْوَى أَنْ لَا يَرَاكَ اللَّهُ حَيْثُ نَهَاكَ، وَلَا يَفْقِدُكَ حَيْثُ أَمَرَكَ»^(١).

وَأَمَّا الْإِيْمَانُ بِالرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ فَمَعْنَاهُ الْيَقِيْنُ بِرِسَالَتِهِ وَخَاتِمَتِهَا، وَالطَّاعَةُ التَّامَّةُ لَهُ ﷺ، قَالَ الْعَلَّامَةُ الطَّبَاطِبَائِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «... أَنْ الْمَرَادُ بِالْإِيْمَانِ بِالرَّسُولِ الْإِتْبَاعُ التَّامُّ وَالطَّاعَةُ الْكَامِلَةُ لِرَسُولِهِ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ، سِوَاءً كَانَ مَا يَأْمُرُ بِهِ أَوْ يَنْهَى عَنْهُ حَكْمًا مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، أَوْ صَادِرًا عَنْهُ بِمَا لَهُ مِنْ وِلَايَةِ أُمُورِ الْأُمَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾»^(٢)^(٣).

النتائج العظيمة

ثُمَّ إِنَّ الْآيَةَ الشَّرِيفَةَ بَعْدَ مَا أَمَرَتْ بِتَقْوَى اللَّهِ جَزَاءٌ وَالْإِيْمَانِ بِرَسُولِهِ ﷺ رَتَّبَتْ عَلَى ذَلِكَ نَتَائِجَ ثَلَاثَ مَهْمَةٍ، هِيَ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾، فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْطِي الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْهُ وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ

(١) نور البراهين: ج ١، ص ٢٠٤.

(٢) النساء: آية ٦٥.

(٣) تفسير الميزان: ج ١٩، ص ١٧٤.

الثلاثة: إتيانهم كفلين من الرحمة، ويجعل لهم نوراً يمشون به، ويغفر لهم، فهلّموا لتعرف على هذه الأشياء الثلاثة؛ لنرى كرم الله تبارك وتعالى الذي لا حدود له من جهة، ونشجع أنفسنا لتقواه تباركت أسماؤه، والإيمان برسوله ﷺ من جهة أخرى.

ما هما الكفلان؟

الكفلان: أي نصيبان من رحمته، والكفل بالكسر: الضعف والنصيب^(١)، ثم إنه ينبغي تسليط الضوء على معرفة الكفلين اللذين وعد المؤمنين بهما، فما هما؟ وهنا أقول:

القول الأول: إن الكفل الأول هو عدم دخول النار، والثاني أن يدخل الجنة، كما ذكره القمي في تفسيره^(٢).

القول الثاني: أن المقصود هو أجرين لإيمانهم بعيسى عليه السلام، وتصديقهم بالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بالنبي الأكرم ﷺ وتصديقهم به^(٣).

القول الثالث: أجر على الإيمان، وأجر على التقوى، وأجر على امتثال الأوامر، وأجر على اجتناب النواهي، أو أن التشية المراد بها تكرار الإتياء مرة بعد أخرى^(٤).

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، يعني: «حسناً وحسيناً، قال: ما ضرَّ من أكرمه الله أن يكون من شيعتنا ما أصابه في الدنيا ولو لم يقدر على شيء يأكله إلا الحشيش»^(٥).

(١) أنظر: كتاب العين: ج ٥، ص ٣٧٣.

(٢) أنظر: تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٥٣.

(٣) أنظر: تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢٧، ص ٣١٠.

(٤) أنظر: تفسير تيسير الكريم الرحمن في كلام المتان: ص ٨٤٣.

(٥) تفسير فوات الكوفي: ص ٤٦٨، ح ٣.

ما هو النور في الآية؟

النور أمرٌ ظاهر بنفسه لا يحتاج إلى بيان، بل هو مظهر الأشياء، وَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَأَمَنَ بِرَسُولِهِ ﷺ أعطاه الله نوراً يمشي به بين الناس؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الْمَحْكَمَ عقله والمتَّبِعَ لله ورسوله يكون له نور يعرف به الحق من الباطل، فيحْكُمُه الناس في أمورهم، ويستشيرون منه في أعمالهم، كَمَنْ عنده المصباح في الليل المظلم حيث يستنير الناس بنور مصباحه^(١)، وجَعَلَ هذا النور غاية للتقوى والإيمان بالرسول دلالة على أَنَّهُ لا إيمان ولا تقوى بدونه^(٢). لكن ما هي حقيقة هذا النور؟ ففيه أقوال:

القول الأول: أَنَّهُ الإسلام^(٣)، أو أَنَّهُ الإيمان، كما في تفسير القمي ﷺ^(٤).

القول الثاني: أَنَّهُ القرآن، نسبه العلامة المجلسي ﷺ إلى القيل^(٥)، وهو قول ابن عباس، حيث قال: «النور القرآن، وفيه الأدلة على كلِّ حق، وبيان لكلِّ خير، وبه يستحق الضياء الذي يمشي به يوم القيامة»^(٦).

لكن ردَّ العلامة الطباطبائي ﷺ، قائلاً: «وهذا هو النور الذي يجعله الله لعباده المؤمنين، يستضيئون به في طريقهم إلى ربِّهم، وهو نور الإيمان والمعرفة، وليس المراد به القرآن كما قاله بعضهم؛ فَإِنَّ الآية تصف حال عامة المؤمنين قبل نزول القرآن وبعده، على أَنَّ هذا النور وصف لهم يتصفون به»^(٧).

(١) أنظر: تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٥، ص ٣٤٣.

(٢) أنظر: شرح أصول الكافي: ج ٥، ص ١٧٩.

(٣) أنظر: تفسير السمعي: ج ٥، ص ٣٨٠.

(٤) أنظر: تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٥٢.

(٥) أنظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ٢، ص ٣٥٧.

(٦) تفسير التبيان: ج ٩، ص ٥٣٨.

(٧) تفسير الميزان: ج ١٥، ص ١٢٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٥٣.

وهذا النور لا يُعلم على نحو التحديد متى يُجعل للإنسان المتَّصف بالشرطين؟ وهل يعطاه في الدنيا فقط، أو في الآخرة فقط، أو فيهما معاً؟

قال العلامة الطباطبائي رحمته الله: «... قيل: يعني يوم القيامة، وهو النور الذي أُشير إليه بقوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾. وفيه: أنه تقييد من غير دليل، بل لهم نورهم في الدنيا وهو المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾، ونورهم في الآخرة وهو المدلول عليه بقوله: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾، ثم كمل تعالى وعده بإيتائهم كفلين من رحمته، وجعل نوراً يمشون به بالمغفرة، فقال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾»^(١).

فالنور هو رسول الله وأهل بيته عليهم السلام؛ ولذا نقرأ في زيارة الرسول الأكرم صلوات الله عليه: «أشهد يا رسول الله، أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخنة والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهيات ثيابها»^(٢).

والنور الذي لا يُطفأ هو الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام أيضاً، الذي هو باقٍ متوهج على طول الليالي والأيام، وصدره لا زال إلى هذه الساعة لم يشفَ إلى أن يخرج الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام، فيأخذ بثأره، عندها يشفى صدر الإمام، فيا ربَّ الحسين اشفِ صدر الحسين بظهور الحجة بن الحسن عليه السلام، ولذا نحن نقرأ في الزيارة المسماة بزيارة وارث: «أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخنة والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهيات ثيابها»^(٣)، وكذلك في زيارة يوم الأربعين:

(١) تفسير الميزان: ج ١٩، ص ١٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٧، ص ١٨٧.

(٣) مصباح المتهجد: ص ٧٢١.

«بأبي أنت وأُمِّي يا ابن رسول الله، أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخنة والأرحام الطاهرة»^(١)، وهو نفس المعنى الذي أشار إليه الإمام زين العابدين عليه السلام عندما جاء لدفن الجثث الزواكي، ووقف على بدن أبيه ووضعها في لحده، وضع خده على منحره الشريف قائلاً: «طوبى لأرضٍ تضمّت جسدك الطاهر، فإنّ الدنيا بعدك مظلمة، والآخره بنورك مشرقة، أما الليل فمسهّد والحزن سرمد، أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم، وعليك مني السلام يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته»^(٢)، بأي حال خرج إمامنا زين العابدين عليه السلام من الأسر؟ وماذا رأى؟ وكيف حمل أباه سيّد الشهداء؟! لله در الحجة الشيخ علي الجشي عليه السلام إذ يخبرنا عن ذلك، حيث يقول:

لَمْ أَنْسَ لَمَّا عَادَ مِنْ أَسْرِ الْعَدَى	سَرَّ لِيْذْفَنَ جِسْمَ خَيْرِ قَتِيلٍ
وَرَأَى مَطْرُوحاً وَقَدْ حَفَّتْ بِهِ	قَوْمٌ تَنَحَّوْا خِيفَةَ التَّنْكِيلِ
وَمُذِ اسْتَبَانُوا الْحُزْنَ قَالُوا إِنَّا	جِئْنَا لِنُذْفَنَ سَبْطَ خَيْرِ رُسُولٍ
لَكِنْ لِرَفْعِ الْجَسْمِ وَالتَّحْرِيكِ لَمْ	نَرَكُنَّا مِنْ قُدْرَةِ وَسْبِيلٍ
فَدَعَا بِبَارِيَةِ هُنَاكَ وَلَفَّهْ	فِيهَا بِلَا كَفْنٍ وَلَا تَغْسِيلٍ
رَفَعَ الْجَنَازَةَ وَالْمَلَائِكُ مِنْ أَسَى	أَمُّوهُ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ
وَلَحْمِهِ جَاءَ النَّبِيُّ وَحِيدٌ	وَالْمَجْتَبَى فِي عُبْرَةٍ وَعَوِيلٍ ^(٣)

(١) المصدر السابق: ص ٧٨٩.

(٢) موسوعة شهادة المعصومين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٩٩.

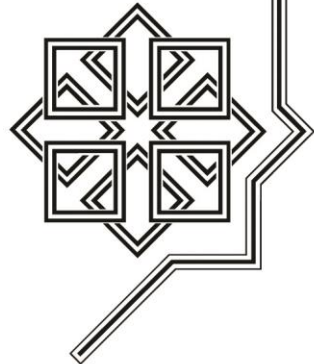
(٣) المجالس العاشورائية في المآتم الحسينية: ص ٤٦٦-٤٦٧.

الحاضرة الخامسة

الجانب الإنساني

في شخصية الرسول الأكرم ﷺ

وأثره على الناس



روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ذكره للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «دَفَنَ اللهُ بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ النَّوَّائِرَ، أَلْفَ بِهِ إِخْوَاناً وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِهِ الدَّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلَامُهُ بَيَانٌ وَصَمْتُهُ لِسَانٌ»^(١).

لشخصية كل إنسان ثلاثة جوانب: الجانب الإنساني والإلهي، الجانب العلمي والثقافي، والجانب الاقتصادي^(٢).

في هذا النص كشف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن عمل النبوة في تغيير القيم السائدة في المجتمع، هذه القيم التي تحكم وتوجّه العلاقات داخل المجتمع بين فئاته وأفراده، وإبدالها بقيم أخرى متّسقة في طبيعتها مع طبيعة الرسالة النبوية؛ لأنّها مستمدة منها. وما يترتب على ذلك من تغيير في المفاهيم والقناعات، ومن تبدّل في نوع العلاقات نتيجة لتبدّل القيم الجاهلية بالقيم النبوية.

لقد ثبّت أزمة الأبصار نحو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كما كانت تثني نحو كل نبي في مجتمعه؛ لأنّه قد أثار اهتمام الناس كلّهم، وأوجد هزة راحته تنداح على المجتمع كلّهُ وتنغذ في أعماقه. وهذه الفكرة تضيء التحليل الذي يقول: إنّ أثر النبوة الخيرة لا يقتصر على المؤمنين بالنبي ورسالته وحدهم، وإنّما يتعدّاهم ليشمل بركاته المجتمع كلّهُ. لقد أدّت القيم الجديدة التي جاء بها النبي إلى تغيير المفاهيم، ومن ثمّ إلى تغيير عميق وجذري في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والفئات، وإلى إحداث التبدّلات الاجتماعية^(٣).

(١) نهج البلاغة (تحقيق الصالح): ص ١٤١.

(٢) أنظر: بحوث فقهية مهمّة: ص ١٤٨-١٤٩.

(٣) أنظر: التاريخ وحركة التقدّم البشري ونظرة الإسلام: ص ٨٢.

وهذا هو الجانب الإنساني والإلهي تناوله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الكلمات النيرات التي سنقف عندها:

الكلمة الأولى: (دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ)

المقصود به هو الرسول الأكرم صلوات الله عليه وقد استعار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لفظ الدفن لإخفاء الأحقاد به بعد أن كانت ظاهرة مجاهراً بها. ولفظ الإطفاء لإزالة العداوات بين العرب بالتأليف بين قلوبهم، كما قال تعالى في إظهار المنّة على عباده: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(١).

والضغائن: جمع ضغينة، وهي الحقد، ضغنت على فلان - بالكسر - ضغناً، والضغن الاسم، كالضغينة، وقد تضاعنوا واضطغنوا: انطوا على الأحقاد. ودفعها: أكرمها وأخفاها^(٢).

لقد دُفِنَتْ بِهِ صلوات الله عليه الضغائن؛ لأنَّ أسباب تولّدها قد زالت، ومن ثَمَّ زالت أسباب تفجّرها فزالت الثوائر، لقد نعم المجتمع كلّ بدرجة عالية من الاستقرار والطمأنينة بعد أن انخفضت إلى أدنى الدرجات مظاهر العنف والتوتر فيه؛ نتيجة لتبدّل المفاهيم والقيم التي كانت سائدة فيه بمفاهيم وقيم أُخرى بثّتها النبوة^(٣).

وخير مثال على دفنه للضغائن وإطفائه للثوائر إزالته للحروب التي كانت بين العرب، مثل حروب داحس والغبراء، وحرب البسوس، وحرب الفجار، والحروب التي

(١) آل عمران: آية ١٠٣.

(٢) أنظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ج ٧، ص ٦٩.

(٣) أنظر: التاريخ وحركة التقدّم البشري ونظرة الإسلام: ص ٨٢-٨٣.

كانت بين خزاعة وكنانة^(١)، بل يمكن القول إنه ما اجتمعت للعرب كلمة في يوم من الأيام إلا على عهد الرسول الأكرم ﷺ، وبفضل الله تعالى وفضله ﷺ، ولما هاجر إلى المدينة كان بين قبيلتي الأوس والخزرج حرب دامية ومتصلة، فألقى النبي ﷺ ما كان بينهما من حرب وخصومة، وكف أيدي بعضهم عن بعض^(٢).

الكلمة الثانية: (أَلَفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا)

لقد أدت القيم الجديدة إلى إيجاد علاقات جديدة، فألف الله بالنبي ﷺ - بالقيم التي بشر بها وأذاعها في الناس - إخواناً في الإيمان، وفَرَّقَت هذه القيم الإيمانية بين أقران اختلفت بهم الطرق حين هتف صوت النبوة في المجتمع، فسلك بعضهم طريق الإيمان وبقي الآخر على طريقه القديم، وقيمه القديمة، طريق الجاهلية وقيم الجاهلية. كما أدت هذه القيم الجديدة إلى تغيير في المراتب الاجتماعية؛ لأن القيم القديمة التي كانت تجعل أساس الترتيب في البنية الاجتماعية بين الأشخاص أو الفئات متمثلاً في المال، أو السلالة والنسب، أو القوة الحربية، هذه القيم قد زالت وحلَّت محلها قيمٌ جديدة، غدت هي الأساس الذي يقوم عليه الترتيب الاجتماعي، وهي التقوى^(٣).

وأما الأقران المفرق لهم فهم المؤتلفون على الشرك، وأما ما أَلَفَ بِهِ إِخْوَانًا؛ فلأن الإسلام قد أَلَفَ بين المتباعدين، وفَرَّقَ بين المتقاربين، قطع ما بين حمزة ﷺ وأبي لهب مع تقاربهما، وأَلَفَ بين علي ﷺ وعمار مع تباعدهما^(٤).

(١) أنظر: معارج نهج البلاغة: ص ١٩٤.

(٢) أنظر: في ظلال نهج البلاغة: ج ٢، ص ٦٩-٧٠.

(٣) أنظر: التاريخ وحركة التقدم البشري ونظرة الإسلام: ص ٨٢-٨٣.

(٤) أنظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ج ٧، ص ٦٩.

الكلمة الثالثة: (أَعَزَّ بِهِ الذَّلَّةُ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةُ)

فقوله ﷺ: (أَعَزَّ بِهِ الذَّلَّةُ)، أي ذَلَّةُ الإسلام وأهله، (وأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةُ)، أي عِزَّةُ الشرك وأهله، وبين كِلَيْ قريتين من هذه السَّتِّ مقابلة ومطابقة، فقابل بالتفريق التأليف، وبالدَّلَّةِ الإعزاز، وبالعِزَّةِ الإذلال^(١).

فقد أَعَزَّ اللهُ تعالى - بالنبي وبالقيم التي جاء بها - الذَّلَّةُ التي كانت تفرضها القيم الجاهلية القديمة على الفقراء والمستضعفين، وأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةُ التي كانت تنشأ من قيم غير إيمانية. فمن تأريخنا الإسلامي تحفل السيرة النبوية بمئات من الشواهد والنماذج، فالأذلاء في الجاهلية، كعمار بن ياسر وبلال الحبشي أصبحوا أعزاء في المجتمع الجديد؛ لأنَّ القيم الجاهلية التي كانت تفرض عليهم أن يكونوا أذلاء في مرتبة اجتماعية متدنية قد زالت بالإسلام. وجاء الإسلام بقيم جديدة غيّرت موقعهم في المجتمع، فجعلتهم من النخبة، والأعزاء في الجاهلية غدوا أذلاء؛ لأنَّ القيم التي كانوا يتكئون عليها ويستمدون منها اعتبارهم الاجتماعي ويتبوؤن مركز النخبة فيه، هذه القيم قد زالت بالإسلام، وحلَّت محلَّها قيمة جديدة هي التقوى، وحيث إنَّهم لم يتحلَّوا بهذه القيمة الجديدة فقد غدوا من الأذلاء^(٢).

فبلال الحبشي كان من السابقين إلى الإسلام، ومن المستضعفين من المؤمنين، وكان يُعَذَّب ليرجع عن دينه، وكان الذي يعذِّبه أُمِّيَّة بن خلف، يُلقِيهِ في الرمضاء على وجهه وظهره إذا حميت الشمس وقت الظهيرة، ثمَّ يأمر بالصخرة العظيمة فتُلْقَى على صدره، ويقول له: اكفر برَبِّ مُحَمَّد، فيقول بلال: أحمِّدُ أحد. هاجر إلى المدينة، وآخى رسول

(١) أنظر: المصدر السابق: ج ٧، ص ٦٩.

(٢) أنظر: التاريخ وحركة التقدّم البشري ونظرة الإسلام: ص ٨٣.

الله ﷺ بينه وبين أبي رويحة الخثعمي، وقيل: أخى بينه وبين عبيدة بن الحارث، وشهد بدرًا وأُحُدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ، علّمه رسول الله ﷺ الآذان، فكان يؤذّن له في السفر والحضر، ولم يؤذّن لأحد بعد رسول الله ﷺ، ثم خرج بعد وفاة النبي ﷺ إلى الشام، فأقام بها، «روي أن بلالاً رأى النبي ﷺ في منامه وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال؟ ما أن لك أن تزورنا؟ فانتبه حزينا، فركب إلى المدينة فأتى قبر النبي وجعل يبكي عنده، ويتمرغ عليه، فأقبل الحسن والحسين فجعل يقبلهما ويضمّهما، فقالا له: نشتهي أن تؤذّن في السحر، فعلا سطح المسجد، فلما قال: الله أكبر الله أكبر، ارتجت المدينة، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، زادت رجتها، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، خرج النساء من خدورهن، فما رئي أكثر باكياً ولا باكية من ذلك اليوم»^(١).

الكلمة الرابعة: (كلامه بيان، وصمته لسان)

ليس المقصود باللسان هاهنا الجارحة نفسها، بل الكلام الصادر عنها، قالوا في تفسيره: أراد الكلمة، بقوله ﷺ: إن كلام الرسول ﷺ بيان، والبيان إخراج الشيء من حيز الخفاء إلى حيز الوضوح، وصمته ﷺ كلام وقول مفيد، أي: أن صمته لا يخلو من فائدة، فكانه كلام، وهذا من باب التشبيه المحذوف الأداة، كقولهم: يده بحرٌ ووجهه بدرٌ^(٢).

فكلامه بيانٌ لما انغلق من أحكام كتاب الله كقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

(١) موسوعة طبقات الفقهاء: ج ١، ص ٥٨٥-٥٨٩.

(٢) أنظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ج ٧، ص ٦٩.

إِلَيْهِمْ^(١). وصمته لسان، استعار لفظ اللسان لسكوته، ووجه المشابهة أَنَّ سكوته ﷺ مستلزم للبيان من وجهين:

أحدهما: أَنَّ الصحابة كانوا إذا فعلوا فعلاً على سابق عاداتهم، فسكت عنهم النبي ﷺ ولم ينكره عليهم علموا بذلك أَنَّهُ على حكم الإباحة. فكان سكوته عنهم في ذلك بياناً له، وأشبهه سكوته عنه باللسان المعرب عن الأحكام.

الثاني: أَنَّهُ يسكت عما لا ينبغي من القول فيعلم الناس السكوت عن الخوض فيما لا يعينهم^(٢)؛ ولذا روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أَنَّهُ قال: «لَمَّا حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي ﷺ: هَلَمْ اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده. فقال عمر: إِنَّ النبيَّ (صَلَّى الله عليه وسلَّم) قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم مَنْ يقول: قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النبيُّ (صَلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) كتاباً لَنْ تضلوا بعده. ومنهم مَنْ يقول ما قال عمر، فلَمَّا أَكثَرُوا اللغو والاختلاف عند النبيِّ (صَلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، قال رسول الله (صَلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم): قوموا. قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول: إِنَّ الرزية كُلَّ الرزية ما حال بين رسول الله (صَلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) وبين أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغْطِهِمْ»^(٣)، فكان صمته ﷺ أَبلغ من الكلام، ولا حول ولا قُوَّة إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، ودَّعَ رسول الله ﷺ الدنيا وعينه ترمق أَهْلَ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لَعَلَّه بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ بَعْدَ عَيْنِيهِ ﷺ.

(١) النحل: آية ٤٤.

(٢) أنظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم البحراني): ج ٢، ص ٤٠١-٤٠٢.

(٣) صحيح البخاري: ج ٧، ص ٩٨.

ورحم الله الشريف الرضي رحمه الله حيث يقول:

يا رسول الله لو عايتهم	وهم ما بين قتلٍ وسبى
من رميضٍ يمنع الظلَّ ومن	عاطشٍ يُسقى أنابيب القنا
ومسوقٍ عائرٍ يسعى به	خلف محمولٍ على غير وطا
جزّروا جزرَ الأضاحي نسله	ثم ساقوا أهله سوقَ الإما
قتلوه بعدَ علمٍ منهم	أنّه خامسُ أصحابِ الكسا
ميتٌ تبكي له فاطمة	وأبوها وعليّ ذو العلي ^(١) .

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٦٧. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٥٠.

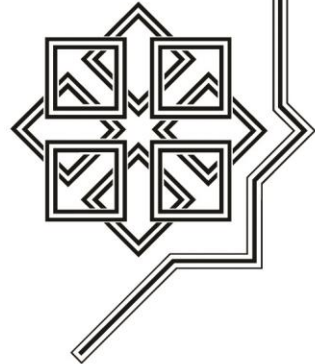
الحافظة السادسة



الأسلوب القرآني

في

الدعوة إلى الله تعالى



قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١).

قد يخترع الإنسان عموماً والمبلِّغ الإلهي خصوصاً الأسلوب النافع لتبليغ أحكام الله وآياته، وقد يصطدم غير المعصوم منهم بأمور لم يرضها الشارع المقدس، بل أحياناً يقع في المحاذير الشرعية في الأسلوب الذي يتدعه هذا المبلِّغ أو ذاك، فيما لو خالف الأمر الإلهي في كيفية الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، فـ «لم يكن داعياً إلى الله ﷻ»، مَنْ خالف أمر الله ويدعو إليه بغير ما أمر في كتابه»^(٢)، والمؤمن الذي يريد أن يوصل الأحكام بشكل سليم وبأسلوب مرضي عليه أن يتبع الأسلوب القرآني الذي أشارت إليه هذه الآية المباركة، وقد ذكرت ثلاث مراتب للدعوة بحسب اختلاف الناس في التعقل وفي الانقياد، وهو الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

الأسلوب الأول: الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة

الأسلوب القرآني الأول في الدعوة إلى سبيل الله هو الدعوة بالحكمة، والمقصود بالحكمة - كما جاء في كثير من كلمات الأعلام - البرهان^(٣)، أو العلم المحيط الذي أعطاه من فضله. والمراد بسبيل الله: دينه الحق^(٤)، وهذا الأسلوب ليس من الأساليب العامة، بل هو أسلوب خاص أتبعه النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين ﷺ في بعض

(١) النحل: آية ١٢٥.

(٢) روضة المتقين في شرح مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٦٢.

(٣) أنظر: تفسير الميزان: ج ٥، ص ٢٦٧.

(٤) أنظر: شرح أصول الكافي: ج ٥، ص ٢٠٨.

الموارد التي تنفع مع الخصم، حتى قال ﷺ: «مَنْ وَضَعَ الْحِكْمَةَ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا جَهْلٌ، وَمَنْ مَنَعَ عَنْ أَهْلِهَا ظَلَمٌ، إِنَّ لِلْحِكْمَةِ حَقًّا وَإِنَّ لَهَا أَهْلًا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»^(١)، ونحن نلاحظ حكمة النبي ﷺ في تصرّفه عندما فتح مكّة وجمع صناديد قريش، وكان أكثرهم من المجرمين والملوثة أيديهم بدماء المسلمين على مدى عشرين سنة، فكان أبو سفيان وجماعته، ومعاوية وخالد وعمرو بن العاص، وهؤلاء كلّهم من المجرمين، لكن الرسول الأكرم ﷺ عفا عنهم، وقال: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ»، هذا هو أبو سفيان مع أشدّ مراتب الرأفة والرحمة يكون حكمه هو الأعدام، ومع ذلك عفا عنهم، وقال: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ»، وكأنّ شيئاً لم يكن. فالنبي ﷺ عفى عن كلّ الكفّار والمجرمين إلّا عن اثنين لم يعفو عنهم، وهما مغنيتان اثنتان من المغنيات كانتا تتغنيان بهجاء النبيّ الأكرم ﷺ في مكّة، قال ﷺ: «اقتلوهما ولو تمسّكا بأستار الكعبة»، وبعد ذلك قتل الصحابة واحدة، ثمّ قتلوا الثانية، فسأله بعض الصحابة: يارسول الله تقتل المغنيتين وتترك المجرم الحقيقي أبو سفيان؟! يقول: نعم، صحيح أنّ أبا سفيان قتل المسلمين لكنهم ساروا إلى الجنّة وتنوروا بشعلة الشهادة ونور الإسلام، أمّا المغنية التي تغني أغاني جميلة في زمن النبيّ ترسخها في أذهان الناس وهذا قتلٌ للشخصية.

ولذا فيجب أن نحتاط في الشعر، فنحن مع الشعر العقلاني، يعني الشعر الذي يمدح ويروج لما ثبتت صحته بالبرهان، الشعر الذي يتغنّى بالله ويمدح رسوله ﷺ وأهل بيته ﷺ ويشيد بالفضائل، ويروج القيم والعدالة الإنسانية والشرف والكرامة، وهذه أشياء مستحبة، وهذه حكمة في التعامل وليس بمعنى البرهان.

(١) تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: ج ١، ص ١١٩.

وأما بمعنى البرهان فدونك المناظرات التي خاضها أهل البيت عليهم السلام مع الملاحدة والمشككة، كالديصاني الذي كان يقول: «إني أحب أن ألقى بها أبا عبد الله عليه السلام. فاستأذن فأذن له، فدخل فقال له: أتأذن لي في السؤال؟ فقال له: سل عما بدا لك، فقال له: ما الدليل على أن لك صانعاً؟ فقال: وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين: إما أن أكون صنعتها أنا أو صنعتها غيري، فإن كنت صنعتها أنا فلا أخلو من أحد معنيين: إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة، أو صنعتها وكانت معدومة، فإن كنت صنعتها وكانت موجودة فقد استغنت بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومة فإنك تعلم أن المعدوم لا يحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث أن لي صانعاً وهو الله رب العالمين. فقام وما أحرار جواباً»^(١).

أو مناظرات الإمام الرضا عليه السلام مع الجاثليق عندما قال له الإمام عليه السلام: «يا نصراني، والله إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وما ننقم على عيساكم شيئاً إلا ضعفه وقلة صيامه وصلاته، قال الجاثليق: أفسدت والله علمك، وضعفت أمرك، وما كنت ظننت إلا إنك أعلم أهل الإسلام! قال الرضا عليه السلام: وكيف ذاك؟ قال الجاثليق: من قولك: إن عيسى كان ضعيفاً، قليل الصيام، قليل الصلاة، وما أفطر عيسى يوماً قط، ولا نام بليل قط، وما زال صائم الدهر وقائم الليل، قال الرضا عليه السلام: فلمن كان يصوم ويصلي؟! قال: فخرس الجاثليق وانقطع»^(٢).

أو مناظرات تلامذة الإمام الصادق عليه السلام كهشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد في الإمامة^(٣).

(١) التوحيد (الشيخ الصدوق): ص ٢٩٠.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٤٣.

(٣) أنظر: الكافي: ج ١، ص ١٦٩-١٧١، ح ٣.

الأسلوب الثاني: الدعوة إلى سبيل الله بالموعظة الحسنة

الأسلوب الثاني هو الدعوة إلى سبيل الله بالموعظة الحسنة، وقد ذكر البعض أنَّها الخطابة^(١)، لكن الخطابة أحد أساليبها، وكذا الكتابة وما شاكل ذلك من الأمور التي يصدق عليها الموعظة الحسنة، فهي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب، وقيل: الموعظة الحسنة هي القول اللين الرقيق من غير غلظة ولا تعنيف^(٢)، أحسنها أن يخاطب المرشد المخطئ بأسلوب يشعر منه تلقائياً أنه مخطئ، ومن الحمق أن يفاجئه بالتأنيب والتوبيخ، وقديماً قيل: التلويع أبلغ من التصريح، وبكلمة أن الموعظة الحسنة هي التي تحقق الغرض المطلوب^(٣)، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٤).

والشواهد على ذلك في غاية الكثرة، كما روي: «أن الحسن والحسين عليهما السلام مرّا على شيخ يتوضأ ولا يحسن، فأخذوا بالتنازع، يقول كل واحد منهما: أنت لا تحسن الوضوء. فقالا: أيها الشيخ كن حكماً بيننا، يتوضأ كل واحد منا سوية. ثم قالا: أيّنا يحسن؟ قال: كلاهما تحسنان الوضوء، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن، وقد تعلّم الآن منكما، وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمة جدّكما»^(٥).

الأسلوب الثالث: الدعوة إلى سبيل الله بالمجادلة الحسنة

هناك جملة من المفاهيم يمارسها الناس من دون أن يتعرّفوا على نظر الشريعة

(١) أنظر: هامش شرح أصول الكافي: ج ٥، ص ١٠١.

(٢) أنظر: تفسير السمعي: ج ٣، ص ٢١٠.

(٣) أنظر: التفسير الكاشف: ج ٤، ص ٥٦٥.

(٤) فصلت: آية ٣٤.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٦٩.

الإسلامية فيها، فتراهم يخوضون فيها ولا يخوضون في غيرها؛ لقبحها عندهم بحسب العرف وإن لم تكن مذمومة شرعاً، بل ولا عقلاً في أحيان كثيرة، ومن تلك المفاهيم مفهوم الجدل والمجادلة، والمقصود بالجدل والمجادلة الخصام والمخاصمة^(١).

وقد تكون النظرة الأولية للمجادلة هي الدم، بل والمنع، لكن الصحيح هو أن الجدل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الجدل القبيح، وهناك آيات ذمّت الجدل الذي يكون في آيات الله، أو يكون بغير علم، كما هو صريح قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصِرُّونَ﴾^(٢)، الدائمة للذين يجادلون في آيات الله.

وأما الروايات في ذمّ الجدل والمجادلة فهي كثيرة، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ياكم والجدال؛ فإنه يورث الشك في دين الله»^(٣).

وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «يا عبد العظيم، أبلغ عني أوليائي السلام، وقل لهم: أن لا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلاً، ومُرهم بالصدق في الحديث وأداء الأمانة، ومُرهم بالسكوت وترك الجدل فيما لا يعنيه، وإقبال بعضهم على بعض والمزاورة؛ فإن ذلك قرينة إلى، ولا يشتغلوا أنفسهم بتمزيق بعضهم بعضاً...»^(٤).

القسم الثاني: الجدل الحسن، وهو ما أشارت إليه الآية المباركة التي صدرنا بها الكلام، وبالجمع بين الآيات الناهية عن الجدل والآيات الآمرة ننتهي إلى أنه لا تعارض

(١) أنظر: كتاب العين: ج ٦، ص ٧٩.

(٢) غافر: آية ٦٩.

(٣) كنز الفوائد: ص ١٢٨، عنه بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٣٨، ح ٤٩.

(٤) الاختصاص: ص ٢٤٧، عنه بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٣٠، ح ٢٧.

بينها؛ لأنّ الآيات الأمرة أمرت بالجدال الحسن دون الجدال القبيح؛ ولذا ذكر عند الإمام الصادق عليه السلام الجدال في الدين، وأنّ رسول الله ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام قد نهوا عنه، فقال الإمام الصادق عليه السلام: «لم يَنْه عنه مطلقاً، لكنّه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن، أما تسمعون الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾»^(١).

فإذا كان هذا هو أدب الإسلام عند المحاور والمجادلة مع غير المسلمين فكيف تكون المحاور والمجادلة مع علماء المسلمين وأهل الاجتهاد؟! وعلى هذا يجب أن تكون العقول والأفكار تهدف الوصول إلى الحق والصواب، ولو كان مخالفاً لما رآه أولاً^(٢).

ولذا نحن نقرأ في زيارتنا لسيد الشهداء عليه السلام: «... أشهد أنّك قد حلّلت حلال الله، وحرّمت حرام الله، وأقامت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة...»^(٣)، حيث خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام بكلّ عطفٍ ولين، وكلّ حكمة وموعظة، إذ قال عليه السلام: «... فإن كنتم في شكّ من هذا، أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيكم؟! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم، ولا في غيركم، ويحكم! أطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟!»، فأخذوا لا يكلمونه^(٤)، فلم تنفع المواعظ بقوم صمّوا عن النبأ العظيم ثم عمّوا، فبقوا حيارى لا يستطيعون جواباً، وكما وصفهم شاعر أهل البيت السيد رضا الهندي رحمه الله، حيث يقول:

(١) أنظر: الوافي: ج ١٥، ص ٣١.

(٢) أنظر: بحوث في الفقه المعاصر: ج ٧، ص ١١٣.

(٣) كامل الزيارات: ص ٣٨٣، ح ١٣.

(٤) الإرشاد: ج ٢، ص ٩٨.

لم أنسه إذ قام فيهم خاطباً فإذا هم لا يملكون خطاباً
يدعو ألت أنا ابن بنت نبيكم وملاذكم إن صرف دهر ناباً
هل جئت في دين النبي بدعةً وأودع الثقلين فيكم عترة وكتاباً
إن لم تدنوا بالمعاد فراجعوا أحسابكم إن كنتم أعراباً
فغدوا حيارى لا يرون لوعظه إلا الأسنة والسهم جواباً
حتى إذا أسفت علوج أمية أن لا ترى قلب النبي مصاباً
صلت على جسم الحسين سيوفهم فغدا لساجدة الظبي محراباً
ومضى لهيفاً لم يجد غير القنا ظلاً ولا غير النجيع شراباً
ظمان ذاب فؤاده من غلة لومست الصخر الأصم لذاباً
لهفي لجسمك في الصعيد مجرّداً غريان تكسوه الدماء ثياباً^(١).

الزهره تعنت الطف يوم عاشور تعان على الجثث كامت الزهره
ومن جثه الجثه كامت ادور واديه على الضلع والعين حمرة
تعان وين المطعن ومطبور شافت جسد طايح على الغبره
وما بين السيوف مكطعينه ما ينعرف راسه كاطعينه

فكيف تعرّفت عليه السيدة الزهراء عليها السلام:

تدنت ليه تشمه وعرفته حسين وصاحت آه بيني وهلت العين
صبغت راسها بدمه واليديين وكامت على الوجه تلطم حزينه

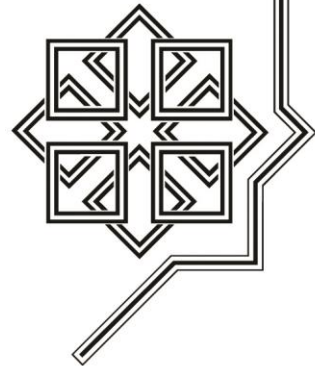
(١) ديوان السيد رضا الهندي: ص ٤٣.

الحاضرة السابعة



أبو طالب عليه السلام

مؤمن مكتمل الإيمان



روي عن إمامنا أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه سُئِلَ عمّا يقوله الناس أنّ أبا طالب في ضحضاح من نار، فقال: «لو وضعَ إيمانُ أبي طالبٍ في كَفّةِ ميزانٍ وإيمانُ هذا الخلقِ في الكفّةِ الأخرى لرجحَ إيمانُهُ»^(١).

قد يسأل اللبيب: ما هو السبب وراء كلّ هذه الجلبة والضجّة وراء أبي طالب عليه السلام مع أنّه لا توجد في واحدٍ من أقرانه؟ «وليس لهم مأرباً في آباء المهاجرين أسلموا أو لم يسلموا، أو أنّ لهم غاية في إسلام أبوي أبي بكر، لكنّهم زمّروا لما لم يزل لهم فيه مكاء وتصدية من تكفير سيّد الأباطح، شيخ الأئمّة أبي طالب، والد مولانا أمير المؤمنين (سلام الله عليهما)، وذلك بعد أن عجزوا عن الواقعة في الولد فوجهوها إلى الوالد أو إلى الوالدين، كما فعله الحافظ العاصمي في زين الفتى. وكان من تهويلهم في تخفيف تلکم الوطأة أن جرّوا ذلك إلى والدي النبيّ المعظم صلى الله عليه وآله وعليهما، حتى قال العاصمي في زين الفتى عند بيان وجه الشبه بين النبيّ والمرضى (صلّى الله عليهما وآلهما): أمّا تشبيه الأبوين في الحكم والتسمية فإنّ النبيّ في كثرة ما أنعم الله تعالى عليه ووفور إحسانه إليه لم يرزقه إسلام أبويه، وعلى هذا جمهور المسلمين، إلّا شذمة قليلون لا يُلْتَفَت إليهم، فكذلك المرضى فيما أكرمه الله به من الأخلاق والخصال وفنون النعم والأفضال لم يرزقه إسلام أبويه»^(٢).

وهذا الموضوع قضية قضائية نناقشها بحسب ما وصل إلينا من أدلّة، ولنجعل أبا طالب متّهماً في قضية كبرى وهي الموت كافراً أو مشركاً، ولنسأل أبا طالب هل أنت كنت مسلماً أم كافراً أم مشركاً؟

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٤، ص ٦٨.

(٢) الغدير: ج ٧، ص ٣٦٩-٣٧٠.

ولنسمع جوابه عن طريق أقواله وأفعاله، فإنَّه سيقول لنا: أما تخافون الله تعالى؟! أما ترجون المعاد؟! أهكذا أباح لكم الدين اتِّهام الآخرين؟! أشققتم عن قلبي ورأيتم عقيدتي، أم نظرتم في النجوم فجاءكم الجواب منها: أنَّ أبا طالب مات مشركاً؟! كيف تتعرَّفون أيُّها المسلمون على إيمان الناس؟ ألا يكفيكم في ثبوت إسلامهم وإيمانهم ما يصدر منهم من أقوال وأفعال في هذا المجال؟

يقول ابن تيمية - في معرض حديثه عن حكم المنافق -: «... ولما قال لأسامة بن زيد: أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ قال: إنَّما قالها تعوِّذاً. قال: هلا شققت عن قلبه؟ وقال: إنِّي لم أומר أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم. وكان إذا استؤذن في قتل رجل يقول: أليس يصلي أليس يشهد؟ فإذا قيل له: إنَّه منافق. قال: ذاك، فكان حكمه (صلى الله عليه وسلَّم) في دمائهم وأموالهم كحكمه في دماء غيرهم لا يستحلَّ منها شيئاً إلاَّ بأمرٍ ظاهرٍ مع أنَّه كان يعلم نفاق كثيرٍ منهم؛ وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ حَوَّلَكُمْ مِنْ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وكان من مات منهم صلى عليه المسلمون الذين لا يعلمون أنَّه منافق، ومن علم أنَّه منافق لم يصلِّ عليه. وكان عمر إذا مات ميت لم يصلِّ عليه حتى يصلِّي عليه حذيفة، لأنَّ حذيفة كان قد علم أعيانهم»^(٢).

ولنستمع الآن إلى جواب أبي طالب عن التَّهمة التي وُجِّهَتْ إليه، وكيف سيجيب عنها، يقول أبو طالب مدافعاً عن نفسه: أيُّها الناس، أنا أبو طالب شيخ البطحاء عند المسلمين، اتَّهمني بعضهم ظلماً وعدواناً، وستثبت براءتي بالوثائق التالية:

(١) التوبة: آية ١٠١.

(٢) الإبان: ص ٢٠١.

الوثيقة الأولى: أقواله وأشعاره

وهي التي رواها جميع المسلمين، وهي بين أيديكم، وكثيرة، وسأذكر بعضاً منها، ولكنكم تعمّدتم عدم مطالعتها، وعدم الاهتمام بها؛ لأجل أن تتمّ دعاؤكم، لكنني سأذكر بعضاً منها لكم؛ لكي لا يطول المقام:

١- أخرج الحاكم النيسابوري في كتابه المستدرک على الصحيحين، عن ابن إسحاق قال: «قال أبو طالب أبيتاً للنجاشي يحضهم على حسن جوارهم والدفع عنهم:

ليعلم خيار الناس أن محمداً وزيراً لموسى والمسيح ابن مريم
أنا بهدي مثل ما أتيا به فكل بأمر الله يهدي ويعصم
وإنكم تتلون في كتابكم بصدق حديث لا حديث المبرجم»^(١)

فأبو طالب يخاطب خيار الناس بهذه الأبيات بأن محمداً عليه السلام نبي كسائر الأنبياء، وأنه مبعوث كبعثهم عليهم السلام.

٢- روى الثعلبي في تفسيره^(٢)، والبغدادى في خزانته^(٣)، وابن كثير في تأريخه^(٤)، وابن حجر في فتحه^(٥)، والخلبي في سيرته^(٦)، وغيرهم في غيرها^(٧): أن أبا طالب قال مخاطباً الرسول الأكرم عليه السلام بهذه الأبيات - كما في تاريخ ابن كثير -:

(١) المستدرک على الصحيحين: ج ٢، ص ٦٢٣.

(٢) أنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي): ج ٤، ص ١٤١.

(٣) أنظر: خزانة الأدب: ج ٣، ص ٢٧٩.

(٤) أنظر: البداية والنهاية: ج ٣، ص ٥٦.

(٥) أنظر: فتح الباري: ج ٧، ص ١٤٨.

(٦) أنظر: السيرة الحلبية: ج ١، ص ٤٦٢.

(٧) أنظر: شرح نهج البلاغة: ج ١٤، ص ٥٥.

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أُوسَّد في التراب دفينا
فأمضي لأمرِك ما عليك غضاضةً أبشر وقرّبْ بذاك منك عيونا
ودعوتني وعلمتُ أنّك ناصحي فلقد صدقتَ وكنت قدم أميناً
وعرضت ديناً قد عرفتُ بأنّه من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذاري سُبَّهَ لوجدتني سمحاً بذاك مييناً

وعلق الشيخ الأميني رحمته الله على البيت الأخير - بناءً على وجوده، وأنّه لم يكن من إضافات بعض المغرضين - قائلاً: «هب أنّ البيت الأخير من صُلبِ ما نظمهُ أبو طالب عليه السلام فإن أقصى ما فيه أنّ العارَ والسُّبّهَ الذين كان أبو طالب عليه السلام يحذرهما خيفة أن يسقط محلّه عند قريش فلا تتسنى له نصره الرسول المبعوث صلّى الله عليه وآله، إنّما منعه عن الإبانة والإظهار لاعتناق الدين، وإعلان الإيمان بما جاء به النبي الأمين، وهو صريح قوله: (لوجدتني سمحاً بذاك مييناً)، أي مظهرًا، وأين هو عن اعتناق الدين في نفسه، والعمل بمقتضاه من النصر والدفاع؟ ولو كان يريد به عدم الخضوع للدين لكان تهافتاً بيّناً بينه وبين أبياته الأولى التي ينصّ فيها بأنّ دينَ محمدٍ صلّى الله عليه وآله من خير أديان البرية ديناً، وأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم صادق في دعوته أمين على أمّته»^(١).

٣- وأنا القائل أيضاً - كما روى ذلك ابن أبي الحديد في شرحه على النهج -:

لقد أكرم الله النبيَّ محمّداً فأكرمُ خلقِ الله في الناسِ أحمدُ
وشقَّ له من اسمه ليجلّله فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمّدُ

وقال ابن أبي الحديد بعد هذين البيتين: «قالوا فكلّ هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر، لأنه إن لم تكن آحادها متواترة، فمجموعها يدلّ على أمر واحد مشترك، وهو تصديق محمد ﷺ، ومجموعها متواتر، كما أنّ كلّ واحدة من قتلات علي ﷺ الفرسان منقولة آحاداً، ومجموعها متواتر، يفيدنا العلمَ الضروريَّ بشجاعته، وكذلك القول فيما روى من سخاء حاتم...»^(١).

٤- وأنا القائل - كما أخرج السيوطي ذلك عن ابن عساكر في تأريخه -: وأبيض يُستسقى الغمام...، حيث قال: «أخرج ابن عساكر في تأريخه عن جلهمة بن عرفطة، قال: قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب، اقحط الوادي وأجذب العيال، فهلم واستسق. فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلّت عنه سحابة قماء، وحواله أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بإصبعه الغلام، وما في السماء قرعة فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وأغدق وأغدودق، وانفجر له الوادي، وأخصب البادي والنادي، ففي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
ثمّال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده في نعمة وفواضل»^(٢).

الوثيقة الثانية: أفعالي ومواقفي

وأما الوثيقة الثانية على براءتي فهي أفعالي ومواقفي الدالّة على إيماني، وسأكتفي بذكر بعضها:

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٤، ص ٧٨.

(٢) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى): ج ١، ص ٨٦.

١- مَوْقِفِي فِي بَدْءِ الدَّعْوَةِ

فَقَدْ رَوَى ابْنُ الْأَثِيرِ: «لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١)، اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَضَاقَ بِهِ ذَرْعًا، فَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ كَالْمَرِيضِ، فَأَتَتْهُ عَمَّاتُهُ يَعِدْنَهُ، فَقَالَ: مَا اشْتَكَيْتُ شَيْئًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ، فَقُلْنِ لَهُ: فَادْعُهُمْ وَلَا تَدْعُ أَبَا لَهَبٍ فِيهِمْ؛ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَحْيِيكَ! فَدَعَاهُمْ فَحَضَرُوا مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ بَنِي الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَانُوا خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا، فَبَادَرَهُ أَبُو لَهَبٍ وَقَالَ: هَؤُلَاءِ هُمْ عَمُومَتُكَ وَبَنُو عَمِّكَ فَتَكَلَّمْ وَدَعْ الصَّبَاةَ^(٢)، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لِقَوْمِكَ بِالْعَرَبِ قَاطِبَةٌ، وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ أَخَذَكَ فَحْبَسَكَ بَنُو أَبِيكَ، وَإِنْ أَقَمْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ فَهُوَ أَيْسَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَثْبُكَ بِطَوْنِ قَرِيشٍ وَتَمْدَهُمُ الْعَرَبُ، فَمَا رَأَيْتَ أَحَدًا جَاءَ عَلَى بَنِي أَبِيهِ بِشَرٍّ مِمَّا جِئْتَهُمْ بِهِ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ ثَانِيَةً وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأَوْمَنَ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً، وَاللَّهُ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتَبْعُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتَحَاسِبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَإِنَّهَا الْجَنَّةُ أَبَدًا وَالنَّارُ أَبَدًا.

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا أَحَبَّ إِلَيْنَا مَعَاوَنَتَكَ، وَأَقْبَلْنَا لِنُصِيحَتِكَ وَأَشَدَّ تَصَدِيقِنَا لِحَدِيثِكَ، وَهَؤُلَاءِ بَنُو أَبِيكَ مُجْتَمِعُونَ، وَإِنَّمَا أَنَا أَحَدُهُمْ، غَيْرَ أَنِّي أَسْرِعُهُمْ إِلَى مَا تُحِبُّ، فَامْضِ لِمَا أَمَرْتُ بِهِ، فَوَاللَّهِ لَا أَزَالُ أَحُوْطُكَ وَأَمْنَعُكَ، غَيْرَ أَنَّ نَفْسِي لَا تَطَاوَعُنِي عَلَى فِرَاقِ دِينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٣).

(١) الشعراء: آية ٢١٤.

(٢) «صَبًّا فَلَانُ يَصْبَأُ إِذَا خَرَجَ مِنْ دِينِهِ». لِسَانُ الْعَرَبِ: ج ١، ص ١٠٨.

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٦١.

قال الشيخ الأميني رحمه الله - بعد أن نقل هذا النص -: «قال الأميني: لم يكن دين عبد المطلب (سلام الله عليه) إلا دين التوحيد والإيمان بالله ورسله وكتبه، غير مشوب بشيء من الوثنية، وهو الذي كان يقول في وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوماً حتى يُنتقم منه وتصيبه عقوبة. إلى أن هلك ظلوم لم تصبه عقوبة. فقليل له في ذلك، ففكر في ذلك فقال: والله، إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته»^(١).

٢. حنوي وحمائتي وخوفي على رسول الله ﷺ

فقد روى ابن أبي الحديد ذلك عني، حيث قال: «وقرأت في أمالي أبي جعفر بن حبيب رحمه الله، قال: كان أبو طالب إذا رأى رسول الله ﷺ أحياناً يبكي ويقول: إذا رأيته ذكرت أخي. وكان عبد الله أخاه لأبويه، وكان شديد الحب والحنو عليه، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحب له، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله ﷺ البيات إذا عرف مضجعه، يقيمه ليلاً من منامه، ويضع ابنه علياً مكانه، فقال له على ليلة يا أبت، إني مقتول، فقال له:

اصبرن يا بنى فالصبر أحجى	كلّ حيٍّ مصيره لشعوب ^(٢)
قدر الله والبلاء شديد	لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغرّ ذي الحسب الثاقب	والباع والكريم النجيب
إن تصبك المنون فالتبل تبرى	فمصيب منها، وغير مصيب
كلّ حيٍّ وإن تملى بعمر	أخذ من مذاقها بنصيب

(١) الغدير: ج ٧، ص ٣٥٣.

(٢) شعبته شعوب أي أمانته الموت فمات. العين: ج ١، ص ٢٦٤.

فأجاب علي عليه السلام، فقال له:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ووالله ما قلت الذي قلت جازعاً
ولكنني أحببت أن ترى نصرتي وتعلم أنّي لم أزل لك طائعاً
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعاً^(١).

وعلق الشيخ الأمين عليه السلام على هذه المحاوراة بقوله: «إنّ القرابة والرحم تبعثان إلى المحاماة إلى حدٍّ محدود، لكنّه إذا بلغت حدّ التضحية بولد كأمر المؤمنين هو أحبّ العالمين إلى والده، فهناك يقف التفاني على موقفه، فلا يستسهل الوالد أن يعرض ابنه على القتل كلّ ليلة فينيمه على فراش المفدى، ويستعوض منه ابن أخيه، إلّا أن يكون مندفعاً إلى ذلك بدافع ديني وهو معنى اعتناق أبي طالب بالدين الحنيف، وهو الذي تعطيه المحاوراة الشعرية بين الوالد والولد، فترى الولد يصارح بالنبوة فلا ينكر عليه الوالد، بأنّ هذا التهالك ليس إلّا بدافع قومي غير فاتر عن حض ابنه على ما يتغيه من النصرة، ولا متشبّط عن النهوض بها (فسلام الله على والد وما ولد)»^(٢).

٣. موقف لا يصنعه إلّا من هو مؤمن

وموقف آخر من مواقفي التي لا يصنعها إلّا من هو مؤمن، رواه أهل السير، فقال القرطبي: «وروى أهل السير، قال: كان النبي (صلّى الله عليه وسلّم) قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصليّ، فلمّا دخل في الصلاة، قال أبو جهل (لعنه الله): من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته. فقام ابن الزبعرى فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه النبي (صلّى الله عليه وسلّم)، فانفقت النبي (صلّى الله عليه وسلّم) من صلاته، ثمّ أتى أبا طالب عمّه

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٤، ص ٦٤.

(٢) الغدير: ج ٧، ص ٣٥٨.

فقال: يا عمّ، ألا ترى إلى ما فعل بي؟ فقال أبو طالب: مَنْ فعل هذا بك؟ فقال النبي (صلى الله عليه وسلّم): عبد الله بن الزبيرى. فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبو طالب: والله، لئن قام رجل جللته بسيقي. فقعّدوا حتى دنا إليهم، فقال: يا بني مَنْ الفاعل بك هذا؟ فقال: عبد الله بن الزبيرى. فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطّخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول»^(١).

٤. وموقف عندما دنت الوفاة

فعندما دنت مني الوفاة، وهي اللحظات الحرجة التي تمرّ بالإنسان، فقد روى ابن سعد عني ذلك، حيث قال: «إنَّ أبا طالب دعا بني عبد المطلب، فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمّدٍ وما اتّبعتم أمره، فاتّبعوه وأعينوه ترشدوا»^(٢). هذه بعض أقوالي وأفعالي، فهل يحقّ لأحدٍ أن يتّهمني بأنّي مت كافراً، وأنّي في ضحضاحٍ من نار؟! كما روى البخاري في سقيمه! حيث قال: «عن عباس بن عبد المطلب، قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيءٍ، فإنّه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم هو في ضحضاحٍ من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»^(٣).

كيف أكون في ضحضاحٍ من النار وولدي عليٌّ أمير المؤمنين قسيم الجنة والنار؟! ولذا روى المفصل بن عمر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن أمير المؤمنين علي ﷺ أنّه كان جالساً في الرحبة والناس حوله فقام إليه رجل فقال له:

(١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ج ٦، ص ٤٠٦.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ١، ص ١٢٣.

(٣) صحيح البخاري: ج ٧، ص ١٢١.

يا أمير المؤمنين، إِنَّكَ بالمكان الذي أنزلَكَ اللهُ وأَبوكَ معَذَّبٌ في النار؟! فقال له: «مه فَضَّ اللهُ فَاكُ، والذي بعثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا، لو شَفَعَ أَبِي في كُلِّ مَذْنَبٍ على وَجْهِ الأَرْضِ لَشَفَّعَهُ اللهُ، أَبِي معَذَّبٌ في النار وابنه قَسِيمُ الْجَنَّةِ والنار؟! والذي بعثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، إِنَّ نورَ أَبِي طالب يومَ القِيامةِ لِيُطْفِئَ أنوارَ الخلائقِ إِلَّا خَمْسَةَ أنوارٍ: نورَ مُحَمَّدٍ، ونورَ فَاطِمَةَ، ونورَ الحَسَنِ والحُسَيْنِ، ونورَ ولده مِنَ الأئمَّةِ...»^(١).

كيف يكون في النار مَنْ يرثيه قَسِيمُ الْجَنَّةِ والنار، حيث يقول:

أَبَا طَالِبٍ عَصَمَةُ الْمُسْتَجِيرِ	وغيث المحولِ ونور الظلم
لَقَدْ هَدَّ فَقْدُكَ أَهْلَ الْحِفَاظِ	فصَلَّى عَلَيْكَ وَلِيُّ النِّعَمِ
وَلَقَّاكَ رَبُّكَ رَضْوَانَهُ	فَقَدْ كُنْتَ لِلطَّهْرِ مِنْ خَيْرٍ عَمٍ ^(٢) .

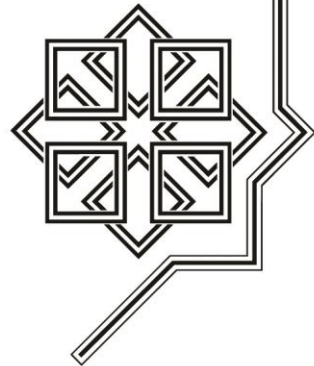
(١) كنز الفوائد: ص ٨٠. الاحتجاج: ج ١، ص ٣٤٠-٣٤١، عنه بحار الأنوار: ج ٣٥، ص ٦٩، ح ٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٥، ص ١١٤، ح ٥١.

الحافظه السّاميه



القرآن .. أحسن الحديث
وربيع القلوب



روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رِبْعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ»^(١).

القرآن الكريم دستورٌ عمليٌّ متكامل، يأخذ كلُّ واحدٍ منه بقدر ما أفرغه من قلبه له، من علومٍ وعِبَرٍ، فقد يأخذ البعض منه العبارة ويكتفي بها، ويكون همه الشاغل الاهتمام بفنِّ التجويد، ومخارج الحروف، والقراءات المختلفة، وما شاكل ذلك، والبعض الآخر يشغل عمره بمتابعة أسباب النزول، إلى غير ذلك، والحال أنَّ القرآن الكريم كتاب هداية، الغرض الأصلي منه ليس هذا ولا ذاك؛ لذا يصرِّح القرآن الكريم نفسه بماهيته، حيث يقول الله تبارك وتعالى عن كتابه الكريم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(٢)، فإذا كان صاحب القرآن الكريم - وهو الله تعالى - يصرِّح بأنَّ هذا الكتاب كتاب هداية، فلماذا الاهتمام الكبير في غير هذا الجانب؟! فهل يمكن للإنسان أن يورد على كتابٍ مكتوب في علم الفيزياء مثلاً أنَّه: لماذا لم يتعرَّض إلى أقسام الفعل في اللغة العربية؟ فهذا كمن يستعمل العلاج المعين لغير المرض الذي لم يكتب له هذا المرهم أصلاً.

وفي هذه الكلمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام مقاطع أربعة أقف عندها بالميسور إن شاء الله تعالى:

(١) نهج البلاغة: ص ١٦٤.

(٢) الإسراء: آية ٩.

المقطع الأول: تعلّم القرآن الكريم

لقد ورد الحثّ الأكيد على تعلّم القرآن الكريم والاهتمام به، فقد روي عن النبيّ الأكرم ﷺ أنّه قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(١)، ومن الطبيعيّ أنّه ليس المراد بالتعليم حفظ ألفاظه ومعرفتها، بل المراد به معرفة معانيه، وتفسير ألفاظه، ومعرفة ما يؤدّي إليه لفظه من المعاني، ليستدلّ به على التوحيد، ومعرفة الأحكام الشرعية، كما أنّ فيه دلالة على أنّ ذلك أفضل العلوم، والمقصود منه حثّ الناس وتحريضهم على تعلّم ذلك العلم وتعليمه معاً^(٢).

وعنه ﷺ أنّه قال: «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلّا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»^(٣)، ولو لم نعرّ ولا على رواية واحدة في الحثّ على تعلّم القرآن الكريم، فالعقل يدعونا لذلك؛ لأنّه لا نتمكّن من العمل به ما لم نتعلّمه، والغرض من وراء هذا الكتاب هو العمل، فأصبح التعلّم مقدّمةً لازمةً للعلم.

ثم إنّ الإمام عليّاً عليه السلام علّل السبب في الحثّ على تعلّم القرآن الكريم بأنّه أحسن الحديث، أي أحسن الكلام، وسمّى الكلام به بالحديث؛ لتجدّده وحدوثه شيئاً فشيئاً، ولعلوّ مقامه، وسموّ مكانه، وحسن نظمه، وجلالة قدره، وبعد غوره، وعذوبة معناه، ودقّة مغزاه، واشتماله على ما لم يشتمل عليه غيره من كلام المخلوقين، كان أحسن الكلام، وأمرنا ﷺ بتعلّمه بذلك الاعتبار، مضافاً إلى ما يترتّب على تعلّمه من عظيم الفوائد ومزيد القسم

(١) عوالي اللئالي: ج ١، ص ٩٩، ح ١٧.

(٢) أنظر: هامش كتاب عوالي اللئالي: ج ١، ص ٩٩.

(٣) سنن أبي داود: ج ١، ص ٣٢٧، ح ١٤٥٥.

والعوائد^(١).

فكم هو جميل أن يكون حديثنا القرآن الكريم، ومنهل علومنا القرآن الكريم، ونعيش معه ومع علومه، ونستشهد به في مجالسنا ومواعظنا وكل شيء.

المقطع الثاني: التفقه في القرآن الكريم

ثم ينتقل الإمام عليه السلام في المقطع الآخر إلى التفقه في القرآن الكريم، حيث قال: «تَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ»، أي: تفهموا في القرآن؛ وذلك لأنه ربيع القلوب، واستعار عليه السلام له لفظ الربيع باعتبار كونه جامعاً لأنواع الأسرار العجيبة، والنكات البديعة، والمعاني اللطيفة، والعلوم الشريفة التي هي متنزه القلوب، كما أن الربيع جامع لأنواع الأزهار والرياحين التي هي مطرح الأنظار ومستمتع الأبصار.

ومحصل المعنى: أنه يجب عليكم أخذ الفهم في القرآن؛ كيلا تُحرموا من فوائده، ولا تغفلوا عن منافعه؛ فإنه بمنزلة الربيع المتضمن للفوائد الكثيرة والمنافع العظيمة.

ويحتمل أن يكون المراد بالتفقه التبصر والبصيرة في أمر الدين، والفقه أكثر ما يأتي في الحديث بهذا المعنى، وعلى هذا الاحتمال فتعليل الأمر بالتفقه بكونه ربيعاً إشارة إلى أن الربيع كما أنه مورد الاعتبار بما أودع الله فيه من عجائب العبر والأسرار، وأخرج فيه من بدايع النبات والأزهار وغيرها من شواهد الحكمة وآثار القدرة، فكذلك القرآن محل الاستبصار بما تضمنته من حكاية حال الأمم الماضية والقرون الخالية، وتفصيل ما أعطاه الله سبحانه للطيعين من عظيم الثواب، وجزاه للمسيئين من أليم العقاب والعذاب، وغير ذلك مما فيه تذكرة لأولي الأبصار، وتبصرة لأولي الألباب^(٢).

(١) أنظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ٨، ص ٣.

(٢) أنظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ٨، ص ٦٥.

المقطع الثالث: الاستشفاء بنور القرآن الكريم

ثُمَّ يَأْتِي الْمَقْطَعُ الثَّالِثُ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَأَسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ»، شِفَاءٌ لَهَا مِنَ الْأَسْقَامِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ فِي الْكَافِي الشَّرِيفُ بِسَنَدِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «شَكِيَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ وَجَعًا فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾»^(١) ^(٢).

وَمُمْكِنُ لَنَا أَنْ نَضَعَ أَيْدِيَنَا عَلَى بَعْضِ الْمَصَادِيقِ فِي الْاسْتِشْفَاءِ بِنُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

١- شِفَاءُ الْأَمْرَاضِ الظَّاهِرَةِ: وَهَذَا بِحَاجَةٍ إِلَى عَقِيدَةٍ قَوِيَّةٍ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كِبَاقِي الْأُمُورِ الَّتِي يَعْتَمِدُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهَا، فَالدَّعَاءُ وَالْاسْتِشْفَاءُ بِالتَّرْبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ فَرَعُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ النُّصُوصِ الشَّرِيفَةِ أَنْ نَدْعُو وَنُظَنُّ أَنْ حَاجَتَنَا بِالْبَابِ، فَقَدْ رَوَى عَنْ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا دَعَوْتَ فَاقْبَلْ بِقَلْبِكَ، وَظَنَّ أَنَّ حَاجَتَكَ بِالْبَابِ»^(٣)، وَأَمَّا أَنْ يَسْتَعْمَلَ الْإِنْسَانُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لِلتَّجَرُّبَةِ، فَحَالُهُ كَحَالِ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَخْتَبِرَ الْكَرِيمَ، وَيَجْرِبُ الْجَوَادَ، فَإِنَّهُ مِنْ أَشَدِّ التَّصَرُّفَاتِ الَّتِي تُؤْذِي أَهْلَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ.

٢- شِفَاءُ الْأَمْرَاضِ الْبَاطِنَةِ: سَوَاءٌ كَانَتْ عَقْلِيَّةً أَمْ فِكْرِيَّةً، أَمْ غَيْرَهَا مِنَ الْأَمْرَاضِ، فَمَقْتَضَى الْإِطْلَاقِ فِي الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ - شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ - يَكُونُ شِفَاءً لِكُلِّ مَا فِي بَاطِنِ الصُّدُورِ، وَمَا الَّذِي فِي الصُّدُورِ؟! فِي الصُّدُورِ الْقُلُوبُ الَّتِي تَعْمُرُ بِالْإِيمَانِ، وَفِي الصُّدُورِ الْعَقَائِدُ الْحَقَّةُ، وَفِيهَا الظُّنُونُ الطَّيِّبَةُ وَالظُّنُونُ السَّيِّئَةُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى:

(١) يُونُسُ: آيَةُ ٥٧.

(٢) الْكَافِي: ج ٢، ص ٦٠٠، ح ٧. وَانْظُرْ: مِنْهَاجُ الْبَرَاةِ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: ج ٨، ص ٦.

(٣) مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ: ص ٢٧١. هِدَايَةُ الْأُمَّةِ إِلَى أَحْكَامِ الْأُمَّةِ ﷺ: ج ٣، ص ١٠٥، ح ٦٢٩.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١)، القلوب التي تعمى بالذنوب والمعاصي: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢)، وتحیی بالموعظة، كما صرح القرآن الكريم بذلك، حيث يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُفُّهُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكَمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾^(٣). فكم من عقيدة خاطئة صححها التدبر في نور القرآن الكريم، يقول أحدهم: «قبل حوالي أربعين عاماً، حيث كنت في مدينة كربلاء المقدسة، كُتب في إحدى المجلات آنذاك أن أحد علماء السنة اعتنق المذهب الشيعي، فلما سُئل عن سبب تشييعه، قال: لقد شيعني حرف جر واحد في القرآن الكريم!!»

ف قيل له: وما هو؟ قال: أنا أقرأ القرآن كثيراً، وفي إحدى المرات كنت أقرأ سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٤)، حتى وصلت إلى آخر آية من السورة ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...﴾^(٥)، أي أصحاب النبي الأكرم ﷺ، لاحظت أن الله ﷻ قد ذكر أصحاب النبي ﷺ في هذه السورة ثلاث عشرة مرة بصيغة الجمع أو مع ضمائر الجمع، ولكنه سبحانه وتعالى حين يتحدث عن مسألة الدخول إلى الجنة، يذكرهم بصيغة التبعيض وليس الجمع، فيقول سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾^(٦)؛ وكلمة ﴿مِنْهُمْ﴾ للتبعيض، فرحت أستغرق في التفكير في هذا الأمر، ولماذا لم يشملهم الخطاب جميعاً؟

وقلت مع نفسي: يجب أن أحقق وأدقق في ذلك، فوجدت في آخر المطاف أن صيغة

(١) آل عمران: آية ١١٩.

(٢) الحج: آية ٤٦.

(٣) يونس: آية ٥٧.

(٤) الفتح: آية ١.

(٥) الفتح: آية ٢٩.

(٦) الفتح: آية ٢٩.

التبعض هذه تعود إلى الأصحاب أنفسهم؛ وهكذا صرت شيعياً^(١).
إذن علينا جميعاً أن لا ندع أوقاتنا تذهب هدرًا، بل علينا أن ندرس ونطالع بشكل صحيح؛ لأنّ أهل العقائد الباطلة إنّما يتبعون ما تشابه منه.

المقطع الرابع: الإحسان في تلاوة القرآن الكريم

ثمّ يأمرنا الإمام عليه السلام بالإحسان في تلاوة القرآن الكريم، حيث يقول عليه السلام: «وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ»، ولا شك أنّ الإحسان في التلاوة فرع التلاوة، وعليه فلا بدّ أن نتأمل في بعض ما روي في فضل وثواب تلاوة القرآن الكريم من خلال التأمل في هذه الرواية الشريفة، روى الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي الشريف عن سيدنا ومولانا الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَرَأَ خَمْسِينَ آيَةً كُتِبَ مِنَ الذَّاكِرِينَ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَتَيْ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْخَاشِعِينَ، وَمَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ مِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَمَنْ قَرَأَ خَمْسِمِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ، وَمَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ مِنْ نَبَرٍ، الْقِنْطَارُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ مِثْقَالٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْمِثْقَالُ أَرْبَعَةُ وَعِشْرُونَ قِيرَاطًا أَصْغَرُهَا مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ وَأَكْبَرُهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»^(٢).

هذا هو بعض فضل التلاوة، وأمّا الإحسان فيها، فقد يكون أحد معاني الإحسان لتلاوة القرآن الكريم تلاوةً يحيي بها القارئ قلبه، وأحد طرق تحصيل ذلك هو أن نقرأ بطريقة الترتيل بحسب اصطلاح القرآن الكريم، فقد روى الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي الشريف بإسناده، عن عبد الله بن سليمان، قال: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ

(١) الموقع الإلكتروني: (alkafeel.net/showthread).

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٦١٢، ح ٥.

الله ﷻ: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: بَيَّنَّه تَبَيَّنًا وَلَا تَهْذِهِ هَذَا الشَّعْرُ، وَلَا تَنْثُرْهُ نَثْرَ الرَّمْلِ، وَلَكِنْ أَفْزِعُوا قُلُوبَكُمْ الْقَاسِيَةَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدُكُمْ آخِرَ السُّورَةِ^(١).

فعلى القارئ أن يتلو القرآن الكريم تلاوةً يفهم بها عقله أنه في محضر القدس الإلهي، وبين يدي جبار السماوات والأرضين، ولأجل تحصيل هذا الشعور عليه أن يتذكر أن المنزل لهذا الدستور العظيم والمحافظ عليه هو الله تعالى، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢)، وأن المنزل عليه هو خاتم الأنبياء والمرسلين المصطفى محمد ﷺ، وأن الشهر الذي أنزل فيه هذا الكتاب هو شهر رمضان المبارك، وهو أعظم الشهور وأفضلها، وأن الليلة التي أنزل فيها هي ليلة القدر، وأنها ليلة مباركة عظيمة، وأن المفسر والمبين لهذا القرآن الكريم هم محمد وآل محمد عليهم السلام، فبهذه المعاني يكون القرآن حاضراً في قلب التالّي له، فيستشعر العظمة الحقيقية، فيتعامل معه على هذا الأساس^(٣).

ثم يعلّل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذا الأمر - الإحسان في التلاوة - بقوله عليه السلام: «فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ»، يعني: أنّه لما كان أحسن القصص وأنفعها، كما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾^(٤)، لا جرم أنّه ينبغي أن تحسن تلاوته، وأن يتلى حقّ التلاوة بحسن التدبّر والنظر؛ لتدرك منافع قصصه، وتنال بها من الفوائد العظيمة^(٥).

ومن فوائد القصص القرآني الكريم أخذ العبر من تلك القصص والتفكر فيها،

(١) الكافي: ج ٢، ص ٦١٤، ح ١.

(٢) الحجر: آية ٩.

(٣) أنظر: الآداب المعنوية للصلاة: ص ٢٦٩-٢٧١.

(٤) يوسف: آية ٣.

(٥) أنظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ٨، ص ٧.

ومقايسة الإنسان نفسه بصاحب القصة، فعندما يمرّ بقصة بلعم بن باعورا، التي جاءت في قوله تعالى: ﴿وَأَقْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(١)، يتأمل فيها جيداً ويحذر أن يكون مصداقاً آخر لهذه القصة.

وقد روي عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام: «أنّه أُعطي بلعم بن باعورا الاسم الأعظم، فكان يدعو به فيُستجاب له، فمال إلى فرعون، فلما مرّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم: ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى وأصحابه فامتنعت عليه حمارته، فأقبل يضربها، فأنطقها الله ﷻ، فقالت: ويلك! على ما تضربني؟! أتريد أجى معك لتدعو على موسى نبي الله وقوم مؤمنين؟! فلم يزل يضربها حتى قتلها وانسلخ الاسم الأعظم من لسانه، وهو قوله ﴿فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَشَئِلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾^(٢).

ويتأمل في قصة نبي الله يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته، ويتأمل صنع الله به، وهكذا يتأمل في قصة فرعون وقارون وأصحاب الكهف وسائر القصص القرآني؛ فإنّ العبرة في التفكّر، كما ذكر لنا القرآن الكريم نفسه، حيث قال: ﴿فَأَقْصَصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣)، ونتفكّر بالظلم الذي وقع على أهل بيت العصمة والطهارة، ونتفكّر بحال الظالمين، نتأمل تأريخ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتأريخ أعدائه الذين شتموه على المنابر وهم اليوم في المزابيل، وأحسن الشاعر العملاق الأستاذ محمد المحجوب، وهو

(١) الأعراف: آية ١٧٥.

(٢) تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٤٨.

(٣) الأعراف: آية ١٧٦.

سوري سني المذهب، حيث يقول:

أين القصورُ أبا يزيد ولهوها
أين الدهاءُ نحرته عزته على
هذا ضريحك لو بصرت ببؤسه
كتلٌ من التراب المهين بخربة
والصافناتُ وزهوها والسوددُ
أعتابِ دنيا سحرها لا ينفدُ
لأسال مدمعك المصيرُ الأسودُ
سكرَ الذبابِ بها فراح يُعربدُ

إلى أن يقول:

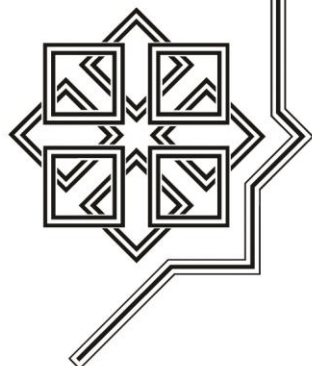
قم وارمق النجفَ الشريفَ بنظرةٍ
أبدأً تباكرها الوفودُ يحثها
يرتد طرفك وهو باكٍ أرمدُ
من كلِّ صوبٍ شوقها المتوقدُ^(١).

(١) عليّ في الكتاب والسنة والأدب: ج ٥، ص ١٧٧-١٧٨.

الحاضرة التاسعة



سؤال المئوية



قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(١).

كان المجتمع الجاهلي مجتمعاً غريب الأطوار، وبعيداً عن الثقافة الدينية كل البعد، ويكفيك أن تضع يدك على الآيات الدامة لهم، مثل قوله تعالى: ﴿يَطُغُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْجِعْ تَرْجِعَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾^(٥)، بل هم على شر دين وفي شر دار، كما عبّر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: «وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار، متنخون بين حجارة خشن وحيات صم، تشربون الكدر وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة»^(٦).
والأمر لم يقتصر على الدين والأخلاق فحسب، بل حتى على المستوى المدني المتمثل بالنظافة والطهارة والذوق السليم، يقول الأصمعي: «ذنوت من بعض الأخبية في البادية فسقيت لبناً في إناء، فلما شربته قلت: هل كان هذا إلاناً نظيفاً؟! فقيل: نعم نأكل منه في النهار، ونبول فيه بالليلي، فإذا أصبحنا سقينا فيه الكلب فلحسه ونقاه. فقلت: لعنك الله ولعن هذه النظافة»^(٧).

(١) التكوير: آية ٩٨.

(٢) آل عمران: آية ١٥٤.

(٣) المائدة: آية ٥٠.

(٤) الأحزاب: آية ٣٣.

(٥) الفتح: آية ٢٦.

(٦) نهج البلاغة: ج ١، ص ٦٧.

(٧) أنظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ٣، ص ٣٦٦.

وكانت ظاهرة وأد البنات واحدة من تلك المظاهر المنتشرة في العصر الجاهلي، فتعال لتتعرف على هذه الظاهرة وأسبابها.

السبب في وأد البنات

المقصود بالوَأَد الثقل، قال الفخر الرازي: «وَأَد يَنْدُ مَقْلُوبٌ مِنْ آدٍ يَتَوَدُّ أَوْدًا، ثَقُلَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَتَوَدُّ حِفْظُهُمَا﴾، أَيِ يَثْقُلُهُ: لِأَنَّهُ إِثْقَالٌ بِالتَّرَابِ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا وَلَدَتْ لَهُ بِنْتُ فَأَرَادَ بَقَاءَ حَيَاتِهَا أَلْبَسَهَا جَبَّةً مِنْ صُوفٍ أَوْ شَعْرٍ لَتَرَعَى لَهُ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ فِي الْبَادِيَةِ، وَإِنْ أَرَادَ قَتْلَهَا تَرَكَهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ قَامَتَهَا سِتَّةَ أَشْهُارٍ فَيَقُولُ لِأُمِّهَا: طَيِّبِهَا وَزَيِّنِهَا حَتَّى أَذْهَبَ بِهَا إِلَى أَقَارِبِهَا. وَقَدْ حَفَرَ لَهَا بَثْرًا فِي الصَّحْرَاءِ فَيَبْلُغُ بِهَا إِلَى الْبَثْرِ فَيَقُولُ لَهَا: أَنْظِرِي فِيهَا. ثُمَّ يَدْفَعُهَا مِنْ خَلْفِهَا، وَيَهِيلُ عَلَيْهَا التَّرَابَ حَتَّى يَسْتَوِيَ الْبَثْرُ بِالأَرْضِ، وَقِيلَ كَانَ الْحَامِلُ إِذَا قَرَبَتْ حَفَرَتْ حَفْرَةً فَتَمَخَضُضُ عَلَى رَأْسِ الْحَفْرَةِ فَإِذَا وَلَدَتْ بِنْتًا رَمَتَهَا فِي الْحَفْرَةِ، وَإِذَا وَلَدَتْ ابْنًا أَمْسَكَتْهُ»^(١).

أَمَّا السبب في هذه الجريمة البشعة فيعود لعدة أمور:

الأمر الأول: كانوا يقولون: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، فَأَلْحَقُوا الْبَنَاتَ بِهِ^(٢)، وَقَدْ أَشَارَ الْبَارِي ﷻ إِلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَالنَّحْوَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنِّئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾^(٣).

الأمر الثاني: أَنَّ السبب في ذلك هو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرٍّ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سَنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ»، فَأَجْدَبُوا سَبْعَ سَنِينَ حَتَّى أَكَلُوا

(١) التفسير الكبير: ج ٣١، ص ٦٩.

(٢) أنظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ج ١٩، ص ٢٣٢.

(٣) الإسراء: آية ٤٠.

الوبر بالدم، كانوا يسمّونه العلهز فوَأدوا البنات لإملاقهم وفقرهم^(١). ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾^(٢).

ثم إن قتل الأولاد فيه خسارة لنفس الوالدين، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٣).

الأمر الثالث: قال قوم: بل كان وأدهم للبنات أنفة، وذلك أن تميماً منعت النعمان بن المنذر الإمارة سنة من السنين، فوجه إليهم أخاه الريان وجلّ من معه من بكر بن وائل، فاستاق النعم وسبا الذراري، فوفدت بنو تميم إلى النعمان فاستعطفوه فرق لهم وأعاد عليهم السبي، وقال: كلّ امرأة اختارت أباهاً رُدّت إليه، وإن اختارت صاحبها تُركت عليه. فكلهنّ اخترن أباهنّ إلا ابنة قيس بن عاصم فإنّها اختارت من سبها. فنذر قيس بن عاصم التميمي أنّه لا تولد له بنت إلا وأدها. ففعل ذلك، ثم اقتدى به كثير من بنى تميم^(٤).

الأمر الرابع: احتقار المجتمع الجاهلي للمرأة، ووجود الفقر الشديد في تلك الحقبة الزمنية، والمرأة كانت مستهلكة غير منتجة، إضافة لعدم اشتراكها في الغارات التي تقوم بها القبيلة لتوفير لقمة العيش. ومما يؤسف له أن جاهلية القرون الأخيرة قد كررت تلك الممارسات البشعة وبصور أخرى، حتى وصل ببعض الدول التي تدّعي التمدّن والتحضّر لأن تقنن وتقر حرية إسقاط الجنين! نعم، فالحال واحدة.. فإذا كان أهل الجاهلية الأولى

(١) زبدة النفاسير: ج ٤، ص ٣٦٣.

(٢) الإسراء: آية ٣١.

(٣) الأنعام: آية ١٤٠.

(٤) أنظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم البحراني): ج ٤، ص ٣٠٠.

يَقْتُلُونَ الْبَنَاتِ، فَمَتَمَدَّنِي هَذَا الْعَصْرُ يَقْتُلُونَ الْأَطْفَالَ وَهُمْ فِي بَطُونِ أُمَمَاتِهِمْ، بَنَاتٌ أَوْ أَبْنَاءُ! ^(١).
وَالْحَالُ إِنَّ إِسْقَاطَ الْجَنِينِ مُحَرَّمٌ شَرْعًا وَعَقْلًا؛ لَكُونَهُ صُورَةٌ قَتْلٍ صَرِيحَةٍ وَوَاضِحَةٍ، وَلَهُ
أَحْكَامٌ فِي الْفَقْهِ الْجَنَائِي.

وَقَدْ بَالِغَ اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّشْدِيدِ عَلَى وَأَدِ الْبَنَاتِ الَّذِي كَانَ سَائِدًا قَبْلَ الْإِسْلَامِ لَعَدَّهِنَّ
عَارًا عَلَى آبَائِهِنَّ وَيَبُوتِهِنَّ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾.

وَقَدْ أَقَرَّ الْإِسْلَامُ مَكَانَةَ الْمَرْأَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، فَقَدْ سَاوَى بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّجُلِ مِنْ حَيْثُ
تَدْبِيرُ شُؤْنِ الْحَيَاةِ بِإِرَادَتِهَا وَعَمَلِهَا، فَإِنَّهَا تَسَاوِي الرَّجُلَ مِنْ حَيْثُ تَعَلَّقَ إِرَادَتُهَا بِمَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ الْمَجْتَمَعُ الْإِنْسَانِي فِي كُلِّ لَوَازِمِ بَقَائِهِ؛ إِذْ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَنِي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مَّنْ
ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ ^(٢) فَلِلْمَرْأَةِ أَنْ تَسْتَقِلَّ بِالْإِرَادَةِ وَلَهَا أَنْ تَسْتَقِلَّ بِالْعَمَلِ،
وَتَمْلِكُ نَتَاجَ عَمَلِهَا، كَمَا كَانَ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا
مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ^(٣)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ^(٤).

نَعَمْ قَرَّرَ الْإِسْلَامُ اخْتِلَافَهَا عَنِ الرَّجُلِ فِي نَقْطَتَيْنِ:

الأولى: إِنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الْحَرثِ فِي تَكُونِ النُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ وَنَمَائِهِ، فَعَلِيِّهَا يَعْتَمِدُ النُّوعُ فِي
بَقَائِهِ، فَتَخْتَصُّ بِأَحْكَامٍ بِمِثْلِ مَا يَخْتَصُّ بِهِ الْحَرثُ، إِذْ هِيَ تَمْتَازُ عَنِ الرَّجُلِ فِي هَذِهِ النُّقْطَةِ.
الثانية: إِنَّ وُجُودَ الْمَرْأَةِ يَتَنَبَّهُ عَلَى الرَّقَّةِ وَالرَّافَةِ وَاللِّطَافَةِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ» ^(٥)، فَتَحُولُ إِلَيْهَا الْأَعْمَالُ وَالْوُظَائِفُ

(١) أَنْظَرُ: تَفْسِيرُ الْأَمْثَلِ: ج ١٩، ص ٤٥١.

(٢) آلُ عِمْرَانَ: آيَةُ ١٩٥.

(٣) الْبَقَرَةُ: آيَةُ ٢٨٦.

(٤) الْبَقَرَةُ: آيَةُ ٢٣٤.

(٥) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ: ج ٣، ص ٥٦.

الاجتماعية التي تنسجم مع هذه الصفات^(١).

وهذه الآية تؤكد لنا ما روته الأحاديث عن قسوة العرب على المرأة، ومدى احتقارهم لها، وقد ساءهم نزول الوحي حينما جاء ينصف المرأة، ويجعل لها نصيباً من المال كغيرها من الورثة، فعاتب بعض العرب الرسول في ذلك محتجاً عليه بأنها لا تركب الفرس ولا تقابل العدو، وكان يحق لابن الزوج أن يتزوج بزوجة أبيه إذا لم تكن أمّاً له، فحرّم عليهم الإسلام هذا الزواج، ونهت عنه الآية الكريمة من سورة النساء، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢). وكل ذلك عناية من الإسلام بالمرأة^(٣).

الأقوال في المؤودة

ثم أنّه قد اختلفت الأقوال في المؤودة ما هي؟ على عدّة أقوال؛ والسبب في هذا الاختلاف هو الاختلاف في الروايات، وهي طوائف، ولكن سنعرض منها بعض الروايات:

الرواية الأولى: ما روي عن ابن عباس: «كانت المرأة إذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها فإن ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإن ولدت غلاماً حبسته»^(٤).

كيفية سؤال المؤودة؟

لو أمعنا النظر في أسلوب كلام الآية، لرأينا أن السؤال سيوجه يوم القيامة إلى

(١) أنظر: بحوث في الفقه المعاصر: ج ٦، ص ٤٤٣.

(٢) النساء: آية ٢٢.

(٣) أنظر: تاريخ الفقه الجعفري: ص ٦٠.

(٤) أنظر: تفسير مجمع البيان: ج ١٠، ص ٢٧٧.

الموءودة نفسها دون الوائد المقيم على الذنب، الذي قُتِلَ من أجله، وكأنَّ القاتل لا قيمة له حتى يسأل عن قباحة جريمته، بالإضافة إلى الاكتفاء بشهادة الموءودة لإثبات جريمة الوائد عليه، فالموءودة تعامل يوم القيامة باعتبارها إنسان محترم له حقوقه، والرائد مهمل مهان^(١).

وقد يسأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، فيقول: كيف يصح أن يُسأل مَنْ لا ذنب له ولا عقل، فأَيُّ فائدة في سؤالها عن ذلك؟ وما وجه الحكمة فيه؟ وما الموءودة؟ ومن أي شيء اشتقاق هذه اللفظة؟!

الجواب: أمّا معني (سُئِلَتْ) ففيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المراد أن قاتلها طوّل بالحجة في قتلها، وسُئِلَ عن قتله لها، وبأي ذنب كان؟ على سبيل التوبيخ والتعنيف، وإقامة الحجة. فالقَتْلَةُ هاهنا هم المسؤولون على الحقيقة لا المقتولة، وإنّما المقتولة مسؤول عنها، ويجرى هذا مجرى قولهم: سألت حقي، أي طالبت به، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾، أي: مطالباً به مسؤولاً عنه.

والوجه الآخر: أن يكون السؤال توجّه إليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ له والتقرّيع له، والتنبيه له على أنّه لا حجة له في قتلها، ويجرى هذا مجرى قوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢) على طريق التوبيخ لقومه وإقامة الحجة عليهم^(٣).

ويمكن أن يكون الله سبحانه أكملها في تلك الحال، وأقدرها على النطق حتى

(١) أنظر: تفسير الأمثال: ج ١٩، ص ٤٥٢.

(٢) المائدة: آية ١١٦.

(٣) أنظر: أمالي السيد المرتضى: ج ٤، ص ١٨٩.

قالت ذلك القول، ويعضده ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يجي المقتول ظمًا يوم القيامة، وأوداجه تشخب دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، متعلقًا بقاتله، يقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني»^(١).

الرواية الثانية: ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، قال: «يقول: أسألكم عن المودة التي نزلت عليكم فضلها مودة القريبى، بأي ذنب قتلتموهم؟!»^(٢).

الرواية الثالثة: ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، قال: «نزلت في الحسين بن علي عليه السلام»^(٣).

الرواية الرابعة: ما في تفسير علي بن إبراهيم، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، قال: «مَن قُتِلَ فِي مَوَدَّتِنَا»^(٤).

ومن طريف القول ما كتبه المأمون لبعض مَن سألَه من بني هاشم، وفيه يذكر فضل أهل البيت عليهم السلام عموماً وأمير المؤمنين عليه السلام خصوصاً، جاء فيه: «... ثم نحن، وهم يد واحدة، كما زعمتم، حتى قضى الله تعالى بالأمر إلينا فأخفناهم وضيقنا عليهم وقتلناهم أكثر من قتل بني أمية إياهم.

ويحكم! إن بني أمية إنما قتلوا منهم مَن سلَّ سيفاً، وإنّا معشر بني العباس قتلناهم جملاً، فلتسألن أعظم الهاشمية بأي ذنب قُتِلت، ولتسألن نفوس ألقيت في دجلة والفرات، ونفوس دُفنت ببغداد والكوفة أحياء، وهيهات إنّه مَن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن

(١) مجمع البيان: ج ١٠، ص ٢٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٧٢، ح ٣٨.

(٣) كامل الزيارات: ص ١٣٤، ح ٣.

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ٤٠٧.

يعمل مثقال ذرة شراً يره»^(١).

الرواية الخامسة: ما رواه المفضل، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «يا مولاي أسأل؟ قال: اسأل. قال: يا مولاي ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سَلَّتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾. قال: يا مفضل تقول العامة: إنها في كل جنين من أولاد الناس يقتل مظلوماً. قال المفضل: نعم، يا مولاي هكذا يقول أكثرهم. قال: ويلهم من أين لهم؟! هذه الآية هي لنا خاصة في الكتاب، وهي محسن عليه السلام؛ لأنه منا، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، وإنما هي من أسماء المودة، فمن أين إلى كل جنين من أولاد الناس، وهل في المودة والقربى غيرنا يا مفضل؟ قال: صدقت يا مولاي، ثم ماذا؟ قال: فتضرب سيدة نساء العالمين فاطمة يدها إلى ناصيتها، وتقول: اللهم أنجز وعدك وموعدك فيمن ظلمني وضربني وجرّعني ثكل أولادي. ثم تلبسها ملائكة السماء السبع، وحملة العرش، وسكان الهواء، ومن في الدنيا، وبين أطباق الثرى، صائحين صارخين بصيحتها وصراخها إلى الله، فلا يبقى أحد ممن قاتلنا ولا أحب قاتلنا، وظلمنا ورضي بغضبنا وبهضمنا، ومنعنا حقنا الذي جعله الله لنا إلا قُتل في ذلك اليوم كل واحد ألف قتلة، ويدوق في كل قتلة من العذاب ما ذاقه من ألم القتل سائر من قُتل من أهل الدنيا من دون من قُتل في سبيل الله، فإنه لا يدوق الموت، وهو كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

و«رغمًا على أناف أهل الجاهلية وسوء آرائهم أكرم الله تعالى حبيبَه محمدًا ﷺ بحبيته

(١) بحار الأنوار: ج ٤٩، ص ٢٠٨-٢١١، ح ٣.

(٢) الهداية الكبرى: ص ٤١٨.

فاطمة؛ ليفهم الناس أنَّ هذا ليس بنقيصةٍ، وإلاَّ لما جعله الله لحبيبه، وقد تنزهه عن كلِّ نقص وعيب، فأعطاه فاطمة الزهراء، وقد ولد له القاسم والطاهر وإبراهيم وكنى عليه السلام بأسمائهم: أبا القاسم، وأبا الطاهر، وأبا إبراهيم، ولكن أخذهم من حبيبه وأبقى له فاطمة، وجعل نسله منها، ولذا قال عليه السلام: ذرية كلِّ نبي من صلبه، وذريتي من ابنتي فاطمة، وقال له: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ^(١)، يعنى: الخير الكثير من فاطمة، وهو كثرة الذراري، من أجل ذلك سُمِّيت بالمباركة.

وقال عبد الله بن سليمان بن فرات: قرأت في الإنجيل في وصف النبي عليه السلام نكاح النساء ذو النسل القليل، إنَّما يكون نسله من ابنة له مباركة - يعني هي التي أعطى الله البركة في نسلها - بحيث إنَّ الكفرة والفجرة كلَّما يجتهدون في أن يبيدوا نسلها عن جديد الأرض يأبى الله ذلك، ولقد اجتهدت وسعت فراغة الأُمَّة في ذلك وأتلفت ذراري رسول الله عليه السلام تحت كلِّ حجر ومدر ومغارة، وبنوا عليهم الأسطوانات وقتلوهم وشرَّدوهم، بل ومن الفراعنة أراد أن يحرقهم بالنار وهو أبو جعفر المنصور. وجَّه إلى الحسن بن يزيد وإلى المدينة: أن أحرق الدار على جعفر بن محمد الصادق. ففعل الوالي، فأخذت النار في الباب والدهليز، فخرج أبو عبد الله يتخطَّى النار ويمشي فيها، ويقول: أبا ابن أعراق الثرى، أنا ابن إبراهيم خليل الله، وهذا ليس بأول قارورة كُسرت في الإسلام، ولقد أضرموا النار على جدِّته الزهراء، وأرادوا أن يحرقوها وعلياً والحسين بالنار، نار التي أضرموها على باب الزهراء عليها السلام هي التي أحرقت دار إمامنا الصادق عليه السلام، وأحرقت خيم الحسين عليه السلام ^(٢).

ومن في هذه البيوت وخلف الأبواب وتحت الخيام؟! فيها وتحتها الأطهار والأنوار

(١) الكوثر: آية ١.

(٢) شجرة طوبى: ج ٢، ص ٣٧٦.

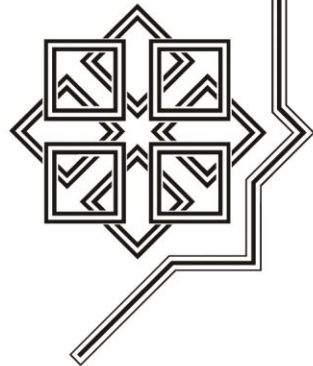
وسادة الخلق أجمعين، فلعنة الله تعالى على مَنْ أسس حرق الأبواب والبيوت والخيام،
ورحم الله البرقي حيث يقول:

وليس في البيتِ إلّا كلُّ طاهرةٍ
فلم أقلّ غدرا، بل قلتُ قد كفرا
وكلّ ما كان من جورٍ ومن فتنٍ
من النساءِ وصديقيّ وسبطانٍ
والكفرُ أيسرُ من تحريقٍ ولدانٍ
ففي رقابهما في النار طوقان^(١).

(١) الصراط المستقيم: ج ٣، ص ١٣.

الحاضرة العاصرة

النساء الكمل



روي عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ»^(١).

الكمال صفةٌ يتمناها كلُّ إنسان، وهي تتمثلُ بعدة علامات في الشخص، فقد يكون بصفة العلم، فيقال: هذا الفرد كاملٌ من جهة العلم، وقد يكون تامٌّ من جهة الأخلاق، فيقال: هذه المرأة كاملة الأخلاق، وقد يكون غير ذلك، وقد يُعظم الإنسان من كلِّ الجهات، فيكون الإنسان الكامل، الذي أشارت إليه الرواية الشريفة المروية من الفريقين، فيكون الإنسان حينئذٍ من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وهم كثير كَمَلُ كلِّهم وعلى جميع المستويات، من العلم والحلم والشجاعة والعبادة والزهادة، وكلِّ شيء، وقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «كمال الرجل بست خصال بأصغريه، وأكبريه، وهيئته. فأما أصغراه: فقلبه ولسانه، إن قاتل قاتل بجنان، وإن تكلم تكلم ببيان. وأما أكبراه: فعقله وهيمته. وأما هيئته: فماله وجهاله»^(٢)، ولكن لما لم يكن عندنا من النساء أنبياء ولا أوصياء صار كمال النساء محصوراً بقلّة، أشار إليها الحديث الشريف. وهنا وقفة قصيرة مع البخاري وغيره ممن روى هذا الحديث، حيث إنهم ذكروا الحديث بطريق ملتوٍ آخر، وبنفس السند، حيث قال: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل

(١) تفسير مجمع البيان: ج ١٠، ص ٦٥. زبدة التفاسير: ج ٧، ص ١١٩. التفسير الأصفي: ج ٢، ص ١٣٢٦. التفسير الصافي: ج ٥، ص ١٩٨. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٣٧٧، ح ٥٥. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج ١٣، ص ٣٤٥. ومن تفاسير الجمهور: تفسير الكشاف: ج ٤، ص ١٣٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ج ٥، ص ٢٢٧. تفسير أبي السعود: ج ٨، ص ٢٧٠. تفسير الآلوسي: ج ٢٨، ص ١٦٥.

(٢) الخصال: ص ٣٣٨، ح ٤٢.

من النساء إِلَّا آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَرِيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(١).

وهو كما تلاحظ التفاف على الحديث واضح، وخيانة سافرة للأمانة التي أُلقيت على عاتق أهل الحديث، فأنت تلاحظ بشكل واضح أنَّ هذا الانفراد مخالفٌ لما رواه مشهور الفريقين، فيكون شاذاً، كشذوذ حديث ابن كثير في تفسيره - وإن كان بسند آخر - «كَمَل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إِلَّا ثلاث...»، وقد حذف فاطمة عليها السلام من النساء الكَمَل^(٢).

مضافاً إلى أنَّ نسق الحديث ولحن الكلام قد اختلف تماماً، فأنت ترى الهبوط في الألفاظ من الكمال إلى الثريد، وهذا لا يخفى على أدنى الناس، بل الأعراب وأهل البادية يدركون ذلك، فضلاً عن أهل العربية والبلاغة من المفسرين، كما روى الرازي في تفسيره، قال: «قال الأصمعي: كنت أقرأ سورة المائدة ومعني أعرابي، فقرأت هذه الآية، فقلت: (والله غفورٌ رحيم) سهواً، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ فقلت: كلام الله. قال: أعد، فأعدت: (والله غفورٌ رحيم)، ثم تنبهت، فقلت: (والله عزيزٌ حكيم). فقال: الآن أصبت. فقلت: كيف عرفت؟ قال: يا هذا، عزيزٌ حكيم، فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع»^(٣).

وفي الحديث الذي ذكره البخاري ومسلم وغيره نرى نفس التعجب والاستنكار الذي أحسَّ به الأعرابي مع الأصمعي؛ إذ كيف يجعل الفضل لعائشة، فلم يجد إِلَّا طريق

(١) صحيح البخاري: ج ٤، ص ١٣٢، ص ١٣٩، وج ٦، ص ٢٠٥. ومثله مسلم في صحيحه ج ٧، ص ١٣٣، وغيرهما.

(٢) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): ج ١، ص ٣٧١.

(٣) تفسير الرازي: ج ١١، ص ٢٢٩.

الثريد، وكأتما الثريد أمرٌ مُسلَّم في أنّه أحسن الطعام! والحال أنّه طعام محل اختلاف في تذوقه، فكثيرٌ من الناس - قديماً وحديثاً - لا يحبّه، فهو ليس كالشمس والقمر اللذان هما جمالٌ مُطلق، أو كالخضرة والماء والوجه الحسن، وغيرها من الأشياء التي لا يختلف اثنان في حسنهما وجمالها.

فالبخاري وغيره ممّن لفقوا هذا التلاعب في الحديث أرادوا أن يشبّوا فضلاً لعائشة، لكنّهم لم يفلحوا في ذلك أبداً.

مضافاً إلى أنّ الحديث - وأهل الحديث يعرفون ذلك - لو دار الأمر فيه بين الزيادة والنقيصة وكلاهما مروي يكون المدار والبراءة على الزائد منه لا على الناقص الشاذ، الذي هو محل خلاف، فيؤخذ بالقدر المتيقن المتفق عليه.

ولنمرّ بكمال هذه النسوة بشكل سريع ثم نركّز حديثنا على كمال صاحبة الذكرى - أمّ المؤمنين وجدة الأئمة المعصومين عليهم السلام السيدة خديجة عليها السلام - وأمّا كمال السيّدة الطاهرة الشهيدة بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله فمما لا يحويه الفكر، ولا يسعه الصدر، والحديث عنها عليها السلام وعن كمالها يحتاج إلى الكثير الكثير:

١. كمال آسية بنت مزاحم

آسية بنت مزاحم زوجة فرعون، ضرب الله بها المثل للمرأة الصالحة؛ حيث قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

ونلاحظ أنّ القرآن الكريم يريد من المرأة الإنسانية أن تكون مستقلة عن كلّ أحد في

(١) التحريم: آية ١١.

عقائدها، ولم يقبل منها أي نوع من أنواع التبعية للغير في أمر التدبّن والطهارة الروحية والعقيدة، وهذا ما نراه في قضية آسية بنت مزاحم زوجة فرعون، فآسية بنت مزاحم كانت على دين زوجها فرعون، ولكنها عندما شاهدت البيّنات في معجزة نبيّ الله موسى ﷺ أمام السحرة آمنت به، ومع اطلاع فرعون على الأمر نهاها مراراً، لكنها أبت إلاّ التمسك بالدين الإلهي، وعارضت الملك والسلطة رغم التهديد بالقتل، بل ووقوع القتل عليها، فلمّا تبين إيمانها لفرعون وثبت عليه، أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس، وأمر بصخرة عظيمة تُلقى عليها، فلمّا أتوا بالصخرة قالت: ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة. فأبصرت بيتها في الجنة من درّة بيضاء، وانتزع الله روحها فألقيت الصخرة عليها وليس في جسدها روح، فلم تجد ألماً من عذاب فرعون. وعن الحسن وابن كيسان: «رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب»^(١).

فآسية بنت مزاحم قد حافظت على طهارتها الروحية، وتحذّت ضغوط الزوج والسلطة والإغراءات التي كان يتباهى بها فرعون، بل استصغرت تباهي فرعون حيث كان يقول: ﴿وَكَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ۚ قَالَ يَفْقَوْمَ ٱلْأَيْسَ لِي مُلْكُ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَرُ تُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِي ۖ أَفَلَا بُصِّرُونَ﴾^(٢)، ولكن آسية جابهت كلّ هذا بإصرارها على قبول الحق والبرهان وكانت تقول - كما حكى لنا القرآن ذلك -: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾^(٣).

فهذا المثال للمرأة المتديّنة يدلّ على أنّ المرأة التي هي شريكة الرجل في الإنسانية يمكنها أن تصل إلى هذه المرتبة العالية من الطهارة الروحية والتدبّن الفعلي، فتقاوم أشدّ

(١) عمدة القاري: ج ١٥، ص ٣٠٨.

(٢) الزخرف: آية ٥١.

(٣) التحريم: آية ١١.

الضغوط عليها في البيت الزوجي^(١).

٢. كمال مريم بنت عمران

وأما كمال أم النبي عيسى عليه السلام السيِّدة مريم عليها السلام، فكان بشدَّة عفَّتْها، وكثرة عبادتها، فقد جعلها الله تبارك وتعالى المثل الأعلى للنساء الصالحات القانتات، حيث قال جلَّت قدرته: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنَاتِ﴾^(٢).

في مجمع البيان: «أي منعت فرجها من دنس المعصية، وعفت عن الحرام. وقيل: معناه منعت فرجها من الأزواج لم تبتغ زوجاً ولا غيره. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾»، أي: فنفخ جبرائيل بأمرنا في جيبها من روحنا. عن قتادة. وقال الفراء: كل شق فهو فرج، وأحصنت فرجها منعت جيب درعها من جبرائيل. وقيل: نفخ جبرائيل في فرجها، وخلق الله منه المسيح^(٣).

٣. كمال السيِّدة خديجة بنت خويلد

وأما كمال السيِّدة خديجة عليها السلام، فنستطيع الوقوف عليه من طريق ما وصلنا من ثناء الله تعالى وثناء رسوله الأكرم صلَّى الله عليه وآله، وسنذكر ذلك ضمن هذه النقاط المدعومة بالنصوص:

١- التحية والسلام عليها من العليِّ الأعلى، فعن زرارة، وحران بن أعين، ومحمد

(١) أنظر: بحوث في الفقه المعاصر: ج ٦، ص ٢٧١.

(٢) التحريم: آية ١٢.

(٣) تفسير مجمع البيان: ج ١٠، ص ٦٥.

بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «حَدَّث أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ جَبْرِئَلَ قَالَ لِي لَيْلَةً أُسْرِي بِي وَحِينَ رَجَعْتُ فَقُلْتُ: يَا جَبْرِئِيلُ، هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ؟ فَقَالَ: حَاجَتِي أَنْ تَقْرَأَ عَلَى خَدِيجَةَ مِنَ اللَّهِ وَمَنِّي السَّلَامُ... وَأَتَاهَا قَالَتْ حِينَ لَقِيَهَا نَبِيُّ اللَّهِ (عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ)، فَقَالَ لَهَا الَّذِي قَالَ جَبْرِئِيلُ، قَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَمِنْهُ السَّلَامُ، وَإِلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلَى جَبْرِئِيلَ السَّلَامُ»^(١).

٢- وَكَوْنَهَا عليها السلام مِنْ أَهْلِ الْأَعْرَافِ؛ لَمَّا رَوَى عَنِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾^(٢)، قَالَ: «سُورٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ قَائِمٌ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلِيُّ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ وَفَاطِمَةُ وَخَدِيجَةُ عليها السلام، فَيَنَادُونَ أَيْنَ مُحَبُّنَا أَيْنَ شَيْعَتُنَا؟ فَيَقْبَلُونَ إِلَيْهِمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسَمْنِهِمْ﴾ فَيَأْخُذُونَ بِأَيْدِيهِمْ فَيَجُوزُونَ بِهِمُ الصَّرَاطَ وَيَدْخُلُونَهُمُ الْجَنَّةَ»^(٣).

٣- وَكَوْنَهَا عليها السلام مِنْ أَصْحَابِ آيَةِ الْاِصْطِفَاءِ، فَعَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ، قَالَ: «دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام وَعَائِشَةَ وَهِيَ يَفْتَخِرَانِ وَقَدْ احْمَرَّتْ وَجُوهُهُمَا! فَسَأَلَهَا عَنْ خَبَرِهِمَا؟ فَأَخْبَرَتْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَائِشَةُ، أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ وَعَلِيًّا وَالحَسَنَ وَالحُسَيْنَ وَهَمْرَةَ وَجَعْفَرَ وَفَاطِمَةَ وَخَدِيجَةَ عَلَى الْعَالَمِينَ»^(٤).

٤- خَلَقَ اللَّهُ لَهَا عليها السلام بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، فَقَدْ رَوَى ابْنُ الْمَغَازَلِيِّ بِسَنَدِهِ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: «بَشَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ بَبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَحْبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»^(٥).

(١) تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٧٩، ح ١٢.

(٢) الأعراف: آية ٦٤.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ص ٥٣.

(٤) تفسير فرائد الكوفي: ص ٨٠، ح ٣١.

(٥) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ص ٣٥٤، ح ٤٥٨.

٥- وكونها ﷺ من جملة النساء اللواتي هنّ أفضل نساء أهل الجنة؛ لما روي عن ابن عباس، قال: خطَّ رسولُ الله ﷺ أربعَ خططٍ في الأرض وقال: «أتدرون ما هذا؟» قلنا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء [أهل] الجنة أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»^(١).

٦- وروى البلاذري عن عائشة، قالت: «دخلت امرأة سوداء على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأقبل عليها واستبشر بها. فقلت: يا رسول الله، أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت تدخل على خديجة كثيراً، وإنَّ حَسَنَ العهدِ من الإيمان»^(٢).
فرسول الله ﷺ يحسن إلى واحدة من النساء؛ والسبب أنَّها كانت تدخل على السيِّدة خديجة ﷺ كثيراً، فأَيُّ مقام لها هي ﷺ عند رسول الله ﷺ؟!

٧- كثرة ثناء النبي الأكرم ﷺ عليها ﷺ، فقد روت عائشة أيضاً أنَّه: «كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السنّ. قالت: فرأيت رسولَ الله ﷺ غضبَ غضباً شديداً فسقط [ما] في يدي وقلت في نفسي: اللهم أن أذهب غضب رسولك محمد ﷺ لم أعد لذكرها بسوء ما بقيت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما لقيت قال: كيف قلت؟ والله لقد آمنتُ بي إذ كفر الناس، وأدنتني إذ رفضني الناس، وصدّقني إذ كذّبني الناس، ورُزقت منها الولد حيث حُرمتوه. قالت: فغدا وراح ﷺ في كلمتي هذه شهراً»^(٣).

هكذا كانت السيدة خديجة ﷺ آمنت به ﷺ عندما كفر به الناس، وأدنت الرسول الأكرم ﷺ عندما رفضه الناس، ورُزق منا سيِّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين،

(١) الخصال: ص ٢٠٥-٢٠٦، ح ٢٢.

(٢) أنساب الأشراف: ج ١، ص ٩٨.

(٣) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ج ١، ص ٦٧٨-٦٧٩.

فمن الطبيعي جدًّا أن امرأة كهذه فراقها يهدّ رسول الله ﷺ، ويسمّي العام الذي تفارقه فيه بعام الحزن^(١)، لكن ليت شعري أيّ عام يسمّي العام الذي قُتل فيه سيّد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وسُبيت فيه نساؤهم؟!

يقول الحاج هاشم الكعبي رحمه الله:

لَقِيَ النَّبِيَّ الْأَطْهَرَ	لِللَّهِ أَيْمُنُهُ مَخْنُوعَةٌ
فَطَرِيقَتُهَا مَحْجَرٌ	مِنْ أُمَّةٍ عَدَتْ الْهَوَى
بِمَا بِالْمَهَنِّ دِئِنَحَرٌ	وَحَبِيبُهُ كَالشَّاةِ ظَلَمٌ
حَيٍّ بِالسَّيْفِ مُجَزَّرٌ	وَرَجَالُهُ مِثْلُ الْأَضَا
بِى لِلطَّغَامِ وَتَوْسَرٌ ^(٢)	وَبَنَاتُهُ وَبَنُوهُ تُسَبُّ

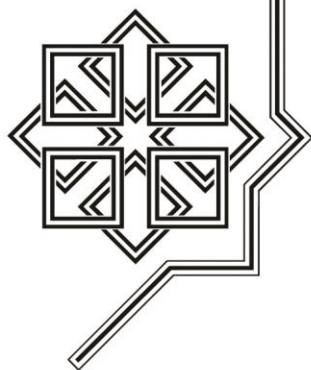
(١) أنظر: مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ١٥٠.

(٢) الدرّ النضيد: ص ١٥٣.

الحاضرة الحادية عشرة

السيدة الزهراء عليها السلام

على لسانها



قالت السيدة الزهراء عليها السلام: «أيها الناس، اعلّموا أنّي فاطمة وأبي محمّد، أقول عوداً وبدواً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً»^(١).

قد يستعمل المخاطب في ندائه ومطلع كلّ حديثٍ مهم النداء بالطريقة القرآنية، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾^(٢)، والتي وردت في القرآن الكريم في مواضع عديدة.

وقد يستعمل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٣). وكقوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَزَلْنَا عَلَىٰ ذُرِّيَّتِهِ لِبَاسًا يُرَىٰ سَوَاءَ تَكْمُ...﴾^(٤).

وكذلك في الأحاديث القدسية، كما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «قال الله: أنفق يا ابن آدم، أنفق عليك»^(٥).

وهناك نكتة على نحو العموم في مثل هذه النداءات حاصلها: أنّ مثل هذه النداءات لها أهميّة في تنبيه المستمع والتأكيد عليه؛ ومن هنا ذهب البعض من العلماء إلى أنّ مثل هكذا نداءات يمكن وصفها بحكم الاستحباب؛ لكونها مقدّمة مهمّة في بيان المراد على النحو الأكمل، مضافاً إلى أدلة الأسوة^(٦).

ابتدأت السيّدة الزهراء عليها السلام خطبتها الشريفة في المسجد النبويّ في حشدٍ من المهاجرين والأنصار، وأمام الحاكم الجديد الذي يريد أن يتسنّم الرّعاية بعد الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله، وقد ذكرت عليها السلام أموراً في أصول العقيدة وفلسفة بعض التكاليف الإلهية، ثمّ

(١) شرح الأخبار: ج ٣، ص ٣٤.

(٢) البقرة: آية ٢١.

(٣) البقرة: آية ١٥٣.

(٤) الأعراف: آية ٢٦.

(٥) صحيح البخاري: ج ٦، ص ١٨٩.

(٦) أنظر: من فقه الزهراء: ج ٣، ص ١١٠-١١١.

شرعت في الدخول في صلب الموضوع الذي خرجت السيِّدة الزهراء من أجله، ألا وهو بيان مظلوميتها، ومظلومية بعلها وأهل بيتها عليهم السلام، واستلاب الحقوق المادية والمعنوية، وأهمَّها موضوع الخلافة للنبي الأكرم صلَّى الله عليه وآله، ولكن أيضاً بدأت عليها السلام ببيان مَنْ هو الخطيب حتى يُسمع خطابه أو لا يُسمع، وما هي منزلته ومرتبته ومنزلته عند الله تعالى وعند رسوله صلَّى الله عليه وآله؟

وإنَّما يعمد الخطيب إلى بيان هويته ومنزلته في مقامين:

المقام الأوَّل: عندما يكون المخاطَّبون والحاضرون والسامعون جاهلين بهويَّة الخطيب ومقامه، كما لو خطب الخطيب في غير بلده، أو في غير قومه، كما صنع الإمام زين العابدين عليه السلام في الشَّام عندما ارتقى الأعواد، حيث قال: «أيُّها الناس، مَنْ عرفني فقد عرفني، ومَنْ لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا ابن مَكَّةَ ومنى، أنا ابن المروة والصفاء، أنا ابن محمَّد المصطفى صلَّى الله عليه وآله»^(١).

المقام الثاني: أن ينزِّل الخطيب الحاضرين والسامعين منزلة الجاهلين بالمتكلِّم؛ لكونهم من البلادة والغباوة وعدم الفطنة بدرجة أنَّهم ضيَّعوا منزلة الخطيب الذي عاش بين أيديهم، وسمعوا التوصية به من زعمائهم وقادتهم، فصاروا كما يقول قائلهم - في قضية شهادة الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله وقراءة قوله تعالى: ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٢) - فو الله لكانَّ النَّاس ما سمعوا هذه الآية حتَّى تلاها أبو بكر، وقال عمر: لَمَّا سمعته يتلوها هويت إلى الأرض، وعلمت أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله قد مات^(٣).

والظاهر أنَّ السيِّدة الزهراء عليها السلام في المقام الثاني؛ إذ القوم يعرفونها، وقد سمعوا مقالات الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله في حقِّها، ولذا عندما أتت آتة في أوَّل دخولها إلى المسجد

(١) الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٩.

(٢) آل عمران: آية ١٤٤.

(٣) أنظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ٣، ص ٦٢.

أجهش القوم لها بالبكاء، وما ذاك إلا لأنهم تذكروا رسول الله صلى الله عليه وآله ووصاياه بها عليها السلام، فهي عليها السلام أنزلت القوم منزلة الجاهل والمضيّع لحق الخطيب^(١).

مضافاً إلى أنّها بهذه الطريقة قد قطعت العلل والتبريرات لكلّ الحاضرين ومن سيأتي بعدهم من المشكّكين وأصحاب الأقلام المسيّسة والمأجورة في آتة: من قال إنّ هذا الكلام صدر من السيِّدة الزهراء عليها السلام؛ لعله من امرأة أخرى، أو فاطمة من الفواطم غير فاطمة بنت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؛ لذا قالت عليها السلام: «اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله»، فصاحبة هذا الكلام هي السيِّدة الزهراء عليها السلام بلا تردد^(٢).

إنّني بضعةٌ منه صلى الله عليه وآله أحمل سجاياه، فهو لا يعرف الكذب، وأنا لا أعرفه، وهو لا يهتمّ للعنينا وأنا مثله، وهو لا يترك الحقّ وأنا كذلك.

وإن كان البعض يفتخر أنّه صاحبٌ له صلى الله عليه وآله أو زوج له فأنا منه، أي إنّني أقرب الناس عليه، فأكون أولى بتعليمه لي، فلا يعقل أن يعلمكم شيئاً ولا يعلمني، أو يختصّكم بشيء ولا يشملني، فأنتم الآن خصوم رسول الله صلى الله عليه وآله في فعلكم هذا لأنّني منه صلى الله عليه وآله.

اعلموا أنّي فاطمة التي يقول أبوها صلى الله عليه وآله في حقّها: «فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها، ويربيني ما يربّيها»^(٣)، و«فاطمة روعي التي بين جنبي»^(٤)، و«يرضى الله لرضي فاطمة، ويغضب لغضبها»^(٥).

وكانت إذا دخلت عليه رحّب بها، وقبّل يديها وأجلسها في مجلسه، فإذا دخل عليها

(١) أنظر: خطاب وحراب: ص ٢٦١-٢٦٣.

(٢) أنظر: من فقه الزهراء: ج ٣، ص ١٨.

(٣) السنن الكبرى (النسائي): ج ٥، ص ٩٧.

(٤) الاعتقادات للشيخ المفيد: ص ١٠٥.

(٥) الاحتجاج: ج ٢، ص ١٠٣، عنه بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢١.

قامت إليه، فرحبت به، وقبّلت يديه، وكان ﷺ يُكثر تقبيلها، وكلّمَا اشتاق إلى رائحة الجنة يشم رائحتها، وكان يقول: «فاطمة بضعة مني، مَنْ سرّها سرّني، وَمَنْ ساءها فقد ساءني، فاطمة أعزّ الناس إليّ»^(١).

فهي حبيبة الرسول الأكرم ﷺ ويكفي ذلك فضلاً؛ لأنّ مَنْ أحبّه الرسول أحبّه الله تبارك وتعالى، وَمَنْ أحبّه الله تبارك وتعالى أدخله الجنة، وذلك هو الفوز العظيم^(٢).
اعلموا أنّي فاطمة التي كان النبي ﷺ يقف على باب بيتها ستّة أشهر^(٣)، فأنا لست مجرد اسم عابر، إنّما أنا سيدة نساء العالمين، وهذا لا يكون إلّا لِمَنْ له مقام عظيم.
اعلموا أنّي بنت الرسالة إيماناً وهجرةً وجهاداً وإنفاقاً وتحملاً للأذى، ومعلوم عندكم جهادي من أيام طفولتي، فأنا الصغيرة التي كانت تأتي إلى أبيها ﷺ وهو في الكعبة قد وضع المشركون على ظهره سلا الجزور، فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتّمهم^(٤)، وهي نفسها الكبيرة التي يخرجها الله لمباهلة النصارى^(٥).

اعلموا أنّي حبيبة محمد ﷺ التي كان يقوم لها إذا أقبلت، ويقبّلها، وهي نفسها التي يكنّيها بـ (أمّ أبيها)، التي كانت الهموم تنجلي عن قلبه الشريف إذا رآها فهي نور عينه ﷺ، وهي ثمرة فؤاده، وروحه التي بين جنبيه^(٦).

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٢٤.

(٢) أنظر: بيت الأحزان: ص ٣٠-٣١. الأنوار البهية: ص ٥٨٥٧.

(٣) أنظر: مسند أحمد: ج ٣، ص ٢٥٩. سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣١. المعجم الكبير: ج ٣، ص ٥٦. سير أعلام النبلاء: ج ٢، ص ١٣٤. مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٢١. البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٤، وغيرها من المصادر والقضية مستفيضة، بل متواترة.

(٤) أنظر: السيرة النبوية (ابن كثير): ج ٢، ص ١٤٨.

(٥) أنظر: تفسير السمعي: ج ١، ص ٣٢٧. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ج ١، ص ١٥٦. نظم درر السمطين: ص ١٠٨. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: ص ١٥٥.

(٦) أنظر: أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٧٤-١٧٥، ح ٢.

«أقول عوداً وبدواً»، أولاً وآخرأً، أي: إنّ كلامي الأخير هو عين كلامي الأوّل وذاته، لا أن أقول شيئاً ثمّ أتكلّم بما يناقضه ويعارضه، كما هو شأن الكثير من السياسيين وأرباب السلطات ومن أشبههم^(١).

«ولا أقول ما أقول غلطاً»، غلط في منطق غلطاً، أي: أخطأ وجه الصواب و(غلطته) أنا، بمعنى: قلت له: (غلطت)، أو نسبته إلى الغلط^(٢).

وقال الجوهري: «غلط في الأمر يغلط غلطاً، وأغلطه غيره. والعرب تقول: غلط في منطق، وغلّت في الحساب، وبعضهم يجعلها لغتين بمعنى»^(٣).

«ولا أفعل ما أفعل شططاً»، الشطط: مجاوزة القدر في كلّ شيء، يقال: أعطيته ثمناً لا وكساً ولا شططاً، وأشط الرجل إشطاطاً، أي: جار في قضيته^(٤)، كقوله تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً﴾^(٥)، وقال تعالى على لسان الخصمين اللذين دخلا على نبيّ الله داود عليه السلام: ﴿فَلَحَكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطُطْ﴾^(٦).

فهي عليها السلام لا تقول غلطاً، ولا تفعل شططاً، فكلامها عليها السلام لم يصدر إلّا عن بصيرة وحكمة، وهو مطابق للواقع، وقولها لم يتعد عن الحق.

والمراد من الفعل في المقام هو مجيؤها للمسجد ومناصرتها للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكلّ ما قامت به عليها السلام. ثمّ إنّ الفعل يشمل الكلام كما أنّ القول يشمل الفعل أيضاً^(٧).

(١) من فقه الزهراء: ج ٣، ص ٢٢.

(٢) أنظر: المصباح المنير: ج ٢، ص ٤٥٠.

(٣) أنظر: الصحاح: ج ٣، ص ١١٤٧.

(٤) أنظر: العين: ج ٦، ص ٢١٢.

(٥) الجن: آية ٤.

(٦) ص: آية ٢٢.

(٧) أنظر: من فقه الزهراء: ج ٣، ص ٢٤.

ولمَّا لم يتبهاوا لمقامها فستخرج يوم القيامة وينادي المنادي: أَيُّهَا النَّاسُ غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَجُوزَ فَاطِمَةُ، هِيَ فَاطِمَةُ الَّتِي تَكَبَّرْتُمْ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا، سَتَمُرُّ الْآنَ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ مَطَّاطُونَ رُؤُوسَكُمْ، فَاطِمَةُ الَّتِي ظَلَمَهَا بَعْضُكُمْ فِي الدُّنْيَا سَتَأْتِي الْآنَ لِتَأْخُذَ بِحَقِّهَا، فَاطِمَةُ الَّتِي اسْتَصْغَرْتُمُوهَا فِي الدُّنْيَا سَيَنْكَشِفُ لَكُمْ الْيَوْمَ بَعْضُ مَقَامِهَا.

مَنْ هُنَا نَعْرِفُ لِمَ كَانَ يَأْخُذُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا وَيَقُولُ لَهُمْ ﷺ: «مَنْ عَرَفَ هَذِهِ فَقَدْ عَرَفَهَا، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا فَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَهِيَ قَلْبِي وَرُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبِي، فَمَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ»^(١).

هَذِهِ هِيَ فَاطِمَةُ عَرَّفَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَعَرَّفَتْ هِيَ بِنَفْسِهَا، وَأَلْقَتْ الْحُجَّةَ عَلَى الْجَمِيعِ، وَجَعَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَانَةً فِي أَعْنَاقِ هَذِهِ الأُمَّةِ، لَكِنَّ الأُمَّةَ لَمْ تَعْرِفْ قَدْرَهَا وَلَمْ تَحْفَظْ أَمَانَةَ نَبِيِّهَا ﷺ. وَلَوْ كَانَتْ بَضَاعَةٌ مَزْجَاةٌ كَانِ الأَوَّلَى الْخِفَافَ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا وَدِيعَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ رَسُولِهِ ﷺ، فَكَيْفَ وَهِيَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ!

فَكَانَتْ ﷺ كَالْأَنِيَةِ الْمَكْسُورَةِ، بَلِ الْأَنِيَةِ الَّتِي تُكْسَرُ يَعُودُ النَّاسُ إِلَى أَهْلِهَا بِعَوَضِهَا تِلْكَ هِيَ النُّفُوسُ السَّامِيَّةُ:

أَنْتَ لَوْ تَكْسَرُ جَهْلًا أَنْيَةً	أُودِعْتُ عِنْدَكَ يَوْمًا عَارِيَةً
سَوْفَ لَنْ تُرْجِعَهَا مَكْسُورَةً	ذَلِكَ مِنْ طَبْعِ النُّفُوسِ السَّامِيَّةِ
وَالْبَتُولُ الطَّهْرُ كَانَتْ بَضْعَةً	مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فِيهِمْ بَاقِيَةٌ
أَرْجِعُوهَا كُسِرَتْ أَضْلَاعُهَا	وَأُعِيدَتْ لِأَيِّهَا بَاقِيَةٌ ^(٢) !

(١) كَشَفَ الْعَمَّةُ: ج ٢، ص ٩٤.

(٢) مَقْطُوعَةٌ شَعْرِيَّةٌ بِعَنْوَانِ الْأَنِيَةِ الْمَكْسُورَةِ لِأَخِينَا الْعَزِيزِ الْأَدِيبِ سَمَاحَةِ الشَّيْخِ أَرْكَانِ التَّمِيمِيِّ (دَامَتْ تَوْفِيقَاتُهُ).

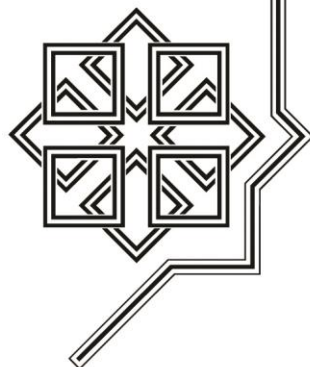
الحاضرة الثانية عشرة



اصطفاء الزهراء عليهن السلام

أمر من السماء

(القسم الأول)



روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه، عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال في وصيته له: «يا علي، إنّ الله ﷻ أشرف على الدنيا فاخترني منها على رجال العالمين، ثمّ أطلع الثانية فاخترك على رجال العالمين بعدي، ثمّ أطلع الثالثة فاختر الأئمة من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثمّ أطلع الرابعة فاختر فاطمة على نساء العالمين»^(١).

مما لا شكّ فيه أنّ الله تبارك وتعالى عادلٌ حكيمٌ، لا يفعل إلّا ما هو مقتضى الحكمة والعدل، لا يسوّي بين الصالح والطالح، والمؤمن والكافر، فمن شكر نعم الله تعالى، وأدّى حقوق الله وواجباته، وآمن بالله ربّاً واحداً لا شريك له، شكر الله له صنعه وأثابه ثواباً عظيماً، والله شاکر يجازي من شكر، عليم بخلقه، لا يخفى عليه شيءٌ، ومن كفر بنعمه تبارك وتعالى، ولم يؤدّ حقوقه ولم يشكر صنيعه، لا يستحق منه تبارك وتعالى الزيادة ولا الإحسان، وإن كان من الممكن ذلك بفضل تبارك وتعالى، وعلى هذا الأساس قدّم الله تبارك وتعالى أفراداً على آخرين وبه تمايز البشر؛ ولذا ورد في الدعاء الشريف: «... بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية، وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم وقربتهم وقدّرت لهم الذكر العلي والثناء الجلي، وأهبطت عليهم ملائكتك، وكرّمتهم بوحيك ورفدتهم بعلمك، وجعلتهم الذريعة إليك والوسيلة إلى رضوانك»^(٢)، فالله تبارك وتعالى يعطي ويصطفى على قدر قرب الإنسان وابتعاده عن الدنيا وزخارفها وزبرجها، ومن هنا نرى أنّ الله تبارك وتعالى اصطفى أنبياءه

(١) الخصال: ص ٢٠٦-٢٠٧، ح ٢٥.

(٢) إقبال الأعمال: ج ١، ص ٥٠٥. والمقطع من دعاء الندبة الشريف.

ورسله وأوليائه على هذا الأساس، ولو أردنا أن نقصر في حديثنا في نظرية الاصطفاء - هذه النظرية القرآنية - على الاصطفاء الإلهي لخصوص محمد وآل محمد لكفى دلالة في المقام، مع أن آية الاصطفاء ذكرت نماذج لهذا الاصطفاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

ما هو الاصطفاء؟

الاصطفاء هو انتخاب صفوة الشيء، وإنما يصدق الانتخاب فيما إذا كان هناك جماعة يُختار المصطفى من بينهم^(٢).

وهو اختيار من الله تعالى أن يكون شيء أو شخص صافياً، وذلك بالتوفيق والتأييد، وتهيئة الوسائل والهداية، إذا كان المورد مستعداً وفي صراط الحق.

فوجود الاستعداد الذاتي والتوفيق المخصوص من الله - ثانياً - خارج عن اختيار العبد، ولكن السلوك والعمل في محدودية الذات والفطرة اختياري، ولا نريد من الاختيار إلا هذا المعنى^(٣).

أقسام الاصطفاء

ثم إن الاصطفاء على قسمين:

القسم الأول: هو أن ينصب على انتشارال الفرد من مناشئ المعصية التي يمكن أن يكون سببها أحد الأمور التالية:

(١) آل عمران: آية ٣٣-٣٤.

(٢) أنظر: تفسير الميزان: ج ١٦، ص ٢٥٩.

(٣) أنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٦، ص ٢٥٩.

١- الوراثة: بأن تكون معاصي هذا الشخص مسببة بعامل الوراثة، فهو قد ورث من والديه وغيرهم صفات ذميمة أوقعته في براثن المعصية، ولم يعمل على القضاء عليها، مع تمكنه من ذلك.

٢- البيئة: بأن يكون الفرد قد ولد في بيئة منحرفة ملوثة بالذنوب والمعاصي؛ مما أدى إلى تلوثه بالمعاصي، فأصبح منهم.

٣- النفس والشیطان: بأن كانت نفس هذا الشخص ضعيفة، لم يعمل على مجاهدتها، فتغلب عليه الشيطان فألقاه في المعاصي، كما أشار إلى ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح، حيث قال: «وإن خذلني نصرُك عند محاربة النفس والشیطان، فقد وكلني خذلانُك إلى حيث النصب والحرمان»^(١).

فالاصطفاء الأول هو الإنقاذ والانتشال من مناشئ المعصية الثلاث، وهو أمر ليس من السهل اليسير أن يوفق له الإنسان؛ فإننا نرى شخصين شقيقين من أبٍّ وأمٍّ واحدة، وفي بيئة واحدة، لكن أحدهما صار في غاية الورع والثاني في غاية الفساد، وما ذاك إلا للمؤثرات التي عمل عليها الأخ الأول دون الثاني، فصار هذا مصطفىً دون ذاك.

القسم الثاني: أن ينصب الاصطفاء على رفع الإنسان إلى مقام لا يدنو إليه أحدٌ إلا مَنْ هو على شاكلته، وهذا المقام هو مقام العصمة والطهارة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

ومما لا ريب فيه أن هذا القسم متفرع على القسم الأول، وبه يكون المصطفى أفضل

(١) بحار الأنوار: ج ٨٤، ص ٣٤٠.

(٢) آل عمران: آية ٤٢.

الخلق أجمعين، في الدنيا والآخرة.

ففي تفسير القمّي رحمته الله: «اصطفاهَا مَرَّتَيْنِ، أَمَّا الْأُولَى، اصطفاهَا أَي: اختارها. وَأَمَّا الثانية، فَإِنَّهَا حَمَلَتْ مِنْ غَيْرِ فَحَلٍ، فَاصطفاهَا بِذَلِكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»^(١).

ولو رجعنا إلى الرواية التي صَدَّرْنَا بِهَا الْحَدِيثَ نَجِدُ أَنَّ الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشِيرُ إِلَى مَعْنَى الْاصْطِفَاءِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَدِهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى رِجَالِ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ الْاخْتِيَارَ الْإِلَهِيَّ وَالْاصْطِفَاءَ الرَّبَّانِيَّ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَمِنْ هُنَا صَارَ مِنَ الْإِلَازِمِ الْوُقُوفُ عِنْدَ مَعْرِفَاتِ الْاصْطِفَاءِ الْإِلَهِيِّ لِلْسَيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي شَتَّى مَنَاحِي حَيَاتِهَا الشَّرِيفَةِ:

الْخُصُوصِيَّةُ الْأُولَى: حَمْلُ أُمِّهَا بِهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ

المُصَدِّقُ الْأَوَّلُ مِنْ مُصَادِقِ اهْتِمَامِ الشَّارِعِ الْمُقَدَّسِ بِالسَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ، أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْحَمْلَ بِهَا لَيْسَ حَمَلًا عَادِيًّا، بَلْ وَلَيْسَ لَهُ نَسْخَةٌ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ؛ حَيْثُ إِنَّ حَمْلَهَا كَانَ بِاهْتِمَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَقَدْ رَوَى أَنَّهُ: «بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ بِالْأَبْطَحِ وَمَعَهُ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَالْمَنْذَرُ بْنُ الضُّحَضَاحِ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِذْ هَبَطَ عَلَيْهِ جِبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ الْعَظْمَى، قَدْ نَشَرَ أَجْنَحَتَهُ حَتَّى أَخَذَتْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَنَادَاهُ: يَا مُحَمَّدُ، الْعَلِيُّ الْأَعْلَى يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَهُوَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ عَنْ خَدِيجَةَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لَهَا مَحَبًّا وَبِهَا وَامِقًا، قَالَ: فَأَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ تِلْكَ بَعَثَ إِلَى خَدِيجَةَ بِعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَقَالَ: قُلْ لَهَا: يَا خَدِيجَةُ، لَا تَنْظَنِّي أَنَّ انْقِطَاعِي عَنْكَ وَلَا قَلِي، وَلَكِنْ رَبِّي ﷻ أَمَرَنِي بِذَلِكَ لِتَنْفِذِ أَمْرِهِ، فَلَا تَنْظَنِّي يَا خَدِيجَةُ إِلَّا خَيْرًا،

(١) تفسير القمّي: ج ١، ص ١٠٢.

فإن الله ﷻ ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مراراً، فإذا جئت الليل فأجيفي الباب، وخذي مضجعك من فراشك، فإنني في منزل فاطمة بنت أسد، فجعلت خديجة تحزن في كل يوم مراراً لفقد رسول الله ﷺ، فلما كان في كمال الأربعين هبط جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام، وهو يأمرك أن تتأهب لتحيته وتحفته. قال النبي ﷺ: يا جبرئيل، وما تحفة رب العالمين؟ وما تحيته؟ قال: لا علم لي، قال: فبينما النبي ﷺ كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس، أو قال: استبرق، فوضعه بين يدي النبي ﷺ، وأقبل جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمد يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام. فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: كان النبي ﷺ إذ أراد أن يفطر أمرني أن افتح الباب لمن يرد إلى الإفطار، فلما كان في تلك الليلة أقعدني النبي ﷺ على باب المنزل، وقال: يا بن أبي طالب إنه طعام محرّم إلا عليّ. قال علي عليه السلام: فجلست على الباب وخلا النبي ﷺ بالطعام، وكشف الطبق، فإذا عذق من رطب، وعنقود من عنب، فأكل النبي ﷺ منه شبعاً، وشرب من الماء رياً، ومد يده للغسل، فأفاض الماء عليه جبرئيل، وغسل يده ميكائيل، وتمنّده إسرافيل، وارتفع فاضل الطعام مع الإناء إلى السماء، ثم قام النبي ﷺ ليصلي فأقبل عليه جبرئيل، وقال: الصلاة محرّمة عليك في وقتك حتى تأتي إلى منزل خديجة فتواقعها، فإن الله ﷻ آلى على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذرية طيبة. فوثب رسول الله ﷺ إلى منزل خديجة، قالت خديجة عليها السلام: وكنت قد ألفت الوحدة، فكان إذا جنتني الليل غطيت رأسي، وأسجفت ستري، وغلقت بابي، وصليت وردي، وأطفأت مصباحي، وآويت إلى فراشي، فلما كان في تلك الليلة لم أكن بالنائمة ولا بالمتنبهة إذ جاء النبي ﷺ فقرع الباب، فنادت: من هذا الذي يقرع حلقة لا يقرعها إلا محمد ﷺ؟ قالت خديجة: فنادى النبي ﷺ بعدوبة كلامه وحلاوة منطقه: افتحي يا خديجة، فإنني محمد. قالت خديجة: فقمتم فرحة مستبشرة بالنبي ﷺ، وفتحت الباب، ودخل النبي ﷺ المنزل، وكان ﷺ إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهر

للصلاة، ثمَّ يقوم فيصلي ركعتين يوجز فيها، ثمَّ يأوي إلى فراشه، فلمَّا كان في تلك الليلة لم يدع بالإِناء، ولم يتأهب بالصلاة غير أنَّه أخذ بعضدي، وأقعدي على فراشه، وداعبني ومازحني، وكان بيني وبينه ما يكون بين المرأة وبعولها، فلا والذي سمك السماء وأنبع الماء ما تباعد عني النبي ﷺ حتى حسست بثقل فاطمة في بطني»^(١).

فهل كان قبل السيدة الزهراء ﷺ من الرجال أو النساء مَنْ صار الحمل به كالحمل بها، والتأهب له كالتأهب لها ﷺ.

الخصوصية الثانية: أثناء الحمل

ولم تنتهِ القصة بذلك، فلقد كان لها شأنٌ آخر مع أمِّها خديجة ﷺ أثناء الحمل، فقد روي أنَّها كانت تحدِّث أمِّها ﷺ، فعن المفضل بن عمر، قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق ﷺ: كيف كان ولادة فاطمة ﷺ؟ فقال: نعم، إنَّ خديجة ﷺ لمَّا تزوج بها رسول الله ﷺ هجرتها نسوة مكَّة، فكُنَّ لا يدخلن عليها، ولا يسلمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة ﷺ لذلك، وكان جزعها وغمها حذراً عليه ﷺ. فلمَّا حملت بفاطمة كانت ﷺ تحدِّثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتُم ذلك من رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ يوماً فسمع خديجة تحدِّث فاطمة ﷺ، فقال لها: يا خديجة، مَنْ تحدِّثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدِّثني ويؤنِّسني. قال: يا خديجة، هذا جبرئيل يخبرني أنَّها أنثى، وأنَّها النسلة الطاهرة الميمونة، وإنَّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه...»^(٢).

ومن هذه الرواية أخذ الشيخ الحرَّ العاملي رحمه الله هذا المعنى:

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٧٨-٨٠.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٦٩٠-٦٩١، ح ١، عنه بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢، ح ١.

كانت تحدّثُ أمّها وأمّها	تكتّمه إذا النبيّ دخلا
فقال يا بنتَ خويلدٍ لِمَن	تحدّثين أنتِ والبيتُ خلا
فقالت الجنينُ في بطني غدا	يؤنّسني حديثُه قال بلا
هي ابتتي وأنّها الأنثى التي	قد فقدتُ بفضلها المأثلا ^(١) .

فهل سمع أحدٌ أنّ حملاً يؤنس أمّه في بطنها غير السيّدة الزهراء عليها السلام؟!
وكلّ هذه الفضائل بمسمع ومرأى من القوم، لكنّهم جعلوه وراء ظهورهم، وفعلوا
ما فعلوا بأهل هذا البيت العظيم!

(١) وفاة الصديقة الزهراء: ص ١٢.

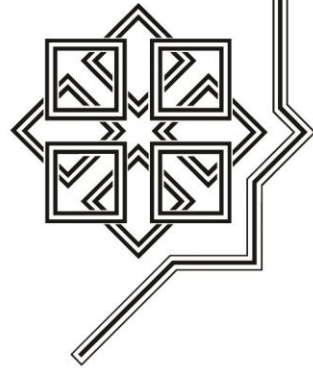
المحاضرة الثالثة عشرة



اصطفاء الزهراء عليها السلام

أمر من السماء

(القسم الثاني)



الخصوصية الثالثة: عند ولادتها ﷺ

وأما حين ولادتها ﷺ فكان لها ولأُمُّها السيِّدة خديجة شأنٌ آخر أيضاً، فقد وري عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه لما حضرت ولادة السيِّدة خديجة بفاطمة عليها السلام، وجهت إلى نساء قريش وبني هاشم ليلين منها ما تلي النساء من النساء. فأرسلن إليها بأنك عصيتنا ولم تقبلي قولنا، وتزوجت محمداً، يتيم أبي طالب، فقيراً لا مال له، فلسنا نجئك، ولا نلي من أمرك شيئاً، فاغتمت خديجة لذلك. فيينا هي في ذلك إذ دخل عليها أربع نسوة طوال كأتّهن من نساء بني هاشم، ففزعت منهن، فقالت لها إحداهن: لا تحزني يا خديجة فإنّا رسل ربك إليك، ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه صفوراء بنت شعيب، بعثنا الله إليك لنلي من أمرك ما تلي النساء من النساء.

فجلست واحدة عن يمينها، والأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت خديجة فاطمة عليها السلام طاهرة مطهرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكّة، ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور.

فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها، ودخلت عشر من الحور العين، كلّ واحدة منهن معها طست من الجنة وإبريق، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بآء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوتين، أشدّ بياضاً من اللبن وأطيب رائحة من المسك والعنبر، فلفّتها بواحدة، وقنّعتها بأخرى.

ثم استنطقها فنطقت فاطمة عليها السلام بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ أبي رسول الله سيّد

الأنبياء، وأنَّ بعلي سيّد الأوصياء، وأنَّ ولدي سيد الأسباط. ثُمَّ سَلِّمْتَ عليهن، وسَمَّيْتَ كلَّ واحدة منهن باسمها، وضحكن إليها.

وتباشرت الحور العين، وبشر أهل الجنّة بعضهم بعضاً بولادة فاطمة عليها السلام، وحدث في السماء نور زاهر، لم تره الملائكة قبل ذلك اليوم، فلذلك سُمِّيَت الزهراء عليها السلام.

وقالت النسوة: خديها، يا خديجة، طاهرة مطهّرة، زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها. فتناولتها خديجة فرحة مستبشرة، فألقمتها ثديها، فشربت فدرّ عليها، وكانت عليها السلام تنمو في كلّ يوم كما ينمو الصبي في شهر، وفي شهر كما ينمو الصبي في السنة^(١).

الخصوصية الرابعة: زواجها بالأمر الإلهي

الحالة الطبيعية في زواج الناس بعضهم من بعض هي الحالة التي عليها نحن اليوم، وخلاصتها أنّ الرجل تعجبه المرأة بحسب ما يجعله هو من ضابطة الإعجاب، فالبعض عنده الضابطة المال، والآخر الجمال، وثالث الحسب والنسب، ورابع العقّة والشرف والدين، وخامس أن يكون عندها العقل والفهم، والبعض يريد كلّ الصفات الطيبة من جمال معقول، وحسب كريم، ودين يردعها عن الحرام، إلى غير ذلك، فيتقدّم لخطبتها من أهلها، وقد يتمّ التوافق على ذلك، وقد لا يتمّ، وقد يخطب الرجل عشرين مرّة أو أكثر، وقد يتقدّم للمرأة الواحدة عشرون أو أكثر ولم يتمّ الزواج والعلاقة، هذا هو المعروف والمعمول به منذ القدم إلى يومنا هذا، إلّا في السيّدة الزهراء عليها السلام؛ فإنّ الأمر لم يكن كذلك، بل أمر زواجها وزوجها كلّهُ أمر إلهي، ليس لأحدٍ البتّ فيه حتى أبيها المصطفى صلّى الله عليه وآله! فقد روي أنّ مجموعةً منّ يحيطون برسول الله صلّى الله عليه وآله تقدّموا لخطبتها عليها السلام، لكنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لم

(١) أنظر: أمالي الشيخ الصدوق: ص ٦٩٠-٦٩٢، ح ١. دلائل الإمامة: ص ٧٧-٧٩، ضمن الحديث

يوافق على ذلك، فقد روى ابن شهر آشوب رحمته الله عن بريدة: «أنّ أبا بكر وعمر خطبا إلى النبي صلى الله عليه وآله فاطمة، فقال: إنّها صغيرة. وروى ابن بطة في الإبانة: أنّه خطبها عبد الرحمن فلم يجبه. وفي رواية غيره أنّه قال: بكذا من المهر، فغضب صلى الله عليه وآله ومدّ يده إلى حصي فرفعها فسبحت في يده وجعلها في ذيله فصارت درأً ومرجاناً يعرض به جواب المهر، ولما خطب علي عليه السلام قال: سمعتك يا رسول الله تقول: كلّ سبب ونسب منقطع إلّا سببي ونسبي، فقال النبي: أما السبب فقد سبّب الله، وأما النسب فقد قرّب الله، وهشّ وبشّ في وجهه، وقال: ألك شيء أزوجك منها؟ فقال: لا يخفى عليك حالي، أنّ لي فرساً وبغلاً وسيفاً ودرعاً، فقال: بع الدرع»^(١).

وروى شيخ الطائفة الطوسي رحمته الله بسنده، عن الضحاك بن مزاحم، قال: «سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: أتاني أبو بكر وعمر، فقالا: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرت له فاطمة، قال: فأتيته، فلما رأي رسول الله صلى الله عليه وآله ضحك، ثمّ قال: ما جاء بك يا أبا الحسن؟ وما حاجتك؟ قال: فذكرت له قرابتي وقدمي في الإسلام ونصرتي له وجهادي، فقال: يا علي، صدقت، فأنت أفضل ممّا تذكر.

فقلت: يا رسول الله، فاطمة تزوجنيها؟ فقال: يا علي، إنّهُ قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك، فدخل عليها فقامت إليه، فأخذت رداءه ونزعت نعليه، وأتته بالوضوء، فوضأته بيدها وغسلت رجليه، ثمّ قعدت، فقال لها: يا فاطمة. فقالت: لبيك، حاجتك، يا رسول الله؟

قال: إنّ علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، وإني قد سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟ فسكتت ولم تول

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٢٣.

وجھها ولم یرَ فیہ رسول اللہ ﷺ کراهة، فقام وهو یقول: اللہ اکبر، سکوتها إقرارها، فأناه جبرئیل علیہ السلام فقال: یا محمد، زوجها علی بن أبی طالب، فإنَّ اللہ قد رضیها له ورضیه لها.

قال علی: فزوجنی رسول اللہ ﷺ، ثمَّ أتانی فأخذ بیدي فقال: قم بسم اللہ وقل: علی بركة اللہ، وما شاء اللہ، لا قوَّة إلاَّ باللہ، توکلت علی اللہ. ثمَّ جاءنی حین أقعدنی عندها علیہ السلام، ثمَّ قال: اللّٰهُمَّ إنَّهما أحبیَّ خلقک إلَّیَّ فأحبَّهما، وبارک فی ذرَّیتهما، واجعل علیهما منک حافظاً، وإنَّی أعیدهما وذرَّیتهما بک من الشیطان الرجیم»^(١).

وأما خطبتها فی السماء، فقد روى ابن شهر آشوب رحمه اللہ عن علقمة، قال: «لما تزوج علی فاطمة تناثر ثمار الجنة علی الملائكة»^(٢).

وكذلك روى عن «عبد الرزاق بإسناده إلى أمِّ أيمن فی خبر طويل عن النبی: وعقد جبرئیل ومیکائیل فی السماء نکاح علی وفاطمة، فكان جبرئیل المتکلم عن علی ومیکائیل الرادّ عني.

وفي حديث خباب بن الأرت: إنَّ اللہ تعالى أوحى إلى جبرئیل: زوّج النور من النور، وكان الولي اللہ، والخطيب جبرئیل، والمنادي میکائیل، والداعي إسرائیل، والنائر عزرائیل، والشهود ملائكة السماوات والأرضین، ثمَّ أوحى إلى شجرة طوبى أن انثري ما علیک. فنثرت الدرّ الأبيض والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر واللؤلؤ الرطب، فبادرن الحور العین يلتقطن ويهدين بعضهن إلى بعض»^(٣).

وقال عليه السلام: «لولا أنَّ اللہ تعالى خلق فاطمة لعلَّیَّ ما كان لها علی وجه الأرض کفو، آدم

(١) أمالي الشیخ الطوسي: ص ٣٩-٤٠، ح ١٣.

(٢) مناقب آل أبی طالب: ج ٣، ص ١٢٤.

(٣) المصدر السابق.

فَمَنْ دُونَهُ»^(١).

فزواجها بأمر من الله تعالى هبط به الأمين جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يذكر لنا التاريخ أنّ زواجاً وقع على وجه البسيطة بهذا النحو على الإطلاق.

ولذا يقول السيد الهاشمي رحمته الله:

تزوَّجت في السماء بالمرتضى شرفاً والشمس يقرئها في الرتبة القمر^(٢).

الخصوصية الخامسة: زفافها عليها السلام

وعلى هذا النهج، فقد خرمت السيّدة الزهراء عليها السلام قواعد الزفاف المعروفة بين الناس، فلم يذكر التاريخ ما ذكره للسيّدة الزهراء عليها السلام من كَيْفِيَّةِ الزفاف وحضور المحتفلين بزفافها عليها السلام، فقد روي عن عبد الله بن عباس، أنّه قال: «لَمَّا زُفَّتْ فَاطِمَةُ إِلَى عَلِيٍّ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَدَّامَهَا، وجبرائيل عن يمينها، وميكائيل عن شألهَا، وسبعون ألف ملك من خلفها يَسْبِّحُونَ اللَّهَ وَيَقْدِّسُونَهُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ»^(٣).

وأما نثار عرسها، فقد روى الشيخ الصدوق رحمته الله بسنده عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «دَخَلْتُ أُمَّ أَيْمَنَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَفِي مَلْحَفَتِهَا شَيْءٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: مَا مَعَكَ، يَا أُمَّ أَيْمَنَ؟ فَقَالَتْ: إِنَّ فَلَانَةَ أَمْلَكُوها، فَثَرَوْا عَلَيْها، فَأَخَذَتْ مِنْ نَثَارِها. ثُمَّ بَكَتْ أُمَّ أَيْمَنَ وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاطِمَةُ زُوِّجَتْها وَلَمْ تَنْثَرْ عَلَيْها شَيْئاً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: يَا أُمَّ أَيْمَنَ، لَمْ تَكْذِبِينَ؟ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا زُوِّجَتْ فَاطِمَةَ عَلَيْها، أَمَرَ أَشْجَارَ الْجَنَّةِ أَنْ تَنْثَرَّ عَلَيْهِمْ مِنْ حُلِيِّها وَحُلَلِها

(١) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٣، ص ٣٩٣، ح ٤٣٨٣.

(٢) موسوعة أدب المحنة أو شعراء المحسن بن علي عليه السلام: ص ٥٥٥.

(٣) شرح الأخبار: ج ٣، ص ٢٨، ح ٩٦٦.

وياقوتها ودرّها وزمردها واستبرقها، فأخذوا منها ما لا يعلمون، ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة، فجعلها في منزل علي^(١).

فهل رأت عينك أو سمعت أذنك أنّ امرأة زُفّت بهذه الكيفيّة على مرّ العصور؟! وروي عن أسماء بنت عميس، أنّها قالت: «كنت فيمّن زفت فاطمة إلى علي^{عليه السلام}، فلما دخلت بيتها أقبل رسول الله^{صلى الله عليه وآله} حتى دخل عليها، فدعا بماء، فذكر اسم الله عليه، ثمّ شرب منه، ومجّ من الماء فيما بين درع فاطمة وبدنها، ثمّ مجّ منه أيضاً فيما بين سربال علي وبدنه. ثمّ قال: اللهم احفظ أهل البيت، وبارك فيهم وبارك عليهم، واجعلهم مباركين أين ما كانوا. ثمّ جرى الله أسماء وصويحباتها خيراً^(٢).

هكذا يعامل رسول الله^{صلى الله عليه وآله} فاطمة^{عليها السلام}، بل وصويحباتها، لكنّ القوم تجاسروا عليها وجرّعوها غصصاً، ولنعم ما قال السيد الجزوعي:

جرّعاها من بعد والداها الغيظ	مراراً فبئس ما جرّعاها
أغضبها وأغضبها عند ذاك	الله ربّ السماء إذ أغضبها
بنّت من أمّ من حليّة من	ويل لمن سنّ ظلمها وآذاها ^(٣) .

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٣٦٢، ح ٣.

(٢) شرح الأخبار: ج ٣، ص ٢٨٢، ح ٩٦٧.

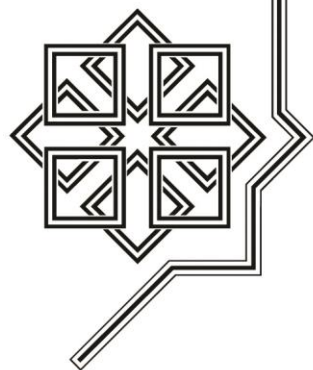
(٣) بيت الأحنان: ص ١٢٤.

الحافظة للرسالة بعشر عشرة

اصطفاء الزهراء عليها السلام

أمر من السماء

(القسم الثالث)



الخصوصية السادسة: بيت فاطمة عليها السلام

ثم انتقلت السيدة الزهراء عليها السلام إلى بيت زوجها، ولهذا البيت حديثه الخاص، فقد كان بيتاً لا كاليوت شأناً ومقاماً وقداًسة، فهو من أرفع البيوت وأقدسها، فقد روي أنه سُئِلَ النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله لما قرأ قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(١): «أي بيوت هذه؟ فقال صلّى الله عليه وآله: «بيوت الأنبياء». فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها؟ يعني بيت علي وفاطمة، قال: «نعم من أفاضلها»^(٢).

كان بيت الإمام أمير المؤمنين والسيدة الزهراء عليها السلام بيتاً مميّزاً من كلّ النواحي والجهات؛ بيتٌ لا يسمع فيه إلّا التسبيح والتهليل، بيتٌ ملؤه الدفء والحنان، بيتٌ همته رضا الله تعالى، فكلّ مَنْ هو تحت سقف هذا البيت كان مميّزاً، بما فيهم الخادمة فضّة، وأسماء بنت عميس؛ ولذا روي عن عبد الله بن عجلان السكوني أنه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «بيت علي وفاطمة [من] حجرة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وسقف بيتهم عرش ربّ العالمين، وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي، والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً، و[في] كلّ ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل وفوج يصعد...»^(٣).

بيتٌ لا توقعات فيه، وليس فيه للتكلّف نصيبٌ، بيتٌ يعرف الحقوق والواجبات،

(١) النور: آية ٣٦.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ٧، ص ٢٥٣. الدر المشور في التفسير بالمأثور: ج ٥، ص ٥٠. تفسير الآلوسي:

ج ١٨، ص ١٧٤.

(٣) مدينة المعاجز: ج ٢، ص ٤٤٩، ح ٦٧٤.

وقد عرفنا مَنْ هو زوج فاطمة عليها السلام، هو أبو الحسن والحسين عليهما السلام. أمّا الحديث عن فاطمة عليها السلام وما يدور في بيتها من خصوصيات، فنذكره ضمن النقاط التالية:

١- عبادة فاطمة عليها السلام

وكانت عبادتها عليها السلام مضرب المثل، وكانت عليها السلام تزهر، فقد روى الشيخ الصدوق رحمته الله بسنده، عن محمد بن عمار، عن أبيه قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة: لِمَ سُمِّيت الزهراء؟ فقال: لأنّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض»^(١).

٢- ملاة فاطمة عليها السلام

وأما ملاة عليها السلام، فهي بحدّ ذاتها من العجائب والغرائب، فقد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قد استقرض من يهودي شيئاً، فاسترهنه فدفع إليه ملاة فاطمة عليها السلام، وكانت من الصوف، فأدخلها اليهودي داره، فوضعها في بيت، فلمّا كان الليل دخلت زوجته البيت الذي فيه الملاة لشغل، فرأت نوراً ساطعاً في البيت، فانصرفت إلى زوجها فأخبرته بما رأت في ذلك البيت، فتعجّب زوجها، وقد نسي أنّ في بيته ملاة فاطمة عليها السلام، فنهض مسرعاً، فدخل البيت فإذا ضياء الملاة، منتشرة وشعاعها كأنّها تشتعل من بدر منير، يلمع من قريب، فتعجّب من ذلك، فأمعن النظر في موضع الملاة، فعلم أنّ النور من ملاة فاطمة عليها السلام، فخرج اليهودي إلى قرابته، وزوجته إلى قرابتها، واستحضرهم الدار، فاجتمع ثمانون من اليهود، فرأوا ذلك فأسلموا^(٢).

(١) علل الشرائع: ج ١، ص ١٨١، ح ٣.

(٢) الثاقب في المناقب: ص ٣٠٢.

٣- رحي فاطمة عليها السلام

فقد روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله أَدْعُو عَلِيًّا عليه السلام، فَأَتَيْتُ بَيْتَهُ فَنَادَيْتُهُ، فَلَمْ يَجِبْنِي، وَالرَّحَى تَطْحَنُ وَلَيْسَ مَعَهَا أَحَدٌ، فَنَادَيْتُهُ، فَخَرَجَ مَعِيَ وَأَصْنَعِي إِلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله شَيْئاً لَمْ أَفْهَمْهُ، فَقُلْتُ: عَجَباً مِنْ رَحَى فِي بَيْتِ عَلِيٍّ تَدُورُ مَا عِنْدَهَا أَحَدٌ. فَقَالَ: إِنَّ ابْنَتِي فَاطِمَةَ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهَا وَجَوَارِحَهَا إِيمَاناً وَيَقِيناً، وَإِنَّ اللَّهَ عِلْمَ ضَعْفِهَا فَأَعَانَهَا عَلَى دَهْرِهَا، وَكَفَاهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ مُوَكَّلِينَ بِمَعُونَةِ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله»^(١).

٤- خادمة فاطمة عليها السلام

وقد بلغ اهتمام السماء بالسيدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام إلى الدرجة التي نالت خادمتها منها نصيباً، فقد روى ابن حمزة رضي الله عنه عن علي بن معمر، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ فَأَصَابَنِي عَطَشٌ شَدِيدٌ فِي الْجَحْفَةِ، حَتَّى خَفْتُ عَلَى نَفْسِي، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ وَقُلْتُ: يَا رَبِّ، أَتَعْطِشُنِي وَأَنَا خَادِمَةُ ابْنَةِ نَبِيِّكَ، فَنَزَلَ إِلَيَّ دَلْوٌ مِنَ السَّمَاءِ». وفي رواية أخرى: «دَلْوٌ مِنْ مَاءِ الْجَنَّةِ، فَشَرِبْتُ، وَحَقَّقَ سَيِّدَتِي مَا جَعَلَتْ وَلَا عَطِشْتُ سَبْعَ سِنِينَ».

وفي رواية أخرى: «عَطِشْتُ فِيهَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ عَطَشاً شَدِيداً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا دَلْواً مِنَ السَّمَاءِ، فَشَرِبْتُ مِنْهَا، فَمَا عَطِشْتُ بَعْدَهَا أَبَداً، وَإِنْ كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَتَسْتَعِينُ بِهَا عَلَيْهَا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْحَرِّ وَمَا يَصْبِيهَا عَطَشٌ»^(٢).

(١) الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٥٣١، ح ٧.

(٢) الثاقب في المناقب: ص ١٩٦، ح ١. مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١١٧. الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٥٣٠، ح ٥.

٥- طَبِخُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ

روي عن أنس أنه قال: «سألني الحجاج بن يوسف عن حديث عائشة، وحديث القدر التي رأت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي تحركها بيدها، قلت: نعم، أصلح الله الأمير، دخلت عائشة على فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وهي تعمل للحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حريرة بدقيق ولبن وشحم في قدر، والقدر على النار يغلي، وفاطمة (صلوات الله عليها) تحرك ما في القدر بإصبعها، والقدر على النار يبق، فخرجت عائشة فرعة مذعورة، حتى دخلت على أبيها، فقالت: يا أبة، إنني رأيت من فاطمة الزهراء أمراً عجبياً! رأيتها وهي تعمل في القدر، والقدر على النار يغلي، وهي تحرك ما في القدر بيدها! فقال لها: يا بنية، اكتمي، فإن هذا أمر عظيم.

فبلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الناس يستعظمون ويستكثرون ما رأوا من القدر والنار، والذي بعثني بالرسالة واصطفاني بالنبوة، لقد حرم الله تعالى النار على لحم فاطمة ودمها وشعرها وعصبها، وفطم من النار ذريتها وشيعتها، إن من نسل فاطمة من تطيعه النار والشمس والقمر والنجوم والجبال، وتضرب الجن بين يديه بالسيف، وتوافي إليه الأنبياء بعهودها، وتسلم إليه الأرض كنوزها، وتنزل عليه من السماء بركات ما فيها، الويل لمن شك في فضل فاطمة، لعن الله من يبغيض بعلمها ولم يرخص بإمامة ولدها، إن لفاطمة يوم القيامة موقفاً، ولشيعتها موقفاً، وإن فاطمة تدعى فتُلبَّى، وتُسَقَّ فتشفع على رغم كل راغم»^(١).

(١) الثاقب في المناقب: ص ٢٩٣-٢٩٤.

الخصوصية السابعة: موت فاطمة عليها السلام

قد يستغرب البعض عندما يقرأ أو يسمع أنّ من خصوصيات السيدة الزهراء عليها السلام موتها، أليس الموت قاعدة ربّانية وسنة إلهية، لم تُحرم حتى من أعزّ الخلق وأحبّهم إلى الله تعالى وهو النبي الأكرم عليه السلام عندما خاطبه الله تبارك وتعالى وخاطب البشرية جمعاء بقوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١)، وهذا ليس من مختصات السيدة الزهراء عليها السلام، بل هو من السنن الإلهية، لكن الموت له أسبابه وهي مهما تعدّدت لا يتعدّد بها الموت؛ لأنّه نتيجة طبيعيّة لها، فهل كان لموت السيدة الزهراء عليها السلام من سببٍ؟ كأن قُتلت في معركة، أو مرضت بمرض الحمّى مثلاً، أو شيء آخر؛ لأنّ الذي يدعونا للتساؤل هو موتها في ريعان شبابها، والتساؤل في مثل هذه الحالة أمرٌ طبيعي، فكلّ مَنْ تخبره بوفاة إنسان دون العشرين من عمره يسأل: كيف حدثت وفاته؟ ما هو السبب فيها؟ على خلاف ذلك لو كان كبير السن، فمن الطبيعي جدّاً وفاته بهذا العمر، وقد يسأل أحدنا مجاملةً ويتأسّف كذلك، لكن وفاته أمرٌ طبيعيٌّ في ذهن السائل والمجيب؛ لذا سأل عباس محمود العقاد قائلاً: «ولم يكن بالزهراء من سقم كامن يُعرف من وصفه؛ فإنّ العرب لوصّافون، وإن كان حولها من آل بيتها لمن أقدر العرب على وصف الصحة والسقم، فما وقفنا من كلامهم وهم يصفونها في أحوال شكواها، على شيء يشبه أعراض الأمراض التي تذهب بالناس في مقتبل الشباب»^(٢).

فالرجل يعترف أنّه ليس فيها من الأمراض التي تذهب بالناس في مقتبل الشباب، فما الذي أمانها عليها السلام؟ يحينا عن ذلك شيخ الطائفة الطوسي رحمته الله: «والمشهور

(١) الزمر: آية ٣٠.

(٢) فاطمة الزهراء والفاطيون (الطبعة الثانية): ص ٦٨. أنظر: الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام: ص ٢١٥.

الذي لا خلاف فيه بين الشيعة: أَنَّ عُمَرَ ضَرَبَ عَلَى بَطْنِهَا حَتَّى أَسْقَطَتْ، فَسَمَّى السَّقْطَ مُحَسَّنًا، وَالرَّوَايَةَ بِذَلِكَ مَشْهُورَةٌ عِنْدَهُمْ... وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْكَرَ الرِّوَايَةَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّا بَيْنَا الرِّوَايَةَ الْوَارِدَةَ مِنْ جِهَةِ الْعَامَّةِ مِنْ طَرِيقِ الْبَلَاذِرِيِّ وَغَيْرِهِ، وَرَوَايَةَ الشَّيْعَةِ مُسْتَفِيزَةٌ بِهِ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ»^(١)، فَكَانَ الْإِصْطِفَاءُ لَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْتَهَا بِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي لَمْ نَسْمَعْ بِهَا وَلَمْ نَقْرَأْهَا فِي بَطُونِ الْكُتُبِ بِأَنَّ امْرَأَةً مَاتَتْ بِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ!

الْخُصُوصِيَّةُ الثَّامِنَةُ: تَغْسِيلُ فَاطِمَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَفِي الْبَحَارِ أَنَّمَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَتْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا أَبَا الْحَسَنِ، رَقَدَتِ السَّاعَةُ فَرَأَيْتَ حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي قَصْرِ مِنَ الدَّرِّ الْأَبْيَضِ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا بَنِيَّةُ، فَإِنِّي إِلَيْكَ مُشْتَاقٌ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ، إِنِّي لِأَشَدَّ شَوْقًا مِنْكَ إِلَى لِقَائِكَ. فَقَالَ: أَنْتَ اللَّيْلَةُ عِنْدِي. وَهُوَ الصَّادِقُ لِمَا وَعَدَ، وَالْمَوْفِيُّ لِمَا عَاهَدَ. فَإِذَا أَنْتَ قَرَأْتَ يَسَ فاعْلَمْ أَنِّي قَدْ قَضَيْتُ نَحْبِي، فَغَسَّلَنِي وَلَا تَكْشِفْ عَنِّي؛ فَإِنِّي طَاهِرَةٌ مَطْهُرَةٌ، وَلِيَصِلَ عَلَيَّ مَعَكَ مِنْ أَهْلِ الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى، وَمَنْ رُزِقَ أَجْرِي، وَادْفَنِي لَيْلًا فِي قَبْرِي، بِهَذَا أَخْبَرَنِي حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ». فَقَالَ عَلِيٌّ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ فِي أَمْرِهَا، وَغَسَّلْتُهَا فِي قَمِيصِهَا وَلَمْ أَكْشِفْ عَنْهَا، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كَانَتْ مِيمُونَةً طَاهِرَةً مَطْهُرَةً، ثُمَّ حَنَظَّتْهَا مِنْ فَضْلَةِ حَنُوطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَفَّنْتُهَا وَأَدْرَجْتُهَا فِي أَكْفَانِهَا، فَلَمَّا هَمَمْتُ أَنْ أَعْقِدَ الرِّدَاءَ نَادَيْتُ يَا أُمَّ كُلْثُومُ، يَا زَيْنَبُ، يَا سَكِينَةُ، يَا فَضَّةُ، يَا حَسَنُ، يَا حُسَيْنُ، هَلُمُّوا تَزُودُوا مِنْ أُمَمِكُمْ فَهَذَا الْفِرَاقُ، وَاللِّقَاءُ فِي الْجَنَّةِ.

فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَهُمَا يَنَادِيَانِ وَاحْشِرْتَا لَا تَنْطَفِئُ أَبَدًا مِنْ فَقْدِ جَدِّنَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَأُمَّنَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، يَا أُمَّ الْحَسَنِ يَا أُمَّ الْحُسَيْنِ إِذَا لَقِيتِ جَدَّنَا مُحَمَّدَ الْمُصْطَفَى فَاقْرِئِيهِ مِنَّا السَّلَامَ وَقُولِي لَهُ: إِنَّا قَدْ بَقِينَا بَعْدَ يَتِيمِينَ فِي دَارِ الدُّنْيَا».

(١) تلخيص الشافعي: ج ٣، ص ١٥٦.

فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إني أشهد الله أنها قد حنّت وأنت ومدّت يديها وضمّتْها إلى صدرها مليّاً، وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا أبا الحسن، ارفعها عنها؛ فلقد أبكيا - والله - ملائكة السماوات، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب، قال: فرفعتها عن صدرها وجعلت أعقد الرداء»^(١).

الخصوصية التاسعة: تشييع فاطمة عليها السلام

تشيع الجنازة والصلاة على الميت من فروض الكفايات، وعيادة المرضى من السنن المؤكدة المفضلة^(٢).

وقد وردت الأخبار الكثيرة في الحثّ على تشييع الجناز بالمشي خلفها، أو عن يمينها، أو عن شمالها^(٣)، وفي الكافي الشريف عن أبي بصير، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: مَنْ مشى مع جنازة حتى يصلّي عليها، ثم رجع كان له قيراط [من الأجر] فإذا مشى معها حتى تُدفن كان له قيراطان، والقيراط مثل جبل أحد»^(٤).

وبعد هذه الأخبار وفتاوى الأعلام باستحباب التشييع فإنّ من مظلوميات السيّدة الزهراء عليها السلام أنها لم تُشيع أصلاً أو لم تُشيع كما ينبغي لها عليها السلام؛ لأنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام دفنها سرّاً في الليل، كما سنيّن لاحقاً.

الخصوصية العاشرة: دفن فاطمة عليها السلام

قد يسأل البعض عن وجه الاصطفاء في دفن السيّدة الزهراء عليها السلام، أليست

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ١٧٩.

(٢) أنظر: الانتصار: ص ٢٠٤.

(٣) أنظر: الخلاف: ج ٢، ص ٢٣٥. غنية النزوع: ج ١، ص ١٠٥.

(٤) الكافي: ج ٣، ص ١٧٣، ح ٥.

الزهراء عليها السلام دُفِنَتْ كما دُفِنَ سائر الناس، مِمَّنْ سَبَقَهَا وَلَحَقَهَا؟!!

الجواب: كلا وألف كلا، فالزهراء بضعة الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله، العالمة بأحكام الكتاب والسنة، آدابها وسننها وواجباتها ومحظوراتها، تأمر بأن تُدْفَنَ لَيْلاً وَسَرّاً^(١)، أليس تشييع الجنازة من المستحبات المؤكدة كما بيّنا آنفاً؟! ألم يكن الدفن في الليل من المناهي الشديدة المبعوضة في شرع أيها رسول الله صلوات الله عليه وآله، على ما نصّت عليه بعض كتب القوم^(٢)؟! فعلاّم تطلب السيّدة الزهراء عليها السلام هذا الطلب وبإلحاح شديد، ولماذا تطلب من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يغيب قبرها؟! أليس الرجل يُحْفَظُ في ولده؟! كما جاء على لسانها عليها السلام في خطبتها الغرّاء^(٣)؟! ومن مصاديق حفظها أن نقف على قبرها ونزورها ونتعاهده، كما نتعاهد قبر أبيها وأمّها وأبنائها.

إذاً في المسألة سرٌّ عميقٌ كشفت عن بعض زواياه السيّدة المظلومة عليها السلام عندما قالت: «... وأن لا يشهد أحدٌ من أعداء الله جنازتي ولا دفني ولا الصلاة عليّ»^(٤)، فدُفِنَتْ عليها السلام لَيْلاً لا نهاراً، وسَرّاً لا جهاراً، قال الشيخ كاظم الأزرعي رحمته الله:

(١) أنظر: صحيح البخاري: ج ٥، ص ٨٢، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حيث روى: «... فلمّا توفيت دفنها زوجها عليّ لَيْلاً، ولم يؤذن بها أبابكر».

(٢) أنظر: عمدة القارئ: ج ٨، ص ١٥٠، حيث قال: «روى الطحاوي من حديث نافع، عن ابن عمر قال: لا تدفنوا أمواتكم بالليل. وقال ابن حزم: لا يجوز أن يُدْفَنَ أَحَدٌ لَيْلاً إِلَّا عَنْ ضَرُورَةٍ، وَكُلُّ مَنْ دُفِنَ لَيْلاً مِنْهُ (صلى الله عليه وآله) وسَلَّمَ) ومن أزواجه وأصحابه، (رضي الله تعالى عنهم)، فإِذَا ذَلِكَ لَضَرُورَةٍ أُوجِبَتْ ذَلِكَ، مِنْ خَوْفِ زَحَامٍ، أَوْ خَوْفِ الْحَرِّ عَلَى مَنْ حَضَرَ، وَحَرِّ الْمَدِينَةِ شَدِيدٍ، أَوْ خَوْفٍ تَغْيِيرٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَبِيحُ الدَّفْنَ لَيْلاً، لَا يَجِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَظُنَّ بِهِمْ خِلَافَ ذَلِكَ».

(٣) أنظر: شرح الأخبار: ج ٣، ص ٣٧. الاحتجاج: ج ١، ص ١٣٩. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٣٥.

(٤) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ص ٣٩٢. بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٣٠٤، وج ٤٣، ص ١٩٩، وج ٧٨، ص ٢٥٦، ح ١٨.

كيف تنفى ابنة النبي عناداً
ولأيّ الأمور تُـدفن سرّاً
فمضت وهي أعظم الناسِ جدّاً
وثوت لا يرى لها الناسُ مثوىً

لا نفى الله من لظى مَنْ نفاها
بضعة المصطفى ويعفى تراها
في فم الدهرِ غصّة من جواها
أيّ قدسٍ يضمّه مثواها^(١).

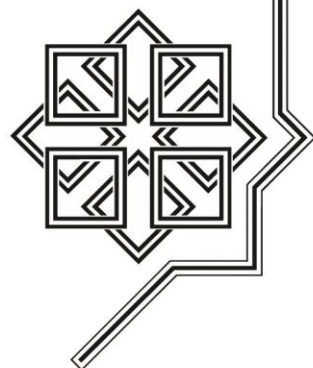
(١) القصيدة الأزرية: ص ١٤٣.

الحاضرة النورية عشره



درر من سيرة

الإمام الحسن المجتبي عليه السلام



روى الشيخ الصدوق رحمته الله بسنده، عن الفضل بن عمر، قال: قال الصادق عليه السلام:
«حدّثني أبي، عن أبيه عليه السلام: أنّ الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام كان أعبد الناس في زمانه،
وأزهدهم وأفضلهم...»^(١).

هذا المقطع من الرواية الشريفة اشتمل على جوانب ثلاثة في شخصية الإمام الحسن
المجتبى عليه السلام، نعرضها على التوالي إن شاء الله تعالى، ولكن قبل ذلك نمهد لها تمهيداً، ينفع
في هذا المقام وغيره، فنقول: الكلام الصادر من المعصوم عليه السلام لا يحتل فيه الكذب ولا
المبالغة ولا المجاملة، فهو كلامٌ حقٌّ على نحو القطع والجزم، وكلّ احتمال من هذا القيل
يمكن أن يتأتّى في كلام الراوي، لكن إذا وصلت الرواية إلى المعصوم عليه السلام بحسب المبنى
الرجالي المعتمد فلا شكّ في أنّ هذا الكلام كلام حقّ، بعيدٌ من الغمز واللمز، فأقواله
وأفعاله وسكناته وتقريراته عليه السلام، كلّها تُحمل على الصدق والجد والحقّ إلا إذا دلّ دليلٌ على
خلاف ذلك، وأنّ الإمام عليه السلام يريد في هذه الجملة أو تلك معنى آخر، قاله لتقية مثلاً.

وهذه الرواية الشريفة التي رواها صدوق الطائفة وشيخها، الشيخ ابن بابويه
القمي رحمته الله عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام، عن أبيه الإمام زين
العابدين عليه السلام في حقّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ودلالاتها على نحو الإجمال واضحة جداً
وهي تشير إلى فضل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وأنّه أكمل الخلق في زمانه، وهذا أمرٌ
بديهي؛ لأنّه حجة الله على الخلق وليس من المعقول أصلاً أن يكون هناك من هو أكمل من
الحجة في كلّ المزايا والصفات، وإلا انقلب الإمام مأموماً، وهو خلاف الفرض، فلتعرّف
لهذه المزايا والجوانب في حياته الشريفة عليه السلام:

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٢٤٤، ح ١٠.

الجانب الأول: عبادته ﷺ

لقد تميّز هذا البيت الطاهر بيت محمد وآله ﷺ بكثرة العبادة وعظمتها، فهم مضرب الأمثال في الجوانب عامة وفي العبادة خاصة، حتى أنك لا تجد أحداً ممن ترجم لهم ﷺ إلا ومّرّ بالجانب العبادي ووقف عند هذا الجانب، وإمامنا الحسن المجتبي ﷺ من هذه الدوحة الهاشمية، ومن هذا البيت الذي أذهب الله تعالى عنه الرجس وطهرهم تطهيراً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

والعبادة تنقسم إلى ثلاثة أنواع: بدنية، ومالية، ومركبة منها، فالبدنية كالصلاة والصيام وتلاوة القرآن وأنواع الأذكار، والمالية كالصدقات والصلات والمبرات، والمركب منها كالحج والجهاد والاعتماد، وقد كان الحسن ﷺ ضارباً في كلّ واحد من هذه الأنواع بالقدح الفائز والقدح الحائز^(٢).

القسم الأول: العبادة البدنية، مثل الصلاة والصوم وقراءة القرآن الكريم، وقد ضرب الإمام الحسن المجتبي ﷺ فيها أروع الأمثلة؛ فإنّ الطهور مفتاح الصلاة، كما في بعض النصوص^(٣)، وكان ﷺ إذا توضأ ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه، فقيل له في ذلك، فقال: «حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله». وكان ﷺ إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه وهو يقول: «إلهي ضيفك بيابك، يا محسن قد أتاك المنيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم»^(٤).

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده، عن الإمام زين العابدين ﷺ أنّه كان الإمام الحسن

(١) الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) أنظر: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ﷺ: ص ٣٤٢.

(٣) أنظر: التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ: ص ٥٢١.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٨٠.

المجتبي عليه السلام إذا قام في صلاته ترتعد فرائضه بين يدي ربّه عز وجل، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم، وسأل الله تعالى الجنة، وتعوّذ به من النار، وكان عليه السلام لا يقرأ من كتاب الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلا قال: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، ولم يُر في شيء من أحواله إلا ذاكرًا لله سبحانه»^(١).

القسم الثاني: العبادة المالية، مثل الزكاة والصدقات الواجبة والمستحبة، فله عليه السلام في الصدقة صلات لا تُنكر، الصدقة التي هي أربعة أحرف: فالصاد يصدّ صاحبها من مكاره الدنيا والآخرة، والدال يكون دليلاً إلى الجنة، والقاف يقرب صاحبها إلى الله تعالى، والهاء يهدي صاحبها للأعمال الصالحة، فيستوجب بها الرضوان الأكبر^(٢).

وقد ضرب الإمام عليه السلام أروع الأمثلة في ذلك؛ ففي كتاب الغارات «خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر عليه السلام حُبَّاجاً ففاتهم أثقالهم فجاءوا وعطشوا، فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم. فأناخوا بها وليس لها إلا شوية في كسر الخيمة، فقالت: احلبوها وامتدقوا لبنها. ففعلوا ذلك، وقالوا لها: هل من طعام؟ قالت: لا إلا هذه الشاة فليذبحنها أحدكم حتى أهيئ لكم شيئاً تأكلون. فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها، ثم هيأت لهم طعاماً، فأكلوا ثم أقاموا حتى أبردوا، فلما ارتحلوا قالوا لها: نحن نفرٌ من قريش نريد هذا الوجه، فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا، فإننا صانعون إليك خيراً. ثم ارتحلوا، وأقبل زوجها وأخبرته عن القوم والشاة فغضب الرجل، فقال: ويحك! تذبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم ثم تقولين: نفرٌ من قريش! ثم بعد مدّة ألجأتهما الحاجة إلى دخول

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٢٤٤.

(٢) أنظر: روضة الواعظين: ص ٣٥٧.

المدينة فدخلها وجعلا ينقلان البعر ويبيعانه ويعيشان منه، فمرّت العجوز في بعض سكك المدينة فإذا الحسن عليه السلام على باب داره جالس فعرف العجوز وهي له منكرة، فبعث غلامه فردّها وقال لها: يا أمة الله، تعرفيني؟ فقالت: لا. قال: أنا ضيفك يوم كذا وكذا. فقالت العجوز: بأبي أنت وأُمّي. فأمر الحسن عليه السلام فاشترى لها من شاء الصدقة ألف شاة، وأمر لها بألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين عليه السلام، فقال: بكم وصلك أخي الحسن؟ فقالت: بألف شاة وألف دينار، فأمر لها بمثل ذلك، ثمّ بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر، فقال: بكم وصلك الحسن والحسين عليهما السلام؟ فقالت: بألفي دينار وألفي شاة فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار، وقال: لو بدأت بي لأتعبتهما. فرجعت العجوز إلى زوجها بذلك»^(١).

القسم الثالث: العبادة المركبة، مثل الحجّ والجهاد، ففي الحجّ قد روى الذهبي عن ابن عباس أنّه قال: «ما ندمت على شيء فأتني في شبابي إلّا أنّي لم أحجّ ماشياً، ولقد حجّ الحسن بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً، وإنّ النجائب لتُقاد معه. ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى إنّهُ يعطي الخف ويمسك النعل»^(٢).

وفي الجهاد، فيكفيك ما قاله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بعض أيام صفين وقد رأى الإمام الحسن عليه السلام يتشرّع إلى الحرب: «املكوا عني هذا الغلام لا يهدني، فإنني أنفس بهذين (يعني الحسن والحسين عليهما السلام) على الموت؛ لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٣).

(١) الغارات: ج ٢، ص ٦٩٦-٦٩٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٢٦٠.

(٣) نهج البلاغة: ج ٢، ص ١٨٦، ح ٢٠٧.

حتى قال الشاعر في هذا المعنى مخاطباً الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

يا أيها النبأ العظيمُ إليك في ابنك مَنّي أعظمَ الأنبياءِ
إنَّ الذينَ تسرعاً يقيانك الأرماحَ في صفٍّ بالهيجاءِ
فأخذتَ في عضديهما تُثنيهما عما أملك من عظيمٍ بلاءٍ^(١).

الجانب الثاني: زهده عليه السلام

ولنعَم ما قيل في تفسير الزهد أنّه: «ليس الزهد أن لا تملك شيئاً، بل الزهد أن لا يملكك شيء»^(٢)؛ فإنه عليه السلام كان يجود بكلّ ما لديه لله تبارك وتعالى، فيصل به الفقراء والمساكين والمحتاجين، يجبر به خواتمهم، ويكسو به عريائهم، ويطعم به جائعهم، ويكفيك أنّه عليه السلام كريم أهل البيت الذين هم أكرم الناس، فعن علي بن جذعان، قال: «خرج الحسن بن علي من ماله مَرَّتَيْنِ، وقاسم الله ماله ثلاث مَرَّاتٍ حتى إن كان ليعطي نعلًا ويمسك نعلًا، ويعطي خُفًا ويمسك خُفًا»^(٣).

وروى ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز: «أنَّ الحسن بن علي بن أبي طالب سمع إلى جنبه رجلاً يسأل أن يرزقه الله عشرة آلاف درهم فانصرف فبعث بها إليه»^(٤).
وروى أيضاً أنّه عليه السلام: «كان ماراً في بعض حيطان المدينة، فرأى أسود بيده رغيف يأكل لقمة ويطعم الكلب، إلى أن شاطره الرغيف! فقال له الحسن: ما حملك على أن شاطرته فلم تغابنه فيه بشيء؟ فقال: استحيت عينا من عينه أن أغابنه! فقال له: غلامٌ من

(١) البيتان من قصيدة خالدة للشيخ صالح الكوازي رحمه الله.

(٢) قولٌ مشهور، لم تُعرَف على قائله.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٨٠.

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ج ١٣، ص ٢٤٥.

أَنْتَ؟ قال: غلام أبان بن عثمان. فقال: والحائط؟ فقال: لأبان بن عثمان. فقال له الحسن: أقسمت عليك لا برحت حتى أعود إليك، فمَرَّ فاشترى الغلام والحائط وجاء إلى الغلام، فقال: يا غلام، قد اشتريتكَ. فقام قائماً، فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي، قال: فقد اشتريت الحائط وأنت حرٌّ لوجه الله، والحائط هبةٌ مني إليك. قال: فقال الغلام: يا مولاي، قد وهبت الحائط للذي وهبني له^(١).

الجانب الثالث: فضله ﷺ

وأعظم جانب في فضل الناس وكمالهم هو العلم، الذي يرفع الله به بعضنا على البعض الآخر مع الإيمان بالله تعالى، وكان ﷺ أعلم الناس في زمانه، وفي زمان أبيه هو الذي يتبع أباه ﷺ في علمه، فقد روى الشيخ الطبرسي رحمه الله في الاحتجاج، عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: «بيننا أمير المؤمنين في الرحبة والناس عليه متراكمون، فمن بين مستفتي، ومن بين مستعدي، إذ قام إليه رجل فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا رجل من رعيتك وأهل بلادك.

فقال له: ما أَنْتَ برعيتي وأهل بلادي، ولو سلَّمت عليَّ يوماً واحداً ما خفيت علي.

فقال: الأمان يا أمير المؤمنين.

فقال: هل أحدثت منذ دخلت مصري هذا؟

قال: لا.

قال: فلعلك من رجال الحرب؟

(١) المصدر السابق: ج ١٣، ص ٢٤٦.

قال: نعم.

قال: إذا وضعت الحرب أوزارها فلا بأس.

قال: أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفلاً لك، أسألك عن شيء بعث به ابن الأصفر إليه. وقال له: إن كنت أحقّ بهذا الأمر والخليفة بعد محمد فأجبني عما أسألك، فإنّك إن فعلت ذلك اتّبعتك، وبعثت إليك بالجائزة، فلم يكن عنده جواب، وقد أقلقه فبعثني إليك لأسألك عنها.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قاتل الله ابن آكلة الأكباد، وما أضلّه وأعماه ومَن معه، حكم الله بيني وبين هذه الأمة، قطعوا رحمي، وأضاعوا أيامي، ودفعوا حقّي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي، يا قنبر عليّ بالحسن والحسين ومحمد، فأحضروا.

فقال: يا شامي، هذان ابنا رسول الله، وهذا ابني، فاسأل أيّهم أحببت.

فقال: اسأل ذا الوفرة - يعني الحسن عليه السلام - فقال له الحسن عليه السلام: سلني عما بدا لك.

فقال الشامي: كم بين الحقّ والباطل؟ وكم بين السماء والأرض؟ وكم بين المشرق والمغرب؟ وما قوس قزح؟ وما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين وما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين؟ وما المؤنث؟ وما عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض؟

فقال الحسن عليه السلام: بين الحقّ والباطل أربع أصابع، فما رأيته بعينك فهو الحقّ، وقد تسمع بأذنك باطلاً كثيراً.

فقال الشامي: صدقت.

قال: وبين السماء والأرض دعوة المظلوم، ومدّ البصر، فمن قال لك غير هذا فكذب.

قال: صدقت يا بن رسول الله.

قال: وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس، تنظر إليها حين تطلع من مشرقها، وتنظر إليها حين تغيب في مغربها.

قال: صدقت. فما قوس قزح؟

قال: ويحك! لا تقتل قوس قزح؛ فإنّ قزح اسم الشيطان، وهو قوس الله، وهذه علامة الخصب، وأمان لأهل الأرض من الغرق.

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين فهي عين يُقال لها: (برهوت)، وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين فهي عين يُقال لها: (سلمى)، وأما المؤنث فهو الذي لا يدري أذكر أم أنثى فإنّه: ينتظر به فإن كان ذكراً احتلم، وإن كان أنثى حاضت، وبدأ ثديها، وإلا قيل له: (بل على الحايط) فإنّ أصاب بوله الحايط فهو ذكر، وإنّ انتكص بوله كما ينتكص بول البعير فهي امرأة.

وأما عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض فأشدّ شيء خلقه الله الحجر، وأشدّ من الحجر الحديد يقطع به الحجر، وأشدّ من الحديد النار تذيب الحديد، وأشدّ من النار الماء يطفئ النار، وأشدّ من الماء السحاب يحمل الماء، وأشدّ من السحاب الريح تحمل السحاب، وأشدّ من الريح الملك الذي يرسلها، وأشدّ من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشدّ من ملك الموت الذي يميت ملك الموت، وأشدّ من الموت أمر الله الذي يميت الموت.

فقال الشامي: أشهد أنّك ابن رسول الله حقّاً، وأنّ علياً أولى بالأمر من معاوية، ثمّ كتب هذه الجوابات وذهب بها إلى معاوية، فبعثها إلى ابن الأصفر.

فكتب إليه ابن الأصفر: يا معاوية، لم تكلمني بغير كلامك، وتجيبي بغير جوابك، أقسم بالمسيح ما هذا جوابك، وما هو إلا من معدن النبوة، وموضع الرسالة، وأما أنت فلو سألتني درهماً ما أعطيتك»^(١).

(١) الاحتجاج: ج ١، ص ٣٩٨-٤٠١.

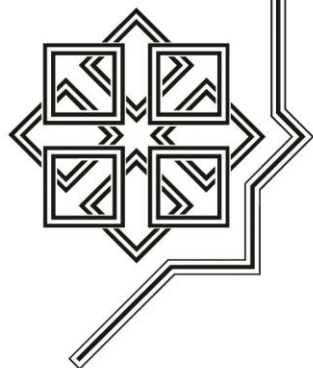
لقد عرف غيرُ المسلمين مقام أهل البيت عليه السلام، لكن مَنْ يدّعي أنّه من أُمّة رسول الله ﷺ قَصُرَ في حقّهم، بل وقاتلهم وتبعهم تحت كلّ حجرٍ ومدرٍ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، وسيعلم الذين ظلموا آلَ محمّدٍ أيّ منقلبٍ ينقلبون، والعاقبة للمتّقين.

الحاشية السادسة عشر



الضابطة في الإمامة

وكيفية الدلالة على الإمام عليه السلام



روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده إلى الحسن بن الجهم، أنه قال: «سأل بعضهم الإمام الرضا عليه السلام فقال له: يا بن رسول... فدلالة الإمام فيما هي؟ قال: في العلم واستجابة الدعوة»^(١).

ليس من المعيب أن يسأل الإنسان لرفع جهله، لكن المعيب جداً هو أن يبقى على جهله، إلى أن يوصله إلى شفى حفرة من النار، خصوصاً في القضايا الحساسة، التي لها الارتباط الوثيق بالدين، بل هي من أسس الدين المهمة التي لا ينبغي التغافل عنها، مثل مسألة الإمامة، ومن هنا نجد أنه زلت أقدام الكثير فيها، وانحرفت طوائف عنها؛ بسبب ما وضعوه لها من ضوابط من عند أنفسهم لم تمت إلى الدين بصلّة، ومن هذه الضوابط:

الضابطة الأولى: عنصر الخلق

وهي الضابطة التي وضعها إبليس لتفضيل خلقه على أبي البشر آدم عليه السلام، فلاحظ كيف يضع مقياساً لنفسه عندما أمره الباري عز وجل بالسجود لآدم عليه السلام بأنه أفضل من آدم؛ لأنّه مخلوق من النار ونبيّ الله آدم عليه السلام مخلوق من الطين، والنار كعنصر أفضل من الطين، والعناصر الأربعة على رأي الفلسفة القديمة هي: (التراب، والنار، والماء، والهواء)، وقالوا: إنّ العناصر الأربعة أجسام بسيطة وهي أجزاء أوليّة لبدن الإنسان، فمنها اثنان خفيفان، وهما النار والهواء، واثنان ثقلان وهما الأرض والماء^(٢)، وأنّ نبيّ الله آدم عليه السلام خلقه ليس من التراب فقط، بل من التراب وغيره من العناصر، بحيث يكون التراب جزء من أجزاء بدنه، لكن من جهة الأغلبية أشار إليه، وكذلك الحيوان، بل وكلّ موجود حتى

(١) عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢١٦، ح ١.

(٢) أنظر: شرح نهج البلاغة لابن مشيم البحراني: ج ١، ص ١٧٩.

إبليس - أيضاً - لم يكن مخلوقاً من نار صرف، حيث قال: ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ﴾^(١)، بل من العناصر الأربعة، لكن نسب نفسه إلى النَّار للأغلبية؛ لأنَّ جزء النار في الجنّ - ومنهم الشيطان - أغلب من بقيّة الأجزاء الأخرى، فحينئذ يكون المراد بالتّراب الأرض وما عليها من المركّبات في خلق آدم، وبالنسبة إلى الماء الحقيقي يكون العلوم الظاهرة الحاصلة من الحسّ بمعاونة الفكر^(٢)، وهكذا بقيت نظرية التفضيل حتى حدى الأمر بالشاعر بشّار بن برد أن يفضّل النار على الأرض، ويصوّب رأي إبليس في امتناعه من السجود لآدم، حتى قال:

إبليس خيرٌ من أبيكم آدم فتنبهوا يا معشرَ الفجّار
إبليس من نارٍ وادمُ طينةٌ والأرض لا تسمو سمو النار^(٣).

الضابطة الثانية: الغنى والثروة

والبعض من الناس يعتبر الضابطة في التفضيل للمنصب الإلهي بالغنى والثروة، كما في قضية مشرقي قريش مع النبي الخاتم ﷺ، حيث اعتبروا النبيّ فقيراً ویتيماً لا مال له فعلام أنزل عليه القرآن دونهم، وهم الأثرياء الأقوياء أصحاب النفوذ والسلطان المزيّف، حتى حكى لنا القرآن ذلك، حيث يقول الباري عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٤).

(١) الأعراف: آية ١٢.

(٢) أنظر: تفسير المحيط الأعظم والبحر الحظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: ج ٤، ص ٥١.

(٣) الوافي بالوفيات: ج ١٠، ص ٨٦.

(٤) الزخرف: آية ٣١.

الضابطة الثالثة: كبر السن

وبالعوض من الناس يعتبر الضابطة في التفضيل للمنصب الإلهي كبر السن، كما في قضية أبي بكر عندما تصدّى لخلافة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حيث كان من ضمن احتجاجاته أنّه أكبر الناس المرشحين للخلافة سنّاً، ولذا لمّا سمع أبوه أبو قحافة، قال: إن كان الأمر في ذلك بالسن فأنا أحقّ من أبي بكر، لقد ظلموا عليّاً حقّه، وقد بايع له النبي صلى الله عليه وآله وأمرنا ببيعته، ثمّ كتب إليه: «من أبي قحافة إلى ابنه أبي بكر. أما بعد، فقد أتاني كتابك فوجدته كتابَ أحمقٍ ينقض بعضه بعضاً، مرّة تقول: خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومرّة تقول: خليفة الله، ومرّة تقول: تراضى بي الناس، وهو أمر ملتبس، فلا تدخلن في أمر يصعب عليك الخروج منه غداً، ويكون عقابك منه إلى النار والندامة، وملامة النفس اللوامة لدى الحساب بيوم القيامة، فإنّ للأُمور مداخلَ ومخارجَ، وأنت تعرف من هو أولى بها منك، فراقب الله كأنك تراه، ولا تدعن صاحبها، فإنّ تركها اليوم أخف عليك وأسلم لك»^(١)، وبقيت هذه الضابطة عند كثير من الناس وكأَنهم لم يقرأوا القرآن وهو بين أيديهم، بأنّ كبر السن لا قيمة له في مثل هذه الأمور.

الضابطة الإلهية

وأما الضابطة الإلهية التي تفسد جميع الضوابط الوضعية الناشئة من الهوى وحبّ التسلّط والاعتزاز، فهي ما ذكره الإمام عليه السلام (العلم واستجابة الدعوة)؛ وذلك لأنّ منشأ الاضطراب والخفّة في الإنسان هو الجهل والعجز، وبما أنّ الإمام معلّم لكتاب الله - وهو لا يفارقه بنصّ حديث الثقلين - والكتاب تبيان لكلّ شيء بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا

(١) الاحتجاج: ج ١، ص ١١٥.

عَلَيْكَ أَلِكْتَبَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴿١﴾، فلا يمكن أن يكون الإمام غير محيط بعلم من العلوم التي في الكتاب الإلهي!

وَتُسْتَفَادُ هَذِهِ النِّكْتَةُ مِنَ الْحَدِيثِ الْمَعْتَبَرِ عَنْ ابْنِ بَكِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «كُنْتُ عَنْدهُ فَذَكَرُوا سَلِيمَانَ وَمَا أُعْطِيَ مِنَ الْعِلْمِ، وَمَا أُوتِيَ مِنَ الْمُلْكِ، فَقَالَ لِي: وَمَا أُعْطِيَ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ، إِنَّمَا كَانَ عَنْدهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْأَعْظَمِ، وَصَاحِبُكُمْ الَّذِي قَالَ اللَّهُ: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ﴿٢﴾، وَكَانَ وَاللَّهُ عِنْدَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمُ الْكِتَابِ. فَقُلْتُ: صَدَقْتَ وَاللَّهُ، جُعِلَتْ فِدَاكَ» ﴿٣﴾ وَالْإِمَامُ - بَارْتَبَاطُهُ بِأَمْرِ اللَّهِ - صَاحِبُ الدَّعْوَةِ الْمُسْتَجَابَةِ، وَهَذَا الْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ تَلْبَسُ بِتَاجِ الْوَقَارِ؛ فَإِنَّ الْحِجَّةَ مِنَ اللَّهِ هُوَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ، وَكَمَالُ الْإِنْسَانِ بِالْعِلْمِ وَنَفُوذُ الْإِرَادَةِ.

وَالرِّيَاسَةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي الدُّنْيَا لَا تَجْتَمِعُ مَعَ الْعِجْزِ وَالْجَهَالَةِ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَحِجَّتِهِ عَلَى عِبَادِهِ - لَا سِتْكَمَالِ الْعُقُولِ وَتَرْبِيَةِ النُّفُوسِ - أَعْلَمُ النَّاسِ، وَمُسْتَمَدًّا مِنَ الْعَلِيمِ الَّذِي لَا نِفَادَ لِكَلِمَاتِهِ، وَبِاسْتِغْرَاقِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ إِرَادَتِهِ لِإِرَادَةِ اللَّهِ تَكُونُ إِرَادَتُهُ نَافِذَةً، وَقُدْرَتُهُ قَاهِرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ. فَدَلَالَةُ الْإِمَامِ هِيَ الْعِلْمُ وَاسْتِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَهَذَا الْأَمْرَانِ يُثْبِتَانِ مَقَامَ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ فِي الْعَقْلِ وَالْإِرَادَةِ الَّذِي هُوَ مَرْبِّيُّ نَوْعِ الْإِنْسَانِ، وَعِنْدَمَا ادَّعَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْإِمَامَةَ وَقَالَ فِي الْمَلَأِ الْعَامِ إِنَّ دَلَالَتَهَا الْعِلْمُ وَاسْتِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَقَدْ كَانَتْ السُّلْطَةُ الْحَاكِمَةُ وَحَوَاشِيهَا مَرْتَصِدِينَ لِإِبْطَالِ دَعْوَاهُ وَمَعَ ذَلِكَ سَكَتُوا عَنْ مَطَالِبَتِهِ بِإِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَى مَدَّعَاهُ، فَإِنَّ سَكُوتَهُمْ أَقْوَى شَاهِدٍ عَلَى عِجْزِهِمْ عَنْ مَعَارَضَتِهِ وَاعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّهُ

(١) النحل: آية ٨٩.

(٢) الرعد: آية ٤٣.

(٣) بصائر الدرجات: ص ٢٣٢، ح ١.

العالم الذي عنده جواب كل مسألة، وأنه الوجه عند الله الذي لا تُرد له كل طلبه^(١). وهذا ما حدث في زمن الإمام الجواد عليه السلام فبعد ظهور الحق، وفشل المؤامرات في اعتراضهم بالعقم وعدم التشابه جاءوا بطريق آخر للتشكيك، وهو صغر عمر الإمام الجواد عليه السلام، حيث إنه (سلام الله عليه) كان أول إمام يبلغ الإمامة في طفولته^(٢)، فمن الطبيعي أن يكون أول سؤال يخطر بالبال عند دراسة حياته هو أنه كيف يمكن لحدث أن يتحمل مسؤولية ومهمة إمامة وقيادة المسلمين الحساسة والكبيرة؟

وتبين من خلال دراسة حياة الإمام الجواد عليه السلام أن هذا التشكيك وصل به الأمر إلى أن يُطرح كسؤال رسمي على الإمام الرضا عليه السلام، وهنا نشير إلى بعض تلك الأسئلة: منها: ما ذكره بعض أصحاب الإمام الرضا عليه السلام قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن الرضا بخراسان، فقال له قائل: يا سيدي، إن كان كون فيل من؟ قال: «إلى أبي جعفر ابني» فكان القائل استصغر سن أبي جعفر، فقال أبو الحسن عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم رسولاً نبياً، صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر»^(٣).

ومنها: بنفس المضمون مع إشارة الإمام الرضا عليه السلام إلى قوله تعالى في يوسف عليه السلام:

(١) أنظر: مقدمة في أصول الدين: ص ٢٧-٤٢٨.

(٢) وإن لم يكن عليه السلام هو الأخير، فقد بلغها ابنه الإمام الهادي عليه السلام بهذا السن أو أصغر، وتقلدها الإمام المهدي عليه السلام، وهو لم يبلغ الست سنوات.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٣٢٢، باب النص على الإمام الجواد عليه السلام، ح ١٣، وص ٣٨٤، ح ٦. الإرشاد: ج ٢، ص ٢٧٩، إعلام الوري: ج ٢، ص ٩٤. روضة الواعظين: ص ٢٣٧. كشف الغمة: ج ٣، ص ١٤٥. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٣٣٤، ح ٦٨. مدينة المعاجز: ج ٧، ص ٢٧٧، ح ١١. بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٢٥٦-٢٥٧، ح ٥٣، عن الكافي، ج ٥٠، ص ٢٣-٢٤، ح ١٥، عن الإرشاد وإعلام الوري.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(١)، وفي يحيى عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^{(٢)(٣)}.

وعلى الرغم من كل ما قيل حول إمكانية الوصول إلى المناصب الإلهية الكبيرة في حَدَاثَةِ السِّنِّ، كانت مشكلة حَدَاثَةِ سِنِّ الإمام الجواد عليه السلام لا تزال غير محلولة ليس لكثير من عوالم الشيعة، بل أصبحت مثاراً للجدل لدى بعض المقرّبين من الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، حتى كتب الطبري الإمامي من علماء القرن الرابع الهجري: «ولمّا بلغ سنّه [الإمام الجواد عليه السلام] ستّ سنوات وبضعة شهور، قتل المأمون أباه، فحار الشيعة، ووقع الخلاف بين الناس، واستصغروا سنّ أبي جعفر، واحتارت الشيعة في البلاد»^(٤).

كان الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام جالساً بالمدينة مع صاحب له يُقال له أبا زكريا، إذ بكى بكاءً شديداً، فسأله الرجل ما بكاؤك؟ فلم يجبه، فتركه ودخل البيت باكياً، وهو يقول: «إنّ أبي توفي الساعة. فارتفعت الأصوات بالبكاء والنياح، ثم خرج أبو الحسن ودموعه تجري على خديه، وهو يقول: إنّ الله وإنا إليه راجعون. فسُئِلَ عن ذلك، فقال: إنّ أبي توفي الساعة في بغداد، فقلنا: بما علمت؟ قال: دخلني من إجلال الله تعالى ما لم أكن أعرفه»^(٥).

وروي أنّه عليه السلام أقبل بطيّ الأرض إلى بغداد، وغسّل أباه وحنّطه وكفّنه في مقابر قريش، في ظهر جدّه موسى بن جعفر عليه السلام، ولسان حاله: وا أبتاه! وأعظم مصيبتاه! والناس معه يصرخون: وإماماه! وإسيّده!

(١) يوسف: آية ٢٢.

(٢) مريم: آية ١٢.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٣٨٤، باب حالات الأئمة عليهم السلام في السن، ح ٧.

(٤) دلائل الإمامة: ص ٢٠٤.

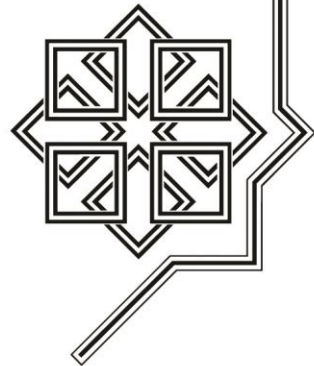
(٥) انظر: الطبري (الشيوعي)، ابن جرير، دلائل الإمامة: ص ٥١٥ - ٥١٦.

مات الجواد اليوم مسموم عجب الهزيمة أو كلّ الهموم
 والهادي يبجي ابكلب مالوم وايصيح بويه اهنّا يحروم
 شنهو السبب سمتك هلگوم والشيعه تبجي دمه اهل يوم
 لجل الجواد الراح مظلوم^(١).

(١) أنظر: مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ٤، ص ٢٩٩-٣٠٤.

الحاضرة السابعة عشرة

معركة بدر الكبرى



قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ * إِذْ تَقُولُ
لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١﴾.

في السنة الثانية، في السابع عشر من شهر رمضان المبارك، وعلى رأس ستة عشر شهراً
من هجرة النبي الأكرم ﷺ من مكة إلى المدينة^(٢)، كانت حرب بدر الكبرى بين المسلمين
ومشركي مكة؛ ووُصِفَت بالكبرى احترازاً عن وقعة بدر الصغرى، التي خلاصتها: أنَّ
النبي الأكرم ﷺ سمع أنَّ كرز بن جابر الفهري خرج من مكة مع رجالٍ من قريش،
وأغاروا على ضواحي المدينة ونهبوا إبلًا كانت لرسول الله ﷺ، وبعض المواشي والدواب
لآخرين، وساقوها إلى مكة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يُقال له سَفَوَان
من ناحية بدر، وكان حامل اللواء أمير المؤمنين ع، فمكث ﷺ هناك قرب بئر ثلاثة أيام،
وبحث عن المشركين فلم يجدهم، فرجع إلى المدينة^(٣).

وأما وقعة بدر الكبرى فملخصها: أنَّه خرج مشركو قريش - كعتبة وشيبة والوليد بن
عُتبة وأبي جهل وأبي البُختری ونوف بن خويلد وجمع كثير من صناديد مكة ورجال
الحرب فيها، حيث بلغ عددهم تسعمائة وخمسين نفراً - لقتال النبي ﷺ، فخرجوا من مكة
حاملين أدوات الطرب، ومصطحيين النساء المُغَنِّيَّات، للهُو واللعب، ومعهم مائة فرس
وسبعمائة بعير، وكان على كل واحدٍ من أكابر قريش إطعام الجيش في كل يوم بأن ينحر لهم

(١) آل عمران: آية ١٢٣-١٢٣.

(٢) تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٧١.

(٣) أنظر: السيرة النبوية (ابن كثير): ج ٢، ص ٣٦٤. السيرة الحلبية: ج ٢، ص ٣٥٢. الاستيعاب: ج ٣،
ص ١٣١٠. الدرر: ص ٩٨. الطبقات الكبرى: ج ٢، ص ٩. أسد الغابة: ج ٤، ص ٢٣٧. معجم
البلدان: ج ٣، ص ٢٢٥. الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ١١٢. البداية والنهاية: ج ٣، ص ٣٠٣.

عشرًا من الإبل.

وقيل: إنّ قافلة لأبي سفيان فيها ما قيمته خمسون ألف دينار، ندب رسول الله ﷺ المسلمين للخروج إليها، فانتدب الناس، فخفّ بعضهم، وثقل آخرون، ولعلّهم تخوفوا من كرة قريش عليهم، حينها لا بدّ لها من محاولة الانتقام لهذا الإجراء الذي يستهدف مصالحها الحيوية، وما بقي أحد من عظماء قريش إلّا أخرج مالاّ لتجهيز الجيش، وقالوا: مَنْ لم يخرج نهدم داره، فلم يتخلّف رجل إلّا أخرج مكانه رجلاً، وبعث أبو لهب العاصي بن هشام مكانه على أربعة آلاف درهم، كانت له عليه من مال المقامرة^(١).

وعلى كلّ حال خرج رسول الله ﷺ مع ثلاثمائة وثلاثة عشر من أصحابه من المدينة إلى أن وصلوا إلى أرض بدر. فلما وصل النبي ﷺ إلى هناك أشار إلى الأرض قائلاً: «هنا مصرع فلان، وهناك مصرع فلان»، فعدّد ﷺ مصرع كلّ القتلى من صناديد قريش، فكان كما قال ﷺ ولما وصل المشركون، صعدوا على تلّ ونظروا إلى جيش المسلمين مستخفين بهم، والمسلمون أيضاً نظروا إلى العدو بعين الاحتقار والاستخفاف، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِيَ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيَ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَىَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(٢).

وبعد رؤيتهم جيش النبي ﷺ نزلوا خلف ذلك التلّ بعيداً عن الماء، وبعثوا عمر بن وهب مع جماعة للتفحص، وليرى هل للمسلمين كمين أو لا؟ فجال بفرسه حتّى طاف عسكر رسول الله ﷺ يميناً وشمالاً، ثمّ رجع وقال: ما لهم كمينٌ ولا مدد، ولكن نواضح^(٣) يثرب قد حملت الموت الناقع، أما ترونهم خرساً لا يتكلّمون، يتلمّظون تلمظ

(١) أنظر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ: ج ٥، ص ٢٧٠-٢٧٤.

(٢) الأنفال: آية ٤٤.

(٣) النواضح: جمع ناضح، وهو البعير الذي يُسنى عليه فيسقى به الأرضون، الأثنى ناضحة. أنظر:

الأفاعي ما لهم ملجأ إلا سيوفهم، وما أراهم يُولّون حتّى يُقتلوا، ولا يُقتلون حتّى يُقتلوا بعددهم، فارتأوا رأيكم.

فلما سمع هذا حكيم بن حزام حرّض عتبة على ترك الحرب والمصالحة. فقال له عتبة: اذهب إلى ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - وقل له أن يترك الحرب ويصالح أبناء عمّه. فجاء حكيم إلى أبي جهل وأبلغه رسالة عتبة، فقال أبو جهل: جبن وانتفخ سحره، ويخاف على ابنه أبي حذيفة الذي في جيش المسلمين، فجاء حكيم إلى عتبة وأخبره بمقولة أبي جهل، فلما تلاقا قال عتبة لأبي جهل: يا مصفراً أسأته، مثلي يجبن؟ ستعلم قريش أننا ألام وأجبن.

ولما كانت ليلة بدر قال النبي ﷺ: «مَن يستقي لنا من الماء؟» فأحجم الناس فقام علي عليه السلام فاحتضن فرسه، ثم أتى بئراً بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، تأهبوا لنصرة محمد وحزبه، فهبطوا من السماء لهم لغط يذعر مَن يسمعه، فلما حاذوا البئر سلّموا عليه من عند آخرهم إكراماً وتبجيلاً.

محمد بن ثابت بإسناده، عن ابن مسعود، والفلكي المفسر بإسناده، عن محمد بن الحنفية، قال: بعث رسول الله علياً في غزوة بدر أن يأتيه بالماء حين سكت أصحابه عن إيراده، فلما أتى القلب وملاً القربة الماء فأخرجها جاءت ريح فهرقته، ثم عاد إلى القلب وملاً القربة فأخرجها، فجاءت ريح فأهرقته، وهكذا في الثالثة، فلما كانت الرابعة ملاًها فأتى بها النبي فأخبر بخبره، فقال رسول الله: «أما الريح الأولى فجبرئيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، وأما الثانية ميكائيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، والريح الثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك»، وفي رواية «ما أتوك إلا ليحفظوك»، وقد رواه عبد الرحمن بن صالح بإسناده عن الليث، وكان يقول: «كان لعلي في ليلة واحدة



ثلاثة آلاف منقبة وثلاث مناقب»، ثم يروي هذا الخبر، قال الحميري:

ذاكَ الَّذِي سَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ عَلَيْهِ مِيكَالٌ وَجَبْرِيلُ
مِيكَالٌ فِي أَلْفٍ وَجَبْرِيلُ فِي أَلْفٍ وَيَعْلُوهُمْ سِرَافِيلُ^(١).

أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّهُ وَإِنْ عَلِمَ شِقَاءَ قَرِيشٍ وَعَدَمَ تَسْلِيمِهِمْ، لَكِنْ لِأَجْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾، بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، وَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قَرِيشِ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَكُمْ، فَخَلُونِي وَالْعَرَبَ وَارْجِعُوا. فَقَالَ عَتَبَةُ: مَا رَدَّ هَذَا قَوْمٌ قَطَّ فَأَفْلَحُوا، يَا مَعْشَرَ قَرِيشِ، إِنَّ مُحَمَّدًا لَهْ إِلٌ^(٢) وَذِمَّةٌ فَاسْمَعُوا نَصَحَتَهُ، فَغَازَى أَبَا جَهْلٍ قَوْلُهُ وَقَالَ لَهُ: مَا هَذِهِ الْغَوْغَاءُ؟! أَمِنْ خَوْفِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ تَحْتَالُ الرَّجُوعُ؟ فَغَضِبَ عَتَبَةُ وَنَزَلَ مِنْ نَاقَتِهِ، وَطَلَبَ مِنْ أَبِي جَهْلٍ الْبِرَازَ لِيَعْلَمَ مِنَ الْجَبَانِ، فَتَوَسَّطَ كُفْرَاءُ قَرِيشَ بَيْنَهُمْ، لَكِنَّ عَتَبَةَ لَرَدَعِ تَهْمَةِ الْجَبْنِ عَنْهُ لَبَسَ دَرْعَهُ وَشَدَّ عِمَامَتَهُ، وَكَانَ لَا يَلْبَسُ الْخُوْذَةَ لِكِبَرِ رَأْسِهِ، وَتَقَدَّمَ هُوَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَابْنَةُ الْوَلِيدِ وَجَالُوا فِي الْمِيدَانِ، وَكَانَتْ نِيرَانُ الْحَرْبِ قَدْ ائْتَدَلَتْ، فَطَلَبُوا الْمُبَارَزَ فَبَرَزَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَانْتَسَبُوا لَهُمْ، فَقَالُوا: ارْجِعُوا إِنَّمَا نَرِيدُ الْأَكْفَاءَ مِنْ قَرِيشِ؛ فَأَمَرَ ﷺ عَلِيًّا وَحُمَازَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ وَعَبِيدَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بِالْمُبَارَاةِ فَجَاوَوْا إِلَى الْمِيدَانِ وَهُمْ زَيْرُ كَزَيْرِ الْأَسَدِ، قَالَ حُمَازَةُ: أَنَا حُمَازَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ. فَقَالَ عَتَبَةُ: كَفُوءُ كَرِيمٍ، وَأَنَا أَسَدُ الْخُلَفَاءِ وَأَنَا أَسَدُ الْمُطِيعِينَ...^(٣). فَبَرَزَ

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٨٠.

(٢) الإل: العهد أو القرابة. انظر: لسان العرب: ج ١١، ص ٢٦.

(٣) المطيعين: حلف تعاهد فيه أصحابه على أخذ المناصب الخمسة - وهي: السقاية والرفادة والحجابة واللواء والندوة - من أولاد عبد الدار ونقلها إليهم، وكان سيدهم عتبة (لعه الله)، ثم خلطوا أطيابا، وغمسوا أيديهم فيها، وتعاقدوا، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا، فسموا: المطيعين. انظر: القاموس المحيط: ج ١، ص ٩٩.

عليّ عليه السلام للوليد وحمزة لشيبة وعبيدة لعتبة، فحمل عليه السلام على الوليد، فضربه على جبل عاتقه فأخرج السيف من أبطه حتى قيل: إنه أخذ الوليد يده المقطوعة وضرب بها رأس عليّ عليه السلام، ثم ذهب إلى أبيه هارباً، فشدّ عليه الإمام عليه السلام فضرب فحذه فسقط ميتاً.

وتقدّم حمزة وشيبة فتكادما^(١) الموت طويلاً حتى تكسّرت سيوفهما ودروعهما، وأخذا يتصارعان، فقال المسلمون: يا عليّ أما ترى الكلب قد بهر^(٢) عمّك؟ فحمل عليه السلام وقال: يا عمّ طأطئ رأسك. وكان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره، فضربه عليّ عليه السلام فطرح نصفه.

أما عبيدة فإنه ضرب رأس عتبة فشقه، وضرب عتبة رجل عبيدة فقطعها، فجاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه وقتله؛ ولذا قال لمعاوية: وعندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد. فحمل حمزة وعليّ عبيدة إلى النبي صلى الله عليه وآله، فبكى كثيراً حتى سالت دموعه على وجه عبيدة، وقد سال مخ ساقه منها، فاستشهد عند رجوعهم إلى المدينة في أرض روحاء أو صفراء، ودفن هناك، وكان أسنّ من رسول الله صلى الله عليه وآله بعشر سنين... ووقع الرعب في قلوب المشركين وفي قلب أبي جهل بعد قتل هؤلاء الثلاثة. وقتل سبعون رجلاً من أبطال قريش في تلك المعركة، منهم: عتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة، وحنظلة بن أبي سفيان، وطعيمة بن عدي، والعاص بن سعيد، ونوفل بن خويلد، وأبو جهل.

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله رأس أبي جهل مقطوعاً سجد لله شكراً. ثم انهزم جيش المشركين فلحقهم المسلمون وأسروا منهم سبعين نفرًا... كان النضر بن الحارث وعقبة بن

(١) الدابة تكادم الحشيش إذا لم تستمكن منه. أنظر: العين: ج ٥، ص ٣٣٤.

(٢) البهر: الغلبة، بهرت فلاناً إذا غلبته ببطش أو لسان. أنظر: ترتيب إصلاح المنطق: ص ٨٨.

أبي معيط في جملة الأسرى، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهم، وقد كانوا من أعداء النبي ﷺ، وعقبة هو الذي تفل على وجه النبي ﷺ بمشورة أمية بن خلف الذي قُتل أيضاً^(١).
وأتفق أهل السير والتفسير أنّه تعالى أمدّ نبيّه ﷺ والمسلمين بالملائكة يوم بدر، وأنهم قاتلوا الكفار^(٢).

وعن ابن عباس: «أنّه لم يقاتل الملائكة سوى يوم بدر، وفيما سواه كانوا عدداً ومدداً، لا يقاتلون ولا يضرّون»^(٣).

وقيل: إنّ الملائكة لم تقاتل في بدر ولا في غيره، وإنّما كانوا يكثرّون السواد، ويشتّبون المسلمين بإشعارهم بأنّ النصر لهم، ويلقون الرعب في قلوب المشركين، وإلاّ فلو قاتل واحد من الملائكة جميع البشر لم يثبتوا، ولا ستأصلهم بأجمعهم ببعض قوّته^(٤)، فإنّ جبرئيل رفع مدائن قوم لوط^(٥).

روى عليّ بن إبراهيم في تفسيره: «أنّ قريشاً لما أقبلت يوم بدر، رفع رسول الله ﷺ يده إلى السماء، فقال: يا ربّ إن تهلك هذه العصابة لم تُعبد، وإن شئت لا تُعبد لا تُعبد. ثمّ أصابه الغشي فسرى عنه وهو يسלט العرق عن وجهه، وهو يقول: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين، فنظروا فإذا بسحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر رسول الله ﷺ، وقائل يقول: أقدم حيزوم، أقدم حيزوم. وسمعوا قعقعة السلاح من الجوّ»^(٦).

(١) منتهى الآمال: ج ١، ص ١٢٤ - ١٢٩.

(٢) أنظر: رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (عليه السلام): ج ٤، ص ٢٣٤.

(٣) أنظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ٨، ص ٢٢٦.

(٤) أنظر: السيرة الحلبية: ج ٢، ص ٤٠٧.

(٥) أنظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ج ٢، ص ١٤٥.

(٦) تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٦٦.

قال الواقدي: «وحدّثني عبد الرحمن بن الحارث، عن أبيه، عن جدّه عبيد ابن أبي عبيد، عن أبي رهم الغفاري، عن ابن عمّ له قال: بينما أنا وابن عمّ لي على ماء بدر فلما رأينا قلّة من مع محمد وكثرة قريش قلنا: إذا التقت الفئتان عمدنا إلى عسكر محمد وأصحابه، فانطلقنا نحو المجنبة اليسرى من أصحاب محمد ونحن نقول: هؤلاء ربع قريش! فبينما نحن نمشي في الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا فرفعنا أبصارنا إليها فسمعنا أصوات الرجال والسلاح وسمعنا رجلاً يقول لفرسه: أقدم حيزوم! وسمعناهم يقولون: رويداً تمام أخراكم! فنزلوا على ميمنة رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) ثم جاءت أخرى مثل تلك وكانت مع النبي (صلى الله عليه وسلّم)، فنظرنا إلى النبي (صلى الله عليه وسلّم) وأصحابه فإذا هم الضعف على قريش فمات ابن عمّي، وأما أنا فتماسكت وأخبرت النبي (صلى الله عليه وسلّم). وأسلم وحسن إسلامه»^(١).

وروى عبيد بن عمير قال: «لما رجعت قريش من أحد، جعلوا يتحدّثون في أُنديتهم بما ظفروا، ويقولون: لم نَرِ الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنّا نراهم يوم بدر»^(٢).
وروي عن سهيل بن عمرو قال: «لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض معلّمين يقتلون ويأسرون»^(٣).

قال الواقدي: «وكان أبو أسيد الساعدي يحدّث بعد أن ذهب بصره، ويقول: لو كنت معكم الآن بيدركون وكان معي بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشكّ فيه ولا أمتري»^(٤).

(١) المغازي: ج ١، ص ٧٧.

(٢) أنظر: إمتاع الأسماع: ج ٣، ص ٣٢٩.

(٣) المغازي: ج ١، ص ٧٦.

(٤) المصدر السابق: ج ١، ص ٧٦.

وقال ابن الأنباري: «كانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الأدميين، فعلمهم الله بقوله: ﴿فَأَصْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي: على الرؤوس، ﴿وَأَصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ قال ابن عطية: هو كل مفصل»^(١).

ولذا يقول السهيلي: جاء في التفسير: «أنه ما وقعت ضربة إلا في رأس أو مفصل، وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود في الأعناق والبنان»^(٢).

ثم أمر رسول الله ﷺ بعمه العباس فشُدَّ وحُبِسَ مع مَنْ حُبِسَ من قريش، فلما جنَّ الليل ونام الناس بقي النبي ﷺ ساهراً وما نامت عيناه، وكان يتقلب من التعب والمشقة وقد نامت العيون؟ فقال ﷺ «كيف أنام واستقر وأنا اسمع أنين عمي العباس في الحبل ونشيجه». فقاموا وركضوا إلى العباس وأخبروه بكرب رسول الله ﷺ فيه وبشروه بخلاصه، وحلّوا منه ما عليه من الحبال، فلما سكت نام رسول الله ﷺ.

أقول: يعزّ على رسول الله لو نظرت عيناه إلى ولده السجاد وقد صفدوه في الحديد ووضعوا الجامعة في عنقه وقيدوا رجله من تحت بطن الناقة، ليت شعري فما حاله لو يسمع أنينه ويرى بكاءه^(٣).

وأعظم ما يشجي الغيور حرائرُ
فمن موثقٍ يشكو التشدّد من يدٍ
تُضامٌ وحاميهما الكفيلُ مُقيّدُ
وموثقٌ تبكي فتلطّمها اليدُ^(٤).

(١) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام: ج ٤، ص ٢٣٨.

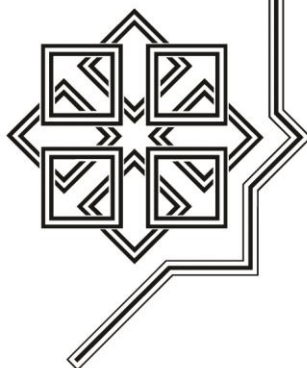
(٢) المصدر السابق.

(٣) أنظر: شجرة طوبى: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٤) البيتان من قصيدة رائعة للسيد صالح بن السيد مهدي بحر العلوم عليه السلام. أنظر: مَنْ لا يحضره الخطيب: ج ١، ص ٢٢٤.

الحاضرة الثالثة عشرة

الوقاية من النار



قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَثُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١).

يختصر الله تبارك وتعالى على بني البشر الطريق إلى سعادتهم والخلاص من الشقاء الدنيوي والأخروي، وذلك عن طريق أمرهم بما يسعدهم، والانتهاز عما يسبب لهم التعاسة والشقاء الدنيوي والعذاب الأخروي، ففي هذه الآية الشريفة يأمر الله تبارك وتعالى عباده أن يقوا أنفسهم وأهليهم من النار العجيبة، التي وصفها رسول الإنسانية والرحمة الرسول الأكرم ﷺ، كما روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذلك، حيث قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزُّقُومِ قَطَرَتْ عَلَى جِبَالِ الْأَرْضِ لَسَاخَتْ إِلَى أَسْفَلِ سَبْعِ أَرْضِينَ وَلَمَّا أَطَاقَتْهُ فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ شَرَّابُهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مِقْمَاعًا مِقْمَعَةً وَاحِدًا مِمَّا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَضَعَ عَلَى جِبَالِ الْأَرْضِ لَسَاخَتْ إِلَى أَسْفَلِ سَبْعِ أَرْضِينَ وَلَمَّا أَطَاقَتْهُ فَكَيْفَ بِمَنْ يَقَعُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ»^(٢).

وبعض الناس - للأسف الشديد - يعترض على هذا التصوير ويقول: إن الله جميل ورحيم... فلماذا تتحدثون عن الله من جانب العذاب والتخويف؟!
وجوابنا: هذا كلام غير مسؤول، فقد تحدث الله تعالى عن هذا العذاب وهو أمر واقع ونحن نتحدث عن النار وعن الجنة معاً، فلا معنى لهذا الكلام.

كيف نحقق الوقاية من النار؟

تتحقق الوقاية بحفظ النفس من الذنوب، وعدم الاستسلام للشهوات والأهواء،

(١) التحريم: آية ٦.

(٢) الدرر الوقاية: ص ٢٧٤، عنه بحار الأنوار: ج ٨، ص ٣٠٢، ح ٦١.

والشريعة من كمالها وروعيتها أنّها أمرت بالأمر وأعانت على تطبيقه من خلال توصيات وتنبيهات ونصائح، إذا انتبه لها الإنسان وراعاها حقق الاستجابة للأمر بالابتعاد عن النار، فقد وضعت الشريعة وسائل عديدة لتقييد ومحاصرة المخالفات والمعاصي من الإفشاء والانتشار.. وهي قضية في غاية الأهمية ونحاول أن نفق مع بعض هذه الأساليب:

الأسلوب الأول: التعرف على واقع المعصية ونتيجتها

إنّ المعصية جرمٌ عظيمٌ لا ينبغي للإنسان أن يقع فيه، ولذلك وجب أن تُحاط المعاصي بهالة من التهيّب والحذر في نفس الفرد، والمجال الاجتماعي العام على حدّ سواء. ولعلّ أحد الأساليب التي وضعتها الشريعة لإيجاد هذه الهالة هو محاصرة المعصية، فالمعصية جرم عظيم يجترئ من خلالها العبد على ربّه وخالفه، فعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «مَنْ اجْتَرَأَ عَلَى اللَّهِ فِي الْمُعْصِيَةِ وَارْتَكَبَ الْكِبَايِرَ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ نَصَبَ دِينًا غَيْرَ دِينِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ»^(١).

سواء كانت هذه المعصية صغيرة أم كبيرة؛ لأننا في الواقع غير مطلعين على حقيقة المعاصي، بل هناك إخفاء متعمّد من قبل الشارع، كما روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخْفَى أَرْبَعَةً فِي أَرْبَعَةٍ أَخْفَى رِضَاهُ فِي طَاعَتِهِ فَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ شَيْئًا مِنْ طَاعَتِهِ قُرْبًا وَافَقَ رِضَاهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ، وَأَخْفَى سَخَطُهُ فِي مَعْصِيَتِهِ فَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ قُرْبًا وَافَقَ سَخَطُهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ، وَأَخْفَى إِجَابَتُهُ فِي دَعْوَتِهِ فَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ شَيْئًا مِنْ دُعَائِهِ قُرْبًا وَافَقَ إِجَابَتُهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ، وَأَخْفَى وَلِيَّتُهُ فِي عِبَادِهِ فَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ عَبْدًا مِنْ

(١) المحاسن: ج ١، ص ٢٠٩، ح ٧٥، عنه بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٢٢٢، ح ٩.

عَبِيدُ اللَّهِ قَرِيبًا يَكُونُ وَلِيَّهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ»^(١).

وبالعوض من الناس يقول: إنِّي لم أذنب سوى الذنب الفلاني - مثلاً النظرة بشهوة - وإذا كانت عقوبتي على هذه المعصية فالأمر هين، والحال عندنا تحذير شديد في هذا الجانب، فعن أبي هاشم الجعفري قال: «سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ يَقُولُ: مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي لَا تُغْفَرُ قَوْلُ الرَّجُلِ لِنَتْنِي لَا أُؤَاخِذُ إِلَّا بِهَذَا. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ هَذَا هُوَ الدَّقِيقُ يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَفَقَّدَ مِنْ أَمْرِهِ وَمِنْ نَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ. فَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام: فَقَالَ: يَا أَبَا هَاشِمٍ، صَدَقْتَ فَالزَّمْ مَا حَدَّثْتُ بِهِ نَفْسَكَ؛ فَإِنَّ الْإِشْرَاقَ فِي النَّاسِ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ، وَمِنْ دَيْبِ الذَّرِّ عَلَى الْمُسْحِ الْأَسْوَدِ»^(٢).

والحال أنَّ الذنوب التي يعدّها الإنسان من الصغائر هي الطرق الموصلة للذنوب الكبائر، كما روي عن إمامنا الرضا عليه السلام أنه قال: «الصَّغَائِرُ مِنَ الذُّنُوبِ طُرُقٌ إِلَى الْكِبَائِرِ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ فِي الْقَلِيلِ لَمْ يَخَفْهُ فِي الْكَثِيرِ، وَلَوْ لَمْ يَخَوْفِ اللَّهُ النَّاسَ بِجَنَّةٍ وَنَارٍ لَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَلَا يَعْصُوهُ لِتَفْضُلِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَمَا بَدَأَهُمْ بِهِ مِنْ إِنْعَامِهِ الَّذِي مَا اسْتَحَقُّوهُ»^(٣).

الأسلوب الثاني: تهذيب النفس

والأسلوب الثاني المهم في الوقاية من الذنوب والمعاصي هو عن طريق تهذيب النفس

-
- (١) الخصال: ص ٢٠٩، ح ٣١. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٩٦، ح ٤. معاني الأخبار: ص ١١٢، ح ١.
بحار الأنوار: ج ٦٦، ص ٢٧٤، ح ٧، عن الخصال، وج ٩٠، ص ٣٦٣، ح ٤، عن معاني الأخبار.
- (٢) الغيبة (الطوسي): ص ٢٠٧، ح ١٧٦. الثاقب في المناقب: ص ٥٦٧، ح ٩. الخرائج والجرائع: ج ٢، ص ٦٨٨، ح ١١. مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٥٣٨. مدينة المعاجز: ج ٧، ص ٥٧١-٥٧٢، ح ٣٩.
بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣٥٩، ح ٧٨، عن الغيبة.
- (٣) عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٩٣، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ١٧٤، ح ١٠.

بالبتعاد عن مسببات الذنوب والمعاصي من قبيل:

أ- المكان الموبوء، أو رفيق السوء الفاسد، أو التثقيف المنحل، مثلاً كَيْفِيَّةُ التعامل مع المواقع وكَيْفِيَّةُ التعامل مع الإنترنت بشكل عام، والصديق الذي يعرض الإنسان يديه يوم القيامة حسرةً على مصاحبته، كما بين الله تبارك وتعالى ذلك، حيث قال: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا * يُنَوِّلَتْنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾^(١).

وروي أيضاً في هذا المجال عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «مُجَالِسَةُ الْأَخْيَارِ تَلْحَقُ الْأَشْرَارَ بِالْأَخْيَارِ، وَمُجَالِسَةُ الْأَبْرَارِ لِلْفُجَّارِ تَلْحَقُ الْأَبْرَارَ بِالْفُجَّارِ»^(٢).

بل هناك روايات أشارت إلى أن الإنسان يبقى وحيداً خيراً له من الصديق السوء، فعن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه قال لأبي ذرٍّ (رضي الله عنه): «الوحدة خير من جليس السوء»^(٣).

ب - التقرب من الخير عن طريق اختيار المجلس والرفيق الصالح والثقافة الصالحة والقدوة الصالحة، فعن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «عِمَارَةُ الْقُلُوبِ فِي مُعَاشَرَةِ ذَوِي الْعُقُولِ»^(٤).

وجاء في حديث آخر عنه (عليه السلام) أنه قال: «مُجَالِسَةُ ذَوِي الْفَضَائِلِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ»^(٥).
نقل أحد خطباء المنبر الحسيني ما يلي: قال: كنت وجماعة من خطباء المنبر الحسيني في سيارة قد استأجرناها لتنتقلنا من مكان إلى آخر، وفي الطريق تلاطف أحدنا مع سائق

(١) الفرقان: آية ٢٧-٢٩.

(٢) صفات الشيعة: ص ٦، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٩٧، ح ٣١.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٥٣٥. مكارم الأخلاق: ص ٤٦٦. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٨٩.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٤٠.

(٥) المصدر السابق: ص ٤٨٥.

السيارة بملاطفات انجرّ الكلام بينهما إلى ما لا يليق، قال ذلك الخطيب: فتداركت الموقف وأخذت اعتذر من السائق، لأصرف ذهنه عما جرى، واغسل ذاكرته عن الكلام غير اللائق، الذي كلّمه به صديقنا الخطيب، والذي ربما جرح خاطره، وكدّر عواطفه، فلما قدّمت له اعتذاري وانتهيت من كلامي، التفت إليّ السائق وقال بكلّ احترام وإجلال وتواضع وخشوع: يا سماحة الشيخ إنه لم يدرك إليّ منكم ما يستدعي الاعتذار والتنصّل، كيف وإنّ لكم حقّ الحياة عليّ؟ إذ بسببكم هداني الله تعالى إلى الحق وإلى صراط مستقيم، وعليّ أن أوذّي حقّكم، وأقدم جزيل الشكر الذي يجب عليّ بالنسبة إليكم.

قال الخطيب وهو يواصل قصته: فسألت السائق حيثنّذ عن قضيتّه، وكيف هداه الله

تعالى بسببنا؟

فأجاب قائلاً: لقد كنت في أول شبّابي، وعلى أثر المحيط الفاسد الذي كنت أعيش فيه، والأصدقاء السوء الذين كانوا يصحبونني، منحرفاً أشدّ الانحراف، وبعيداً غاية البعد عن التقوى والفضيلة.

وذات مرّة وقد أنبّنتي نفسي اللوامة، ووخزني ضميري ووجداني على ما أمارسه من انحراف، واقترفه من ذنوب، إذ وقع طريقي على مجلس من مجالس الإمام الحسين عليه السلام، فحملت نفسي وأنا ألومها على انحرافها، وأعتب عليها لانزلاقها واعوجاجها، على أن اشترك في هذا المجلس الحسيني، فدخلت فإذا أنا بالخطيب على المنبر وهو يعظ الناس ويرشدهم، ويفسّر لهم بعض الآيات الكريمة، ويقرأ عليهم نزراً من الأحاديث الشريفة، فأخذتني مواعظه، وأثّرت في قلبي نصائحه، وصقلت نفسي الآيات والروايات التي كان يرثّلها على مسامعنا، ثمّ عرّج من نصائحه ومواعظه إلى قراءة المصيبة على قمر بني هاشم أبي الفضل العباس عليه السلام، وحكى لنا عن كيفيّة جهاده في سبيل الله، ومواساته لأخيه الإمام الحسين عليه السلام إلى أن وصل إلى حكاية ما قاله أبو الفضل العباس عليه السلام - يوم عاشوراء عندما

قطع الأعداء يمينه - من رجزه في وجه الأعداء وهتافه بهم:

والله إن قطعتم —وايمينى— إني أحامي أبداً عن ديني^(١).

فبكيت بكاءً شديداً، وقلت في نفسي متمتماً: كيف تسمح لنفسك وأنت تدّعي حبّ أبي الفضل العباس (عليه السلام) أن تهتك حرمة الدين بمواصله انحرافك، واستمرار جرائمك وجنایاتك، وأبو الفضل العباس (عليه السلام) قد ضحّى بنفسه، وقدم يديه لحماية الدين وحفظ حرمة الإسلام؟ فهزّني ذلك من الأعماق، وأيقظني من رقتي وغفلتي، وجعلني أندم على ما سلف مني، وأعزم على إصلاح نفسي.

وبالفعل فقد وفقت للتوبة، واهتديت إلى طريق الأوبة، وأخذت جادة الصواب، وسرت في طريق التقوى والفضيلة، كلّ ذلك ببركة ذلك الخطيب الحسيني، ثم تحسّنت حالتي، وتخلّصت من شقوتي وكآبتي، والحمد لله ربّ العالمين، لذا بقيت وأنا أرى نفسي مديناً لرجال الدين، وأرى لخطباء المنبر الحسيني حقّ الحياة عليّ، كما أرى على نفسي أن أجلّهم واحترمهم، وأن أكون لهم من الشاكرين دوماً وأبداً.

ج - المراقبة لأنفسنا والانتباه لها، كما نتبّه ونهتم بشيائنا ونقودنا وسمعتنا.

الأسلوب الثالث: عدم الجهر بالمعاصي

العباد ليسو معصومين من ارتكاب الأخطاء، لكنّهم مطالبون في المقابل بالتزام الستر والحد من إفشاء مخالقاتهم ومعاصيهم على الملأ، فإذا حصلت المعصية فينبغي أن تحاصر ضمن نطاقها الأضيق والمحدود جداً، وذلك بالحرص على أن لا يتشر خبرها؛ لأنّ من تداعيات الإفشاء بالمخالفات والمعاصي:

أ - سقوط هيبة القانون الإلهي: ولذلك نجد النبيّ أيوب (عليه السلام) يوفي بقسمه ﴿وَخُذْ

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٥٦.

بِيَدِكَ ضَعْفًا فَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١﴾.

غضب وحلف عليها أن يضربها مائة، فأخبرته أنه كان سببه كيت وكيت، فاغتمَّ أيوب من ذلك فأوحى إليه: ﴿وَحُذِّبِيكَ ضَعْفًا فَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾، فأخذ مائة شمرّاح فضربها ضربة واحدة، فخرج من يمينه^(٢).

الشمرّاح والشمرّوخ: العثكال، وهو ما يكون فيه الرطب، وكل غصن من أغصانه شمرّاح^(٣).

ب - سقوط هيبة المعصية في النفس: ذلك إن إفشاء المعصية يقود إلى تطبيع النفس بها، فلا يتردد المرء بعد ذلك عن اقترافها ثانية، ولعلّ الأسوأ من ذلك هو الانقياد نحو التبجّح بفعل المعاصي، حتى أنك تجد بعض الناس يفاخرون بمعاصيهم، كما لو أنّهم حقّقوا عملاً بطولياً يستحقّ عليه الثناء! وهذا جرم أكبر من المعصية ذاتها.

إنّ مُشاهدة القبائح وتكرارها، يُقلّل من قبّحها في نظر المشاهد، وبالتدريج تصبح أمراً عادياً، ونحن نعلم أنّ إحدى العوامل المؤثرة في ترك الذنوب والقبائح، هو الإحساس بقبحها في الواقع النفسي للإنسان، فالله تعالى يريد أن تبقى المعصية محاطة بهالة من الخذر والتهيب في الوسط الاجتماعي العام، فلا تكون مبتذلة وكأَنَّها أمر طبيعي يمكن أن يطال أي أحد.

من هنا نستطيع أن نفهم كيف جاءت النصوص والتعاليم الدينية مشدّدة على ضرورة أن يتكتم المرء على معاصيه التي يقع فيها، وأن لا يجهر بها، فالإجهار بالمعصية ذنب آخر يُضاف إلى جانب المعصية.

(١) ص: آية ٤٤.

(٢) أنظر: تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٤١. بحار الأنوار: ج ١٢، ص ٣٤٤.

(٣) أنظر: لسان العرب: ج ٣، ص ٣١.

فقد روي عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «مجاهرة الله بالمعاصي تعجّل النقم»^(١).

وعنه عليه السلام أنّه قال: «إياك والمجاهرة بالفجور فإنّه من أشدّ المآثم»^(٢).

وعنه عليه السلام: «التبجّح بالمعاصي أقبح من ركوبها»^(٣).

وعنه عليه السلام: «لا وزر أعظم من التبجّح بالفجور»^(٤).

وقد روي في هذا السياق عن الإمام الرضا عليه السلام عن جدّه المصطفى صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «المدّيع بالسيئة مخذول، والمستتر بها مغفور له»^(٥).

وأيضاً من الأخطاء: يجد بعض الناس أنفسهم تحت ضغط هائل من تأنيب الضمير بعد ارتكاب المعصية، فيندفعون لإفشاء أسرارهم بغية التنفيس، إلّا أنّ ذلك غير صحيح، فأوامر الشارع في هذا الشأن صريحة، نحو القطع بعدم الحديث عن المعاصي والأخطاء الشخصية أمام أي أحد كان، وتحت أي ظرفٍ من الظروف الاختيارية، بل لا مبرر عقلي ولا عقلاني للجهر والإفشاء بها وقد سترها الله تبارك وتعالى.

فقد روي عن النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «وإنّ من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً ثمّ يصبح قد ستره ربّه، فيقول: يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربّه فيبيّت يستره ربّه ويصبح يكشف ستر الله عنه»^(٦).

(١) عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٨٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٥.

(٣) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: ج ٤، ص ٤٧.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ص ٥٤٠.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٤٢٨، ح ٢.

(٦) صحيح مسلم: ج ٨، ص ٢٢٥.

وأبعد من ذلك، ذهبت الشريعة إلى النأي عن إفشاء المعاصي حتى لغرض التطهر عبر إقامة الحدود. فقد يتساءل البعض عن حقوق الله التي انتهكها خصوصاً تلك التي وردت فيها الحدود والعزيرات، فهل ينبغي على مثل هؤلاء أن يتقدموا للحاكم الشرعي ليقيم عليهم الحد؟ يأتي الجواب القطعي هنا؛ لا يطلب الشارع من الإنسان فعل ذلك، بل الوارد هو النهي عن الإقدام على مثل هذا السلوك، فقد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه أتاه رجل بالكوفة فقال له: «يا أمير المؤمنين، إني زنيْتُ فَطَهَّرْني! قَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ مُزَيْنَةَ. قَالَ: أَتَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئاً؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَاقْرَأْ. فَقَرَأَ فَأَجَادَ. فَقَالَ: أَبِكَ جَنَّةٌ. قَالَ: لَا. قَالَ: فَادْهَبْ حَتَّى نَسْأَلَ عَنْكَ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ بَعْدُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إني زنيْتُ فَطَهَّرْني! فَقَالَ: أَلَيْكَ زَوْجَةٌ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَمُقِيمَةٌ مَعَكَ فِي الْبَلَدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَذَهَبَ، وَقَالَ: حَتَّى نَسْأَلَ عَنْكَ. فَبَعَثَ إِلَى قَوْمِهِ فَسَأَلَ عَنْ خَبَرِهِ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَحِيحُ الْعَقْلِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ حَتَّى نَسْأَلَ عَنْكَ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ الرَّابِعَةَ، فَلَمَّا أَقْرَأَ، قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لِقَنْبَرٍ: احْفَظْ بِهِ. ثُمَّ غَضِبَ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَفْبَحَ بِالرَّجُلِ مِنْكُمْ أَنْ يَأْتِيَ بَعْضَ هَذِهِ الْقَوَاحِشِ فَيَفْضَحَ نَفْسَهُ عَلَى رُءُوسِ الْمَلَأِ أَفْلاً تَابَ فِي بَيْتِهِ، فَوَ اللَّهُ لَتَوْبَتُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ إِقَامَتِي عَلَيْهِ الْحُدَّ...»^(١).

هكذا يريد الله من الإنسان أن يستر على نفسه، فلا تكون المعصية مبتذلة على المستوى الشخصي أو الاجتماعي، ولذلك لم يرد في الشريعة ما يجري في الكنيسة المسيحية مثلاً، بأن يأتي المذنب للكاهن ويعترف بين يديه بذنوبه حتى يطلب له المغفرة، فليس مطلوباً من المسلم أن يأتي للمرجع أو عالم الدين ويقر له بذنوبه. إن استفتاء العالم وطلب النصيحة

(١) الكافي: ج ٧، ص ١٨٨، ح ٣، عنه بحار الأنوار: ج ٤، ص ٢٩٢، ح ٦٦.

والمشورة أمرٌ مطلوب، لكن حتى لو اضطر السائل إلى ذلك فليكن على طريقة القول؛ ماذا لو أنّ شخصاً ارتكب كذا، لا أن يقول أنا قمت بكذا واقترفت كذا.

كما لا ينبغي أن يفشي المرء مخالقاته حتى أمام الخلف من أصدقائه وزوجته وخطيبته والمقربين له على وجه الخصوص؛ لأنّ ذلك سيخفف من وقع المعصية في نفوسهم، علاوة على ما سترك في نفوسهم من أشياء غير مرغوبة تجاهه، الإنسان العاقل عليه أن يستتر بالחסنات خوفاً من العُجب والرياء، فماذا نقول عمّن يتجاهر بالسيئات؟!

والإنسان إذا حاصر المعصية بهذه الأساليب الثلاثة يصل إلى المستوى الرفيع حتى ولو كان وضع الحسب والنسب، فقد روي عن سفيان الثوري، قال: «لقيت الصادق بن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله، أوصني. فقال لي: يا سفيان، مَنْ أراد عزّاً بلا عشيرة، وغنىً بلا مال، وهيبَةً بلا سلطان، فليُنقل من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته»^(١).

وبين يديك المثال الصادق من هذا العبد جَوْن بن حَوِيٍّ، كان عبداً مملوكاً اشتراه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم وهبه لأبي ذرّ الغفاريّ، وبعد وفاة هذا الصحابيّ الجليل رجع جَوْن إلى الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

قال السماوي: «كان جَوْن منضمّاً إلى أهل البيت بعد أبي ذرّ، فكان مع الحسن عليه السلام، ثمّ مع الحسين عليه السلام، وصحبه في سفره من المدينة إلى مكّة ثمّ إلى العراق»^(٢).

التحق جَوْن مولى أبي ذرّ بالركب الحسينيّ، وسمع من الإمام الحسين عليه السلام إذّنين بالانصراف:

(١) الخصال: ص ١٦٩، ح ٢٢٢.

(٢) إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ١٧٦.

الأول: عامٌّ للأصحاب: «انطلقوا جميعاً في حلٍّ، ليس عليكم منِّي ذِمام، هذا الليل قد غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا»، فأبوا جميعاً.. مُقْبِلِينَ عَلَى الشَّهَادَةِ.

الثاني: خاصٌّ لبعض الأصحاب كان منهم جُون، حيث قال له الإمام الحسين عليه السلام: «أنت في إذنٍ مِنِّي، فَإِنَّمَا تَبِعْتَنَا طَلَبًا لِلْعَافِيَةِ، فَلَا تَبْتَغِ بِطَرِيقِنَا». فماذا أجاب جُون إمامه؟ قال له: «يا ابن رسول الله، أنا في الرخاء أَلْحَسُ قِصَاعَكُمْ وفي الشدَّة أَعْذِلُكُمْ؟! والله، إِنَّ رِيحِي لَتَنِّين، وَإِنَّ حَسَبِي لَلثِّيم، وَلَوْنِي لِأَسْوَدَ، فَتَنْفَسُ عَلَيَّ بِالْجَنَّةِ فَتَطِيبَ رِيحِي، وَيَشْرَفُ حَسَبِي، وَيَبْيِضُ وَجْهِي، لَا وَاللَّهِ لَا أَفَارُقُكُمْ حَتَّى يَخْتَلِطَ هَذَا الدَّمُ الْأَسْوَدُ مَعَ دِمَائِكُمْ».

برز جُون يَسْتَأْذِنُ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ عليه السلام، فَأَذِنَ لَهُ، فَحَمَلَ جُون وهو يَرْتَجِزُ ويقول:

كَيْفَ تَرَى الْفُجَارُ ضَرْبَ الْأَسْوَدِ بِالْمَشْرِفِي الْقَاطِعِ الْمُهَنْدِ
أَحْمِي الْخِيَارَ مِنْ بَنِي مُحَمَّدٍ أَذُبُّ عَنْهُمْ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ

فَقَتَلَ جُونُ خَمْسَةً وَعَشْرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَعْدَاءِ، حَتَّى تَعَطَّفُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ عليه السلام، فَجَاءَهُ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عليه السلام وَوَقَفَ عَلَيْهِ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهَهُ، وَطَيِّبْ رِيحَهُ، وَاحْشُرْهُ مَعَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَعَرِّفْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله». وقد نقلوا أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ يَمُرُّ بِالْمَعْرَكَةِ، كَانَ يَشْمُ مِنْ جُونِ رَائِحَةً أَزْكَى مِنَ الْمِسْكِ، بَلْ رَوَى عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عليه السلام، عَنْ أَبِيهِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَحْضُرُونَ الْمَعْرَكَةَ وَيَدْفَنُونَ الْقَتْلَى، فَوَجَدُوا جُونًا بَعْدَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ»^(١).

(١) أنظر: اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٦٥. إِبْصَارُ الْعَيْنِ فِي أَنْصَارِ الْحُسَيْنِ عليه السلام: ص ١٧٧. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٥٤٥.

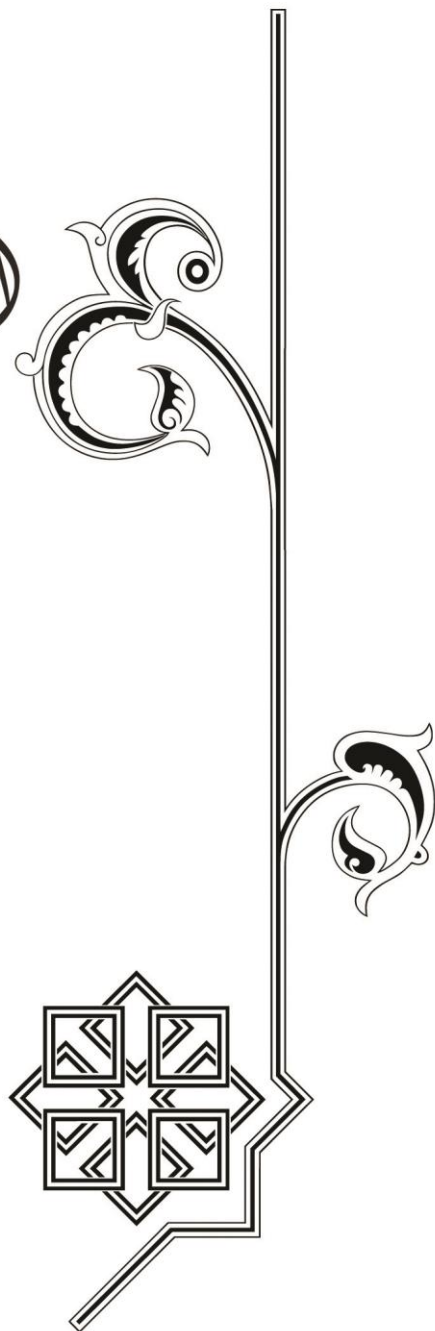
وَأَرْوَاهُمْ كُلَّهَا ابْذُلُوهَا	بِهَالِيلٍ وَالْعَلِيَّا اعْتَلُوهَا
يَا حَيْفَ زَيْنَبَ مَا احْضَرُوهَا	لِرِيحَانَةِ الْهَادِي فَدُوهَا
وَبِالسُّوْطِ جَمَّ مَرَّةً اضْرِبُوهَا	مَنْ يَوْمَ لِلطَّاعِي خَذُوهَا

وَكَأَنِّي بِهَا تَحْيِيْبُ الْقَوْمِ:

يَهْلُ تَنْشُدُ عَلَيَّ وَحَكَ اللَّهُ تَرَهُ مَوْ خَارِجِيَّةَ
إِنْ جَانِ سَمِعْتَ زَيْنَبَ هَاشِمِيَّةَ
هَذِيحُ أَنَّهُ وَمَا مِنْ زَيْنَبَ اثْنَيْنِ

الحافظة التاسعة عشرة

سكرات الموت



قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(١).

يعيش الإنسان في هذه الحياة الدنيا مدّة ثمّ يرحل عنها، شاء أم أبى، فكلّ إنسان يموت، بل كلّنا محكومٌ بالإعدام الربّاني؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٢)، ويا ليت أنّنا نعلم ساعة التنفيذ أو يوم التنفيذ، بل ولو سنة التنفيذ، فكلّه خفاءٌ وغيبٌ لا يعلمه إلّا الله تعالى.

وهذا الرحيل أوّل مقدماته السكرات التي تعرض على الإنسان، وهي المعبر عنها بـ (سكرة الموت)، التي أشارت لها الآية الكريمة، فلنتعرّف عليها.

ما هي سكرة الموت؟

المراد بسكرة الموت ما يعرض للإنسان حال النزع، إذ يشتغل بنفسه وينقطع عن الناس، كالسكران الذي لا يدري ما يقول، ولا ما يُقال له، وهي حالة من حالات الذهول، وكيف لا تكون كذلك؟! مع أنّ الموت مرحلة انتقالية مهمة ينبغي أن يقطع الإنسان فيها جميعَ علائقه بالدنيا التي تعلّق بها خلال هذه السنين الطويلة، وأن يخطو في عالم جديد عليه مليءٌ بالأسرار، خاصّة أنّ الإنسان في لحظات الموت يكون عنده إدراك جديد وبصر حديد، فهو يلاحظ عدم استقرار هذا العالم بعينه، ويرى الحوادث التي بعد الموت، وهنا تتملكه حالة الرعب والاستيحاش من قرنه إلى قدمه، فتراه كالسكران وليس الأمر كذلك.

وهذه العقبة صعبة جدًّا، وأنّ شدائدّها وصعوباتها تحيط بالمتحضر من جميع

(١) ق: آية ١٩.

(٢) الزمر: آية ٣٠.

الجهات، فمن جهة تواجهه شدة المرض، وشدة الوجع، واعتقال اللسان، وذهاب القوة من الجسم، فيصبح هذا الإنسان المغرور اللجوج الوثّاب يتحوّل إلى عين الضعف والهوان والمسكنة في تلك اللحظات حتى لا يقوى أن يشير بإصبعه، ومن جهة أخرى يواجه بكاء الأهل والعيال، ووداعهم له، ويواجه الغمّ ليتمّ وغربة أطفاله^(١).

وهذه من الأمور المؤلمة، فهي أمور أبكت إمامنا الحسن المجتبي عليه السلام، لما دنت منه الوفاة، فقليل له في ذلك؟ فقال: «أبكي لهول المطلع وفراق الأحبة»^(٢).

ومن جهة ثالثة يواجه غمّ مفارقتة لماله ومنزله وأملاكه ومدّخراته وأشياءه النفيسة التي صرف عمره العزيز من أجل تحصيل المزيد منها، بل إنّ أكثر ما عنده عائد للآخرين، وقد تملكه منهم بالظلم والغصب.. وكم تعلّقت من الحقوق الشرعية بأمواله ولم يؤدّها.. وهو الآن في تلك الحالة يتبته إلى ما أتلفته وخربته أعماله بعدما انقضى الأمر وانسدّ طريق إصلاحه^(٣). فكان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْقَوْتِ»^(٤).

ومن جهة أخرى فهو يواجه هول قدومه على نشأة أخرى هي غير هذه النشأة. ثم إنّ عينيه تريان أشياء لم ترها قبل ذلك: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٥)، فيرى رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حاضرين عنده ليحكموا فيه، وأنّه يترقّب أيّ حكم يحكمون به، وأي شيء سوف يوصون به؟ ومن جهة أخرى قد اجتمع إبليس وأعداؤه ليقعوه في الشكّ، وهم يحاولون جاهدين أن يسلبوا

(١) أنظر: منازل الآخرة والمطالب الفاخرة: ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٤٦١، ح ١.

(٣) أنظر: منازل الآخرة والمطالب الفاخرة: ص ١٠٨.

(٤) نهج البلاغة: ج ١، ص ٢١٢.

(٥) ق: آية ٢٢.

إيمانه ليخرج من الدنيا بلا إيمان، ومن جهة أخرى يعاني من هول حضور ملك الموت، وبأي صورة وهيئة سوف يجيئه به، وبأي نحو سوف يقبض روحه، إلى غير ذلك^(١)، ويجمعها لنا إمام المتقين عليه السلام بقوله: «وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ أَوْ تَعْتَدَلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا»^(٢).

لكن الحمد لله جعل الله لنا طرقاً وأساليب تخفف عنا هذه السكرات، فمن أخذ بها هانت عليه هذه السكرات أو انعدمت نهائياً:

الأول: الاستقامة والثبات على خط الولاية لمحمد وآل محمد عليهم السلام

الأمر الأول لتسهيل هذه السكرات هو الاستقامة والثبات على خط الولاية لمحمد وآل محمد عليهم السلام، وقد صرح القرآن الكريم بنجاة المستقيمين، حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٣).

وقد روى محمد بن الفضل قال: «سَأَلْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ الرِّضَا عليه السلام عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ، فَقَالَ: هِيَ وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ، يَعْنِي عِنْدَ الْمَوْتِ»^(٤). وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «أَلَا وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا هَوَّنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَجَعَلَ قَبْرَهُ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»^(٥).

(١) أنظر: منازل الآخرة والمطالب الفاخرة: ص ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٢١٠.

(٣) فصلت: آية ٣٠.

(٤) تفسير البرهان: ج ٤، ص ٧٨٩، ح ١٥. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٥٤٧، ح ٤١.

(٥) فضائل الشيعة: ص ٣. مائة منقبة لمحمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمي (ابن شاذان): ص ٦٥.

بشارة المصطفى لشيعته المرتضى: ص ٧١.

وحكي عن أحد العلماء العظماء من فقهاءنا الماضين، يقول أَنَّهُ رأى المقدَّس الأَرْدَبِيلِي - أحد أعظم علماء الشيعة على مرِّ العصور ويُلقَّب بالمقدَّس عند الشيعة لشِدَّة طهارته وكثرة عبادته - رآه في المنام في أحسن الثياب في حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (شَرَّفنا الله وإيَّاكم بزيارته في الدنيا وبشفاعته في الآخرة) فاستوقفهُ وسأله: أخبرنا ما الذي أوصلك إلى هذا المقام؟ - فَإِنَّ حُلَّتَهُ تَدُلُّ على مَحَلَّتِهِ - ما هو العمل الذي لازمته في حياتك حتى وصلت إلى هذه المرتبة؟ فقال المقدَّس الأَرْدَبِيلِي: أنا أخبرك ما الذي أوصلني إلى هذا المقام! لَمَّا قُبِضَتْ روحي وكُشِفَ الغطاء عن بصري، رأينا أن سوق الأعمال كاسد، ولم ينفعني إِلَّا حُبُّ صاحب هذه القَبَّة وولايته. فَمَنْ رُزِقَ حُبَّ أمير المؤمنين عليه السلام وولايته فهنيئاً له، ولكن ينبغي أن يعرف قدر ما رُزِقَ به؛ لأنَّ النعمة إذا لم يُعرف قدرها تذهب، ومن معرفة قدر هذه النعمة أنَّ يجتهد المرء في الحفاظ عليها.

الثاني: صلة الرحم وبرِّ الوالدين

فعن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّهُ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُخَفِّفَ اللهُ عَنْهُ سَكَراتِ الموت فليكن لقرباته وصولاً، وبوالديه باراً، فإذا كان كذلك هوَّونَ اللهُ عليه سَكَراتِ الموت، ولم يصبه في حياته فقرُّ أبداً»^(١).

وعنه عليه السلام أَنَّهُ قال: «إِنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله حضر شاباً عند وفاته، فقال له: قل: لا إله إِلَّا اللهُ.. فاعتقل لسانه مراراً، فقال لامرأةٍ عند رأسه: هل لهذا أمٌّ؟ قالت: نعم، أنا أمُّه، قال: أفساخطةٌ أنت عليه؟ قالت: نعم، ما كَلَّمْتَهُ منذ ست حجج. قال لها: ارضي عنه. قالت: رضي اللهُ عنه برضاكَ يا رسولَ اللهِ. فقال له رسولُ اللهِ: قل: لا إله إِلَّا اللهُ. فقالها، فقال

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٧٣، ح ١٤. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٣٢، ح ٢٤.

النبي ﷺ: ما ترى؟ فقال: أرى رجلاً أسود، قبيح المنظر، وسخ الثياب، متنن الريح، قد وليني الساعة فأخذ بكظمي (أي مخرج النفس). فقال له النبي ﷺ: قل: يا مَنْ يقبل السير، ويعفو عن الكثير، اقبل مني السير واعفُ عني الكثير، إِنَّكَ أَنْتَ الغفور الرحيم. فقالها الشاب، فقال له النبي ﷺ: انظر ما ترى؟ قال: أرى رجلاً أبيض اللون، حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب قد وليني، وأرى الأسود قد تولّى عني، قال: أعد فأعاد، قال: ما ترى؟ قال: لست أرى الأسود، وأرى الأبيض قد وليني. ثم طفا (أي مات) على تلك الحال»^(١).

تأمل في هذا الحديث جيداً، وأنظر كم هو أثر العقوق فمع أن هذا الشاب كان من الصحابة وأن نبي الرحمة ﷺ قد عاده زائراً وجلس عند وسادته، ولقنه بنفسه الشريفة كلمة الشهادة، ومع كل ذلك فلم يتمكن على النطق بتلك الكلمة إلا بعدما رضيت عنه أمه، وحينئذ انطلق لسانه، فقال كلمة الشهادة.

قال نبي الله موسى عليه السلام: «إِلَهِي فَمَا جَزَاءُ مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ؟ قَالَ: يَا مُوسَى أُنْسِي لَهُ أَجَلَهُ، وَأَهْوُنُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَيُنَادِيهِ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ هَلُمَّ إِلَيْنَا فَادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِهَا شِئْتَ»^(٢).

الثالث: مَنْ كَسَا أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ كِسْوَةً

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ كَسَا أَخَاهُ كِسْوَةً شِتَاءٍ أَوْ صَيْفٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ

(١) أمالي الشيخ المفيد: ص ٢٨٧، ح ٦. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦٥، ح ٤. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: ص ٢٨٤، ح ٨٥٨.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٢٧٦، ح ٨. فضائل الأشهر الثلاث: ص ٨٨٧، ح ٦٨. الجواهر السننية: ص ٥٥.

يَكْسُوهُ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ، وَأَنْ يُهَوَّنَ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَأَنْ يُوسَّعَ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ، وَأَنْ يُلْقَى الْمَلَائِكَةُ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ بِالْبُشْرَى، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَنُنَاقِلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(١) ^(٢).

الرابع: إطعام المؤمن الحلو

فقد روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ حَلَاوَةً أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ مِرَارَةَ الْمَوْتِ»^(٣).

الخامس: قراءة سورة الزلزلة ويس والصفات

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لَا تَمْلُؤُوا مِنْ قِرَاءَةِ (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلَزَلُهَا) فَإِنَّهُ مَنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ بِهَا فِي نَوَافِلِهِ لَمْ يَصِبْهُ اللَّهُ ﷻ بِزَلْزَلَةٍ أَبَدًا، وَلَمْ يَمِتْ بِهَا، وَلَا بِصَاعِقَةٍ، وَلَا بِآفَةٍ مِنَ آفَاتِ الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا مَاتَ نَزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ فَيَقْعُدُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: يَا مَلِكُ الْمَوْتِ أَرْفُقْ بَوَلِيِّ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا يَذْكُرُنِي»^(٤).

وفي قراءة الصفات تعجيلاً لراحته، وقراءة سورة يس من المستحبات المشهورة والمعروفة، وفي الرواية أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ الْكَاسِمَ عليه السلام قَالَ لِابْنِهِ الْقَاسِمِ: «قُمْ يَا بَنِي، فَاقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِ أَخِيكَ ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾ حَتَّى تَسْتَمَّهَا. فَقْرَأَ فَلَمَّا بَلَغَ ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾، قَضَى الْفَتَى فَلَمَّا سَجَّيَ وَخَرَجُوا أَقْبَلَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ بْنُ جَعْفَرٍ، فَقَالَ لَهُ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمِيتَ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ يَقْرَأُ عِنْدَهُ ﴿يَسْ﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ، فَصَرْتُ تَأْمُرُنَا بِالصَّفَّاتِ،

(١) الأنبياء: آية ١٠٣.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٠٤، عنه بحار الأنوار: ج ٧، ص ١٩٨، ح ٧٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٣، ص ٢٨٨، ح ١٣. مستدرک وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٣٥٥، ح ٢.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٦٢٦، ح ٢٤. البرهان في تفسير القرآن: ج ٥، ص ٧٢٥، ح ١.

فقال: يا بني، لم تُقرأ عند مكروبٍ من موتٍ قط إلا عَجَّلَ اللهُ راحته»^(١).

السادس: صيام شهر رمضان

قال النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَصُومُ شَهْرَ رَمَضَانَ احْتِسَابًا إِلَّا أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ سَبْعَ خِصَالٍ أَوَّلُهَا يَذُوبُ الْحَرَامُ فِي جَسَدِهِ، وَالثَّانِيَةُ يَقْرُبُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالثَّالِثَةُ يَكُونُ قَدْ كَفَّرَ خَطِيئَةَ أَبِيهِ آدَمَ، وَالرَّابِعَةُ يَهْوَنُ اللَّهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَالْخَامِسَةُ أَمَانٌ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّادِسَةُ يُعْطِيهِ اللَّهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وَالسَّابِعَةُ يُطْعِمُهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَرَاتِ الْجَنَّةِ»^(٢).

السابع: تعليم الجاهلين حجتهم وعقائدهم

فَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَعَانَ ضَعِيفًا فِي بَدَنِهِ عَلَى أَمْرِهِ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَنَصَبَ لَهُ فِي الْقِيَامَةِ مَلَائِكَةً يُعِينُونَهُ عَلَى قَطْعِ تِلْكَ الْأَهْوَالِ، وَعُبُورِ تِلْكَ الْخَنَادِقِ مِنَ النَّارِ، حَتَّى لَا يُصِيبَهُ مِنْ دُخَانِهَا، وَعَلَى سُمُومِهَا، وَعَلَى عُبُورِ الصَّرَاطِ إِلَى الْجَنَّةِ سَالِمًا آمِنًا، وَمَنْ أَعَانَ ضَعِيفًا فِي فَهْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ فَلَقَّنَهُ حُجَّتَهُ عَلَى خَصْمِ الدِّينِ طُلَّابِ الْبَاطِلِ أَعَانَهُ اللَّهُ عِنْدَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَالْإِقْرَارِ بِمَا يَنْصَلُ بِهِمَا، وَالْإِعْتِقَادِ لَهُ حَتَّى يَكُونَ خُرُوجُهُ مِنَ الدُّنْيَا وَرُجُوعُهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ عَلَى أَفْضَلِ أَعْمَالِهِ وَأَجَلٍ أَحْوَالِهِ، فَيَحْيَا عِنْدَ ذَلِكَ بَرُوحٍ وَرَيْحَانٍ، وَيُبَشِّرُ بِأَنَّ رَبَّهُ عَنْهُ رَاضٍ، وَعَلَيْهِ غَيْرُ غَضَبَانٍ»^(٣).

(١) الكافي: ج ٣، ص ١٢٦، ح ٥. تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٤٢٧، ح ٣.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٢٦٠، ضمن ح ١. البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٣٨٤-٣٨٥، ح ١.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٣٧، ح ٣٧٠، عنه بحار الأنوار: ج ٨، ص ١٦، ح ١١١.

الثامن: صوم آخر شهر رجب

فقد روي عن سالم، أَنَّهُ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا) فِي رَجَبٍ، وَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُ أَيَّامٌ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ قَالَ لِي: يَا سَالِمُ، هَلْ صُمْتَ فِي هَذَا الشَّهْرِ شَيْئاً؟ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ لِي: لَقَدْ فَاتَكَ مِنَ الثَّوَابِ مَا لَا يَعْلَمُ مَبْلَغُهُ إِلَّا اللَّهُ ﷻ، إِنَّ هَذَا شَهْرٌ قَدْ فَضَّلَهُ اللَّهُ وَعَظَّمْ حَرَمَتَهُ، وَأَوْجِبَ لِلصَّائِمِ فِيهِ كِرَامَتَهُ. قَالَ: قُلْتُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَإِنْ صُمْتُ مِمَّا بَقِيَ شَيْئاً هَلْ أَنَالُ فَوْزاً بِبَعْضِ ثَوَابِ الصَّائِمِينَ فِيهِ؟ فَقَالَ: يَا سَالِمُ مَنْ صَامَ يَوْماً مِنْ آخِرِ الشَّهْرِ كَانَ ذَلِكَ أَمَاناً لَهُ مِنْ شِدَّةِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَأَمَاناً لَهُ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمَنْ صَامَ يَوْمَيْنِ مِنْ آخِرِ هَذَا الشَّهْرِ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ جَوَازٌ عَلَى الصِّرَاطِ، وَمَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ آخِرِ الشَّهْرِ أَمِنَ يَوْمَ الْفِرْعَ الْأَكْبَرِ مِنْ أَهْوَالِهِ وَشِدَائِدِهِ، وَأُعْطِيَ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ»^(١).

التاسع: الجزع على أهل البيت ﷺ عموماً والحسين ﷺ خصوصاً

فَعَن مِسْمَعٍ كَرْدِيٍّ قَالَ: «قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَا مِسْمَعُ، أَنْتَ مِنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَمَا تَأْتِي قَبْرَ الْحُسَيْنِ؟ قُلْتُ: لَا، أَنَا رَجُلٌ مَشْهُورٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَعِنْدَنَا مَنْ يَتَّبِعُ هَوَى هَذَا الْخُلَيْفَةِ وَأَعْدَاؤُنَا كَثِيرَةٌ مِنْ أَهْلِ الْقَبَائِلِ مِنَ النَّصَابِ وَغَيْرِهِمْ، وَلَسْتُ أَمْنُهُمْ أَنْ يَرْفَعُوا عَلَيَّ حَالِي عِنْدَ وُلْدِ سُلَيْمَانَ فَيُمَثِّلُونَنِي عَلَيَّ! قَالَ لِي: أَفَمَا تَذْكُرُ مَا صُنِعَ بِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى! قَالَ: فَتَجَزَعُ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، وَأَسْتَعِيرُ لِدَلِّكَ حَتَّى يَرَى أَهْلِي أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَأَمْتَنِعُ مِنَ الطَّعَامِ حَتَّى يَسْتَتِينَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ دَمْعَتَكَ، أَمَا إِنَّكَ مِنَ الَّذِينَ يُعْدُونَ فِي أَهْلِ الْجَزْعِ لَنَا، وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ لِمَرَحِنَا، وَيَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا، وَيَخَافُونَ لِحَوْفِنَا، وَيَأْمَنُونَ إِذَا أَمِنَّا أَمَا

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٦٥-٦٦، ح ٧. فضائل الأشهر الثلاثة: ص ١٨، ح ٣.

إِنَّكَ سَتَرَىٰ عِنْدَ مَوْتِكَ وَحُضُورَ آبَائِي لَكَ وَوَصِيَّتَهُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ بِكَ وَمَا يُلْقُونَكَ بِهِ مِنَ
الْبُشَارَةِ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ قَبْلَ الْمَوْتِ، فَمَلَكَ الْمَوْتِ أَرَقُّ عَلَيْكَ وَأَشَدُّ رَحْمَةً لَكَ مِنَ الْأُمِّ
الشَّفِيقَةِ عَلَى وَلَدِهَا. قَالَ: ثُمَّ اسْتَعْبَرَ وَاسْتَعْبَرْتُ مَعَهُ^(١).

الجزء على الإمام الحسين عليه السلام لا يعرف قيمته إلا المعصومون عليه السلام

فقد روى الشيخ الصدوق عليه السلام في الخصال، وفي عيون أخبار الرضا، عن ابن
عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل قال: «سمعت الرضا عليه السلام يقول: لما أمر الله ﷻ،
إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمنى إبراهيم أن يكون قد
ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه، ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب
الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده، فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على
المصائب. فأوحى الله ﷻ، إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟ فقال: يا ربّ، ما خلقت
خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمد، فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال: بل
هو أحبّ إليّ من نفسي، قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟ قال: بل ولده، قال: بذبح ولده
ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا ربّ، بل ذبحه
على أيدي أعدائه أوجع لقلبي. قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أمة محمد ستقتل
الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي. فجزع
إبراهيم لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي، فأوحى الله ﷻ: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على
ابنك إسماعيل - لو ذبحته بيدك - بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات
أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

(١) كامل الزيارات: ص ٢٠٣-٢٠٤، ح ٧، عنه بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٨٩، ح ٣١.

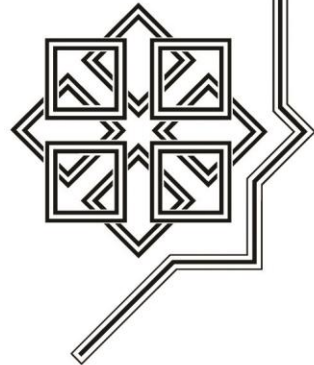
(٢) الخصال: ص ٥٨، ح ٧٩. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٨٧، ح ١.

وكلّ مؤمن يجزع ويبكي لمصاب أبي عبد الله عليه السلام، مع أنّه لم يرَ ما جرى عليه، فكيف
بمَن رآه، ولكن تبقى هنالك ميزة لأحد المؤمنين لم يشاركه فيها أحدٌ، سأنقل لك كلامه
على شكل أبيات هي لسان حاله، ذلك هو الإمام زين العابدين عليه السلام:

أنا لي صار بيّه ما جرى بناس	شفتك على الثرى وبالخيل تنداس
تالي الوكت نزلتك بلا راس	الجسد والراس صار لك مجانيّن

المحاضرة السادسة

كيف نثقل ميزاننا



قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾^(٢).

الميزان عندنا نحن البشر في كثير من الأحيان هو العاطفة والميل للأشخاص، حتى ولو كان على حساب الدين، وهذا بلا شك ميزانٌ خاطئٌ، بل هو في الحقيقة ليس بميزانٍ أصلاً، والبعض من الناس يجعل ميزانه أهله وذويه من أقربائه، لذا نجد أن القرآن الكريم ينبه على ذلك، حيث يقول: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَٰسِبِينَ﴾^(٤)، ويؤيده الأخبار الكثيرة المروية عن النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، فعن إمامنا الصادق عليه السلام أنه قال: «وقع بين سلمان الفارسي رحمه الله وبين رجل خصومة، فقال الرجل لسلمان: مَنْ أنت؟ وما أنت؟ فقال سلمان: أُمَّا أُولَى وَأُولَكَ فَنُطْفَةٌ قُدْرَةٌ، وَأُمَّا آخَرِي وَآخَرُكَ فَجِفَّةٌ مُتَنَتَةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَنُصِبَتِ الْمَوَازِينُ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ اللَّئِيمُ»^(٥).

(١) الأعراف: آية ٩٨.

(٢) المؤمنون: آية ١٠١-١٠٣.

(٣) الأنبياء: آية ٤٧.

(٤) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٤، ص ٤٠٤، ح ٥٨٧٤.

حقيقة هذه الموازين

الموازين: جمع (ميزان)، وهو وسيلة للقياس، إنَّ الميزان لا يعني ما نعرفه في هذه الدنيا لوزن المواد، إنَّ الميزان في هذه الآية يعني وسيلة ملائمة لقياس قيمة أعمال الإنسان، أي: للميزان مفهوم واسع يشمل جميع وسائل القياس، وكما ورد في الأحاديث المختلفة أنَّه ميزان تُقاس به الأعمال والناس، ويمكن أن يكون الأنبياء والأوصياء مقياس لأعمال أُممهم التي يُبعثون إليها لتطبيق الأحكام والقوانين الإلهية، وعلى هذا فإنَّ الرسل وأوصياءهم هم الذين يُقاس الناس وأعمالهم بهم، ليتبيَّن إلى أي درجة يشبهونه؟

وبهذا يتميَّز الناس ثقيلهم من خفيفهم، وثمانهم من تافههم، وعالمهم من جاهلهم. كما يتَّضح لنا سرُّ ذكر الموازين بصيغة الجمع، لأنَّ قادة الناس الكبار في السابق - وهم موازين القياس - قد تعدَّدوا في التاريخ، ويمكن أن يكون الأنبياء والأئمَّة (عليهم السلام)، وعباد الله المخلصون قدوة في مجال معين أو أكثر على وفق الظروف التي مرَّوا بها، فاشتهروا ببعض الصفات دون أخرى، فواحدهم ميزان بما اشتهر به من حسنات وخصال حميدة. ﴿وَمَنْ حَقَّتْ مَوْزِينُهُ﴾، وهم الذين فقدوا الإيمان والعمل الصالح، فوزنهم خفيف يوم القيامة، لأنَّهم خسروا رأس مال وجودهم، ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾^(١).

«إنَّما جمع الموازين لأنَّه يجوز أن يكون لكلِّ نوع من أنواع الطاعات يوم القيامة ميزان، ويجوز أن يكون كلُّ ميزان صنفاً من أصناف أعماله، ويؤيد هذا ما جاء في الخبر، إنَّ الصلاة ميزان، فمن وفى استوفى... وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال

(١) المؤمنون: آية ١٠٣.

(٢) أنظر: تفسير الأمثل: ج ١٠، ص ٥١٩.

الجوارح ميزان، ولما تعلّق بالقول ميزان آخر^(١).

إنّ من البديهي أنّ المراد من الخفّة والثقل في الموازين ليس هو خفّة وثقل نفس الميزان، بل قيمة ووزن الأشياء التي توزن بواسطة تلك الموازين، ونُقاس بتلك المقاييس. ثمّ إنّ في التعبير بجملة ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة، وهي أنّ هؤلاء قد أُصيبوا بأكبر الخسارات؛ لأنّ الإنسان قد يخسر ماله، أو منصبه، ولكنّه قد يخسر أصل وجوده من دون أن يحصل على شيء في مقابل ذلك، وتلك هي الخسارة الكبرى، والضرر الأعظم.

إنّ في التعبير بـ ﴿كَانُوا بِعَايِنَتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ في آخر الآية إشارة إلى أنّ مثل هؤلاء لم يظلموا أنفسهم فحسب، بل ظلموا البرامج الإلهية الهادفة؛ لأنّ هذه البرامج كان ينبغي أن تكون سبلاً للهداية ووسائل للنجاة، ولو أنّ أحداً تجاهلها، ولم يكثرث بها، فلم يحصل منها هذا الأثر، كان ظالماً لها، وقد جاء في بعض الروايات والأخبار أنّ المراد من الآيات هنا هم أئمة الهدى (عليهم السلام)، على أنّ هذا النمط من التفسير لا يعني حصر مفهوم الآية فيهم، بل هم المصاديق الأتم والأظهر للآيات الإلهية. هذا، وفسر بعض المفسّرين الظلم في الآية بالكفر والإنكار، وهذا المعنى ليس بعيداً عن مفهوم الظلم^(٢).

ولا شك ولا شبهة في أنّ الذي يثقل ميزانه فمصيره إلى الجنّة، ومن تخفّ موازينه مصيره إلى النار، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ * نَارُ حَامِيَةٍ﴾^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٤٤.

(٢) أنظر: تفسير الأمل: ج ٤، ص ٥٧٧.

(٣) القارعة: آية ٦-١١.

ما يثقل به الميزان

قد يعسر على أحدنا أن يحيط علماً بكل ما يثقل الميزان، ولكن يمكن القول أن أكثر ما يثقل ميزان الإنسان هي أمور أربعة:

الأول: محبة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

محبة أهل البيت عليه السلام عموماً وأمير المؤمنين عليه السلام على نحو الخصوص ممّا يثقل ميزان العبد، وهي بعد فريضة واجبة كما نطق به الروايات عند الفريقين، فقد روى الخطيب الخوارزمي بسنده عن جابر، قال: «قال رسول الله ﷺ: جاءني جبرئيل من عند الله ﷻ بورقة آس خضراء مكتوب فيها بياض: إني افترضت محبة علي بن أبي طالب على خلقي عامة، فبلغهم ذلك عني»^(١).

الثاني: الصلاة على محمد وآل محمد

فقد روى الشيخ الكليني رحمه الله بسند معتبر، عن الإمام محمد الباقر أو الإمام الصادق عليه السلام، قال: «ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد، وإن الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به فيخرج ﷺ الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به»^(٢). وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا عند الميزان يوم القيامة، فمن ثقلت سيئاته على حسناته جئت بالصلاة عليّ حتى أثقل بها حسناته»^(٣).

(١) المناقب: ص ٦٦، ح ٣٧. وأنظر الحديث في مصادرنا التالية: أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦١٩، ح ١٢. مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٣. الجواهر السنّية: ص ٢٩٩. بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٢٥٧، وغيرها الكثير.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٤٩٤، ح ١٥.

(٣) ثواب الأعمال: ص ١٥٥.

الثالث: حُسْنُ الْخُلُقِ

وهو عبارة عن حالة تبعث على حسن معاشرة الناس ومجايلتهم بالبشاشة، وطيب القول، ولطف المداراة، كما عرّفه الإمام الصادق عليه السلام حينما سُئِلَ عن حدّه، فقال: «تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببشرٍ حسن»^(١).

وثواب الاتّصاف بهذه الخصلة عظيم، بل هي من الخصال المهمّة التي تثقل ميزان العبد يوم القيامة، كما روي عنهم عليهم السلام أنّه: «ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»^(٢).

وعن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله، أنّه قال: «أول ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة حسن خلقه»^(٣).

ويكفي هذه الخصلة فخراً أنّ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله جعله الله تبارك وتعالى لنا الميزان للأخلاق؛ حيث يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤)، والحال أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله هو أكمل خلق الله تعالى في جميع الصفات والخصال، لكنّ الله تبارك وتعالى ما أثنى عليه بصفةٍ كما أثنى عليه بحسن الخلق.

وحسن خلق يوسف الصديق واحدٌ من أمثلة الخُلُقِ الكريم، من المناسب ذكرها هنا، والرواية هي: «إنّ إخوته لما عرفوه أرسلوا إليه: إنّك تدعوننا إلى طعامك بكرة وعشية، ونحن نستحي منك لما فرط منّا فيك. فقال يوسف: إنّ أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنّهم ينظرون إليّ بالعين الأولى، ويقولون: سبحان من بلغ عبداً يبيع بعشرين درهماً

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٠٣، ح ٤. وأنظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٩.

(٢) هداية الأئمة إلى أحكام الأئمة: ج ٥، ص ١٧٠، ح ١١١٠.

(٣) قرب الإسناد: ص ٤٦، ح ١٤٩، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٨٥، ح ٢٦.

(٤) القلم: آية ٤.

ما بلغ، ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون؛ حيث علم الناس أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم^(١).

وروي أيضاً أنه لما اجتمع يعقوب مع يوسف عليه السلام قال: «يا بني، حدّثني بخبرك؟ فقال له: يا أبت، لا تسألني عمّا فعل بي إخوتي، واسألني عمّا فعل الله بي»^(٢).

ونحن سائر البشر نحتاج إلى الموعظة النافعة غدواً وعشيا، ويناسب هنا نقل كلام من راهبٍ عظيم الشأن، وهو ما نُقل عن قاسم الزاهد، قال: «رأيت راهباً على باب بيت المقدس كالولهان لا يرقأ له دمع، فها لني أمره، فقلت: يا أيّها الراهب، أوصني وصية أحفظها عنك! فقال: كن كرجل احتوشته السباع والهوام، فهو خائف مذعور، يخاف أن يسهو فتفترسه، أو يلهو فتنهشه، فليله ليل مخافة إذا أمن فيه المغترون، ونهاره نهار حزن إذا فرح فيه البطّالون. ثمّ ولّى وتركني! فقلت: لو زدّني شيئاً عسى الله أن ينفعني به، فقال: يا هذا، إنّ الظمآن يكفيه من الماء أيسره»^(٣).

الرابع: سقاية الماء

ومّا يثقل ميزان العبد يوم القيامة سقاية الماء، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنّه قال: «مَن سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كَمَن كان كَمَن أعتق رقبةً، ومَن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كَمَن أحيا نفساً، ومَن أحيا نفساً فكأنّما أحيا الناس جميعاً»^(٤)، وعنه عليه السلام عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: «أول ما يبده به في الآخرة صدقة الماء، يعني

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل: ج ٢، ص ٣٤٢.

(٢) منازل الآخرة والمطالب الفاخرة: ص ٢٠٨، ولم أعثر على الرواية في غيره.

(٣) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ج ١، ص ٢٨٩.

(٤) الكافي: ج ٤، ص ٥٧، ح ٣. مكارم الأخلاق: ص ١٣٥، عنه بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ١٧٠، ح ١.

في الأجر»^(١).

وروي عن ابن عباس، أنّه قال: «قال لي النبي ﷺ: رأيتُ فيما يرى النائم عمّي حمزة بن عبد المطلب وأخي [جعفر] بن أبي طالب وبين أيديهما طبق من نبق، فأكلا ساعةً فتحول النبق عنباً، فأكلا ساعةً فتحول العنب لهما رطباً، فأكلا ساعةً، فدنوت منهما فقلت لهما: بأبي أنتما، أي الأعمال وجدتما أفضل؟ قالاً: فدينك بالآباء والأُمّهات، وجدنا أفضل الأعمال الصلاة عليك، وسقي الماء، وحبّ علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٢).

وقد ضرب أهل البيت عليه السلام أروع الأمثلة في كلّ ما يُثقل الميزان بأفعالهم وأقوالهم حتى أنّ العدو اعترف بذلك قبل المحبّ والصدّيق؛ ولذا يعترف الوليد والي المدينة أمام مروان عندما طلب مروان (لعنه الله) منه قتل الإمام الحسين عليه السلام فقال الوليد: «يا مروان، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحبّ أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأنّي قتلت حسيناً، سبحان الله! أقتل حسيناً أن قال لا أبايع؟! والله، إنّي لأظنّ أنّ امرأً يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة. فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت؟ يقول هذا وهو غير الحامد له في رأيه»^(٣).

أنظر إلى لطف وحنان أبي الضمير على هؤلاء الجمع في تلك الصحراء المقفرة التي تعزّ فيها الجرعة الواحدة من الماء، وهو عالمٌ بحراجة الموقف ونفاد الماء، وأنّ غداً دونه تسيل الدماء وتسقط دونه الرؤوس وتزهق الأرواح، ولكن خُلِقَ النبوة والإمامة لم يتركها له إلّا أن يجود بالفضل كما جاد جدّه رسول الله ﷺ حين قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وكما

(١) الكافي: ج ٤، ص ٥٧، ح ١. مكارم الأخلاق: ص ١٣٥.

(٢) الدعوات (سلوة الحزين): ص ٩٠.

(٣) الإرشاد: ج ٢، ص ٣٤، عنه بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٥.

جَادُ أَبُوهِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ مَنْعِهِ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ حِينَ اسْتَوَلَى عَلَى الْمَاءِ يَوْمَ صَفِّينَ، كَذَلِكَ جَادُ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَى مَنْ؟! عَلَى قَوْمٍ أَقْدَمُوا لِقَتَالَهُ، سَقَاهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَفِّهِ وَأَنَامَلَهُ، لَكِنْ قَطَعَ الْقَوْمُ كَفَّهُ وَأَنَامَلَهُ! اللَّهُ أَكْبَرُ أَيُّ أَعْدَاءٍ كَانُوا؟!

وَلِذَا يَصِفُ شَاعِرُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ الْكَشْمِيرِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْقِفَ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَعْدَائِهِ وَمَحَبَّتِهِ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

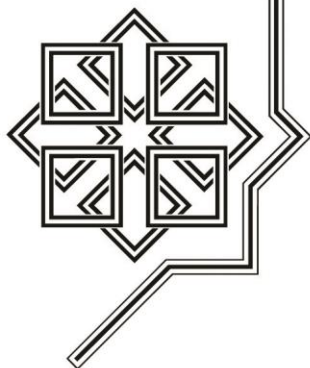
سَقَيْتَ عِدَاكَ الْمَاءَ مِنْكَ تَحْنَنًا بِأَرْضِ فَلَاحٍ حَيْثُ لَا يَوْجَدُ الْمَاءُ
فَكَيْفَ إِذَا تَلَقَى مُحِبِّكَ فِي غَدٍ عَطَّاشَى مِنَ الْأَجْدَاثِ فِي دَهْشَةٍ جَاؤُوا^(١).

(١) أنظر: هامش الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ج ٢، ص ٨٠٩.

الحاضرة العربية والحديثة



العلم اللدني والعلم المستفاد



قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَايَتُهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِثْلَ دُنَا عِلْمًا﴾^(١)
 * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا
 * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا *^(٢)

لا يختلف اثنان من العقلاء في هذا الكون كله في أهمية العلم بكل أنواعه وأصنافه، سواء كان علم الشريعة أم علم الهندسة أو علوم الحياة الباقية، حتى روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «كفى العلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه من ليس من أهله، وكفى بالجهل خمولاً أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه»^(٣).

فكل إنسان تصفه بالعلم تجده يفرح ولو كان لم يعرف من العلم شيئاً، وكل إنسان يحزن إذا وصفته بأنه جاهل غير عالم، ولو كان من أجهل الناس، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حسن العلم لذاته، وقبح الجهل لذاته.

لذا صار هم عقلاء الناس أن يطلبوا العلم، كل بحسب النية التي في داخله، فمنهم من طلبه للجاه ومنهم من طلبه للمال، ومنهم من طلبه للمهارة، ومنهم من طلبه لله تبارك وتعالى، أي لأجل أن يرفع به الجهل عن نفسه وعن غيره، أما الذين طلبوه لغير الله فقد حذرتهم الشريعة أنبا تحذير، فعن إمامنا الباقر عليه السلام، أنه قال: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيَأْهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يُبَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، إِنَّ الرِّئَاسَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِأَهْلِهَا»^(٤).

وينقسم هذا العلم من جهة تحصيله إلى قسمين:

(١) الكهف: آية ٦٥-٦٨.

(٢) مستدرک نهج البلاغة: ص ١٦٤.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٤٧، ح ٦.

القسم الأول: العلم اللدني

العلم اللدني: هو العلم الذي يفتح في سرِّ العالم من غير سبب مألوف من خارج^(١)، ولعلَّه لهذا تشير الرواية: «ليس العلم بكثرة التعلم، إنّما هو نور يقذفه الله في قلب مَنْ يريد الله أن يهديه»^(٢)، وهو العلم الذي عند الأئمة عليهم السلام، كما نقل السيّد ابن طاووس رحمته الله عن الغزالي في رسالة العلم اللدني قال: «قال: ما هذا لفظه: وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أدخل لسانه في فمي فانفتح في قلبي ألف باب من العلم، وفتح لي كلّ باب ألف باب، وقال أيضاً: لو تُنيت لي الوسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الفرقان بفرقانهم. وهذه المرتبة لا تنال بمجرد التعلم، بل يتمكّن المرء في هذه المرتبة بقوة العلم اللدني»^(٣)، وهو العلم الذي أشارت إليه الآية المباركة: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، فالخضر عليه السلام كان ممّن علّم العلم اللدني، حتى صار كلّ مَنْ يريد أن يدّعي ذلك يقول أخذته من الخضر عليه السلام، حتى قد أولع كثير ممّن ينتمي إلى الصلاح بادّعاء هذا العلم، وأنّه يُلقى في روع الصالح منهم شيء من ذلك، حتى يخبر بأنّ مَنْ كان من أصحابه هو من أهل الجنة على سبيل القطع، وأنّ بعضهم يرى الخضر عليه السلام.

وكان قاضي القضاة أبو الفتح محمد بن عليّ بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد يخبر عن شيخ له أنّه رأى الخضر وحدثه، فقبل له: مَنْ أعلمه أنّه الخضر؟ ومن أين عرف ذلك؟ فسكت^(٤).

(١) أنظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: ج ٢، ص ١١.

(٢) الوافي: ج ١، ص ١٠.

(٣) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ص ١٣٦.

(٤) أنظر: تفسير البحر المحيط: ج ٦، ص ١٣٩.

القسم الثاني: العلم المستفاد (المكتسب)

وهو العلم الذي يُحكم بالأسباب الظاهرية، ويُتوصل إليه من الطرق العادية المألوفة^(١)، وهو يحصل عند الأئمة عليهم السلام أيضاً، كما روى لنا الصفار عن المفضل، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام ذات يوم - وكان لا يكتيني قبل ذلك -: يا أبا عبد الله، فقلت: لبيك جُعِلت فداك، قال: إن لنا في كل ليلة جمعة سروراً، قلت: زادك الله، وما ذاك؟ قال: إنه إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العرش ووافى الأئمة معه، ووافينا معهم، فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لفقد ما عندنا»^(٢). وهو نفسه العلم الذي يريد نبي الله موسى عليه السلام أن يتعلمه من الخضر عليه السلام، كما أشارت إليه الآية المباركة: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِن مَّا عُلِّمَتْ رُشْدًا﴾^(٣).

وفي الحوار بين الخضر وموسى عليهما السلام جملة من الآداب العالية التي استعملها كليم الله موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام؛ لكي يحصل على شيء من علمه لأجل الهدى والرشاد، حتى يرى الشهيد الثاني رحمته الله أنه لو أردنا استقصاء هذه الآداب لطلب منا ذلك وضع رسالة، واكتفى بذكر البعض منها، وهو ما يستفاد فقط من الآية التي هي محل البحث، فقال الشهيد السعيد رحمته الله: «إن الخضر عليه السلام علم أولاً أنه نبي بني إسرائيل، موسى عليه السلام صاحب التوراة الذي كلمه الله صلى الله عليه وآله وسلم بغير واسطة، وخصّه بالمعجزات، وقد أتى - مع هذا المنصب - بهذا التواضع العظيم بأعظم أبواب المبالغة، فدلّ على أن هذا هو الأليق؛ لأنّ مَنْ كانت إحاطته بالعلوم أكثر، كان علمه بها فيها من البهجة والسعادة أكثر، فيشتدّ طلبه لها، ويكون

(١) أنظر: الميزان في تفسير القرآن: ج ١١، ص ٢٢٠.

(٢) بصائر الدرجات: ص ١٥٠، ح ١.

(٣) الكهف: آية ٦٨.

تعظيمه لأهل العلم أكمل. ثم مع هذه المعرفة من الخضر عليه السلام وهذه الغاية من الأدب والتواضع من موسى عليه السلام أجابه بجوابٍ رفيع وكلامٍ منيع، مشتمل على العظمة والقوة، وعدم الأدب مع موسى عليه السلام، بل وصفه بالعجز وعدم الصبر، بقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(١).

الرحلة العجيبة بين موسى عليه السلام والعالم عليه السلام

ثم بعد هذا الطالب المملوء بالتواضع من موسى عليه السلام للخضر عليه السلام أجابه الخضر عليه السلام بهذا الجواب - كما حكى لنا القرآن الكريم ذلك - ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. وبدأت الرحلة الشاقة التي ابتدأها العالم (الخضر عليه السلام) بخرق السفينة، ثم قتل الغلام البريء بحسب الظاهر، وإقامة الجدار لمن ليس أهلاً للمساعدة والمعونة، وهي أشياء لا يسكت عنها المصلحون، إذ لم يعرفوا عللها؛ لذا جاء قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾، ومن الطبيعي أن الأنبياء والأوصياء، بل مطلق المؤمنين لا يقبلون الحيف والظلم، فكيف يتسنى للنبي موسى عليه السلام، وهو كلّم الله أن يغضّ النظر عن هذه الظلمات الظاهرية التي أحققها بأهل السفينة وقتل النفس، وهو المبعوث لرفع الحيف والجور! فهنا بدأت الأسئلة من النبي موسى عليه السلام للخضر عليه السلام، فأجابه الخضر عليه السلام بما يرفع عنه التعجب والاستنكار.

وقد يسأل سائل كيف يمكن أن يكون الخضر هو الحجة على النبي موسى عليه السلام وهو حجة الله تبارك وتعالى؟

والجواب: إن هذا السؤال طُرح على الإمام الرضا عليه السلام في زمانه، كما وروى العلامة المجلسي رحمته الله أنه اختلف يونس وهشام بن إبراهيم في العالم الذي أتاه موسى عليه السلام أيهما كان

أعلم؟ وهل يجوز أن يكون على موسى حجة في وقته وهو حجة الله على خلقه؟ فقال قاسم الصيقل: فكتبوا إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام يسألونه عن ذلك، فكتب في الجواب: «أتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر إما جالساً وإما متكئاً، فسلم عليه موسى، فأنكر السلام؛ إذ كان بأرض ليس بها سلام، فقال: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران، قال: أنت موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليماً؟ قال: نعم، قال: فما حاجتك؟ قال: جئت لتعلمني مما علّمت رشداً. قال: إني وكُلتُ بأمر لا تطيقه، وكُلتُ بأمر لا أطيقه. ثم حدّثه العالم بما يصيب آل محمد من البلاء حتى اشتدّ بكاؤهما، ثم حدّثه عن فضل آل محمد حتى جعل موسى يقول: يا ليتني كنت من آل محمد...»^(١).

فنبى الله موسى عليه السلام يتمنى أن يكون من آل محمد، ولكن قوم يدعون أنهم من أمته صلى الله عليه وآله ماذا صنعوا بآل محمد عليه السلام؟ تعال واستمع إلى ما يقوله الشاعر:

تبّأ لهم من أمةٍ لم يحفظوا عهد النبيّ بآله الأجدادِ
قد شتّوهم بين مقهورٍ ومأسورٍ ومنحورٍ بسيفٍ عنادٍ^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٢٧٩.

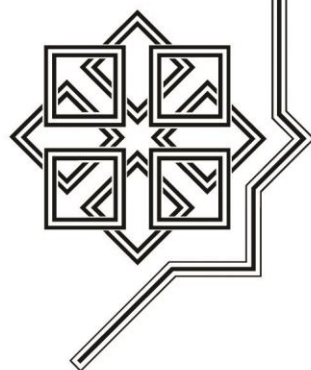
(٢) البيتان من قصيدة رائعة لشاعر أهل البيت عليه السلام السيد مهدي الأعرجي رحمته الله، كما في رياض المدح والثناء: ص ٧٥٦، مطلعها:

رحلوا وما رحلوا أهيل ودادي إلا بحسن تصوّري وفؤادي

الحاضرة العربية الثانية



طلب الهداية للصراط



قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(١).

هناك طرق إلهية عديدة رسمها لنا الباري عز وجل للوصول إلى هدايته، منها الدعاء وفي هاتين الآيتين الشريفتين يلقننا الهداية إلى صراطه المستقيم، أفلا ينبغي لنا أن نتعرف على هذا الصراط المستقيم الذي نسال الله أن يهدينا إليه، أو ما دعانا الفصول الذي لا ينفك عنا أن يدعونا للسؤال عن هؤلاء الذين أنعم الله عليهم، فصار الصراط المستقيم صراطهم؟ وسؤاله من الله هو عين السؤال في الكون معهم. أو لم نؤمر في التدبر في قراءة القرآن والسؤال من أهل الذكر عما نجهله؟! أو لم يقل الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢)؟! أو لم يقل عز وجل: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)!

الهداية لغةً واصطلاحاً

الهداية في اللغة قال عنها صاحب لسان العرب: «... وهوادي الخيل: أعناقها؛ لأنها أول شيء من أجسادها، وقد تكون الهوادي أول رجيل يطلع منها لأنها المتقدمة، ويقال: قد هدت تهدي إذا تقدمت... وقد يكون إنما سمى العصا هادياً لأنه يمسكها فهي تهديه تتقدمه، وقد يكون من الهداية لأنها تدلّه على الطريق، وكذلك الدليل يسمى هادياً لأنه يتقدم القوم

(١) الفاتحة: آية ٦-٧.

(٢) محمد: آية ٢٤.

(٣) النحل: آية ٤٣.

ويتبعونه، ويكون أن يهديهم للطريق»^(١). وهذا المعنى هو نفس المعنى الاصطلاحي الذي نطلبه وهو أن نسير خلف مَنْ يتقدّمنا ونحن نتبعه، وهذا الذي يتقدّمنا قد أنعم الله عليه من قَبْلِ فهداه من قبلنا، وأمرنا الله تبارك وتعالى أن نطلب الهداية لتكون معه.

الصراط المستقيم

وأما الصراط المستقيم الذي سألنا الله أن يهدينا إليه، ويأخذ بأيدينا صوبه، فهو الطريق المؤدّي الى الجَنَّة، فنحن لم نسأل الله أيّ صراط، بل سألناه صراطاً خاصاً، وهو الصراط المستقيم، وإلاّ فهناك صراط آخر ذكره القرآن الكريم يقع في النقطة المقابلة للصراط الذي سألناه، وهذا الصراط هو صراط الجحيم.

قال تعالى: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾^(٢)، أمّا ما نسأله نحن فهو الذي يهدي إليه الرسول الخاتم محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣)، وهو نفسه الذي يأمر الله رسوله ﷺ ببيانه في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤)، وغيرها من الآيات الشريفة، فإذا تبيّن الصراط المستقيم الذي نطلبه صار لزاماً علينا أن نتعرّف على أصحاب هذا الصراط، الذين أنعم الله عليهم بالهداية إليه، ووفقهم بأن يكونوا مضرب الأمثال وهداة الجبار.

مَنْ هُم الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؟

هناك مجموعة من الناس لا شك بأنهم محلّ عناية الله تبارك وتعالى، هؤلاء حباهم الله

(١) لسان العرب: ج ١٥، ص ٣٤٥.

(٢) الصافات: آية ٢٣.

(٣) المؤمنون: آية ٧٣.

(٤) الأنعام: آية ١٦١.

بالهداية إلى الطيب من القول، وإلى الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾^(١).

قد يقول قائل: إنه ليس هناك مجموعة بعينها قد هداها الله لذلك، وإنما كل البشر هم سواسية عند الله؛ لأن الله تبارك وتعالى صرح بهذا المعنى الذي أشرنا إليه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢)، إذن يوجد أناس ممن أنعم الله عليهم إذا امتثلنا أوامر السماء كنّا معهم وهؤلاء هم - حسب هذه الآية الشريفة - أربعة طوائف، هم: الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والصالحون.

فنحن في الحقيقة نطلب في قولنا: (اهدنا الصراط المستقيم) أن نكون مع هؤلاء، وهم نعم الرفيق وأحسن أنواع الصديق؛ لأنّ بهم النجاة الأبدية والسعادة السرمدية.

خطان منحرفان!

هذه الآية تفسير واضح للصرّاط المستقيم المذكور في الآية السابقة، إنّهُ صراط المشمولين بأنواع النعم، مثل نعمة الهداية، ونعمة التوفيق، ونعمة القيادة الصالحة، ونعمة العلم والعمل والجهاد والشهادة، لا المشمولين بالغضب الإلهي بسبب سوء فعلهم وزيف قلوبهم، ولا الضائعين التائبين عن جادة الحق والهدى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٣)، ولأنّنا لسنا على معرفة تامّة بمعالم طريق الهداية، فإنّ الله تعالى يأمرنا في هذه الآية الكريمة أن نطلب منه هدايتنا إلى طريق الأنبياء والصالحين من

(١) الحج: آية ٢٤.

(٢) النساء: آية ٦٩.

عباده: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾^(١)، ويحذّرنا كذلك بأنّ أماننا طريقين منحرفين، وهما طريق المغضوب عليهم، وطريق الصّالين، وبذلك يتبيّن للإنسان طريق الهداية بوضوح. ولعلّ ذكر هذه المجاميع الأربع، إشارة إلى المراحل الأربع لبناء المجتمع الإنساني السالم المتطور المؤمن:

المرحلة الأولى: مرحلة نهوض الأنبياء ﷺ بدعوتهم الإلهية.

المرحلة الثانية: مرحلة نشاط الصّديقين، الذين تنسجم أقوالهم مع أفعالهم، لنشر الدعوة.

المرحلة الثالثة: مرحلة الكفاح بوجه العناصر المضادة الخبيثة في المجتمع، وفي هذه المرحلة يقدّم الشهداء دمهم لإرواء شجرة التوحيد.

المرحلة الرابعة: هي مرحلة ظهور (الصالحين) في مجتمع طاهر ينعم بالقيم والمثل الإنسانية باعتباره نتيجة للمساعي والجهود المبذولة. نحن - إذن - في سورة الحمد نطلب من الله - صباحاً مساءً - أن يجعلنا في خط هذه المجاميع الأربع: خطّ الأنبياء، وخط الصّديقين، وخط الشهداء، وخط الصالحين. ومن الواضح أنّ علينا أن نهض في كلّ مرحلة زمنية بمسؤوليتنا ونؤدّي رسالتنا.

قال السيد الخوئي رحمه الله: «فيه دلالة على وجود طريق مستقيم سلكه الذين أنعم الله عليهم من النّبیین والصّديقين والشهداء والصالحين، ووجود طرق أخرى غير مستقيمة سلكها المغضوب عليهم، من المعاندين للحقّ، والمنكرين له بعد وضوحه، والضالون الذين ضلّوا طريق الهدى بجهلهم، وتقصيرهم في الفحص عنه، وفي اقتناعهم بما ورثوه من آثار آبائهم، فاتبعوهم تقليداً على غير هدى من الله ولا برهان. والقارئ المتدبّر لهذه

الآية الكريمة يتذكّر ذلك فيحضر في ذهنه لزوم النَّاسِي بأولياء الله المقربين في أعمالهم، وأخلاقهم وعقائدهم، والتجنّب عن مسالك هؤلاء المتمردين الذين غضب الله عليهم بما فعلوا، والذين ضلّوا طريق الحقّ بعد اتّضاحه»^(١).

وقال العلامة الطباطبائي رحمته الله: «وقد وصف تعالى الصراط بالاستقامة، ثمّ بين أنّه الصراط الذي يسلكه الذين أنعم الله تعالى عليهم، فالصراط الذي من شأنه ذلك هو الذي سئل الهداية إليه، وهو بمعنى الغاية للعبادة، أي: أنّ العبد يسأل ربّه أن تقع عبادته الخالصة في هذا الصراط»^(٢).

من هم المغضوب عليهم والضالين؟

اختلف المفسّرون فيمن هم (المغضوب عليهم) و(الضالين)، فهنا أقوال:

القول الأوّل: ما ذهب إليه الجمهور في أنّ المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى، وجاء ذلك مفسراً عن النبي صلّى الله عليه وآله في حديث عدي بن حاتم وقصة إسلامه.

القول الثاني: إنّ (المغضوب عليهم) هم المشركون، و(الضالين) هم المنافقون.

القول الثالث: إنّ (المغضوب عليهم) باتّباع البدع، و(الضالين) عن سنن الهدى^(٣).

ومن خلال هذا العرض يتّضح أنّ أمام الإنسان ثلاث حالات:

الحالة الأولى: حالة الاستقامة، ويكون فيها في موضع الرحمة والنعمة الإلهية، وفي طريق التكامل والصعود.

الحالة الثانية: حالة التمرّد على الله تبارك وتعالى، ويكون فيها في موضع الغضب

(١) البيان في تفسير القرآن: ص ٩٧.

(٢) تفسير الميزان: ج ١، ص ٢٩.

(٣) أنظر: الأقوال في الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ص ١٤٩-١٥٠.

الإلهي، وفي طريق التسافل والتنازل.

الحالة الثالثة: حالة التيه الذي لا يعرف معه الطريق المستقيم، وهل هو في صعود وتكامل، أم في حالة نزول وتسافل، وهذه الحالة هي حالة (الضلال). ومع أنّ لفظ (الضلال) يستخدم في كلّ حالات الخروج من الاعتدال إلاّ أنّه في مثل هذه الآية المباركة استخدم في حالات الخروج الأخرى غير المتّصفة بالتمردّ والشدة، بدليل قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾، مستخدماً بذلك أسلوب الترقّي في النفي، أي مجيء العموم المنفي ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، بعد الخصوص ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، فكأنّ الإنسان يطلب من الله تعالى أن يكون من الذين أنعم الله عليهم ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ﴾ أولاً، ثمّ يطلب منه أن لا يكون منحرفاً انحراف أولئك المتمردين على الله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، بل حتى ولا أن يكون منحرفاً بأي شكل من أشكال الانحراف ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(١)، والرسول الأكرم ﷺ الذي يرى الفتن من بعده، أشفق على أمته وأراد أن يصونهم عن الضلال بعد الهدى بكتاب يكون ضمناً لهم عن الضلال^(٢)، كما روى البخاري عن ابن عباس، أنّه قال: «لما اشتدّ بالنبيّ (صلى الله عليه وسلّم) وجعه قال: اتّوني بكتابٍ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. قال عمر: إنّ النبيّ (صلى الله عليه وسلّم) غلبه الوجع! وعندنا كتاب الله حسبنّا! فاختلفوا وكثر اللغط، قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع. فخرج ابن عباس يقول: إنّ الرزيئة كلّ الرزيئة ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) وبين كتابه»^(٣).

ومن الواضح أنّ تعليق عدم الضلال على الكتاب يدلّ على حرمان الأمة - بفقد

(١) أنظر: تفسير سورة الفاتحة (السيد الحكيم): ص ٢٢٨.

(٢) أنظر: مقدمة في أصول الدين: ص ٢٣٧.

(٣) صحيح البخاري: ج ١، ص ٣٧.

ذلك الكتاب - من أعظم النعم وهو الهداية، وابتلائها بأكبر النقم وهو الضلالة: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١)، لذا أكد الله تبارك وتعالى على الأمة بالاستمرار على طلب الهداية، ليلاً ونهاراً؛ وما ذاك إلا لأجل الثبات على الصراط الذي ندعو الله أن يهدينا إليه، صراط الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء والشهداء والصديقين والصالحين.

وقد وُصفت الزهراء عليها السلام بوصفين من هذه الأوصاف الأربعة، كما روي عن علي بن جعفر، عن أخيه أبي الحسن عليه السلام قال: «إِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام صَدِيقَةُ شَهِيدَةٍ»^(٢)، والصديقة (فعيلة) للمبالغة سُميت بها لشدة تصديقها بما جاء به أبوها صلى الله عليه وآله وسلم، ولتصديق قولها بالفعل والعمل، والشهيد مَنْ قُتِلَ من المسلمين في معركة القتال المأمور به شرعاً، ثم اتسع فأطلق على كُلِّ مَنْ قُتِلَ منهم ظلماً كفاطمة عليها السلام؛ إذ قتلوها بضرب الباب على بطنها وهي حامل، فسقط حملها فماتت لذلك. وسُميت شهيدة لشهادة الله تعالى وملائكته لها بالجنة، أو لاتصافها بالحياة، كأنها شاهدة حاضرة لم تمت، أو لأنها تشهد ما أعد الله لها من الكرامة فهي (فعيلة) بمعنى فاعلة أو مفعولة على اختلاف التأويل^(٣).

وذكر الشيخ المفيد في كتاب المزار زيارة لفاطمة تقول: «السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، السلام على ابنتك الصديقة الطاهرة، السلام عليك يا فاطمة [بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] يا سيدة نساء العالمين، أيتها البتول الشهيدة الطاهرة»^(٤).

(١) الحشر: آية ٧.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٤٥٨، ح ٢.

(٣) أنظر: شرح أصول الكافي (المازندراني): ج ٧، ص ٢١٣.

(٤) المزار: ص ١٧٩.

صَدِيقَةٌ لَا مِثْلَهَا صَدِيقَةٌ تُفْرِغُ بِالصَّدَقِ عَنِ الْحَقِيقَةِ^(١).

ولكن لما خرجت والكتاب معها، لقيها الرجل، فقال: «يا بنتَ مُحَمَّدٍ ما هذا الكتاب الذي معك، فقالت: كتابٌ كتبه لي أبو بكر بردً فذك. فقال: هلميه إلي. فأبت أن تدفعه إليه، فرسها برجله وكانت حاملةً بابتِ اسمه المحسن، فأسقطت المحسن من بطنها ثم لطمها، فكأنني أنظر إلى قرط في أذننا حين نقفت، ثم أخذ الكتاب فخرقه، فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوماً مريضة مما ضربها ذلك الرجل، ثم قبضت فلما حضرها الوفاة دعت علياً عليه السلام، فقالت: إنا تضمن وإلا أوصيت إلى ابن الزبير. فقال علي عليه السلام: أنا أضمن وصيتك يا بنت مُحَمَّد. قالت: سألتك بحق رسول الله ﷺ إذا أنا مت ألا يشهداني، ولا يصلّي علي. قال: فلك ذلك، فلما قبضت عليه السلام دفنها ليلاً في بيتها، وأصبح أهل المدينة يريدون حضور جنازتها، ومعهم من ظلمها، فخرج إليها علي عليه السلام فقالا له: ما فعلت بابنة مُحَمَّد، أخذت في جهازها يا أبا الحسن؟ فقال علي عليه السلام: قد والله دفتها. قالوا: فما حملك على أن دفتها ولم تعلمنا بموتها؟ قال: هي أمرتني. فقال الرجل: والله، لقد هممت بنبشها والصلاة عليها. فقال علي عليه السلام: أما والله، ما دام قلبي بين جوانحي وذو الفقار في يدي، إنك لا تصل إلى نبشها، فأنت أعلم. فقال الآخر: اذهب فإنه أحق بها منا. وانصرف الناس»^(٢).

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، آه... آه:

ولأيّ الأمور تُدفن سرّاً بضعة المصطفى ويُغفى ثراها^(٣).

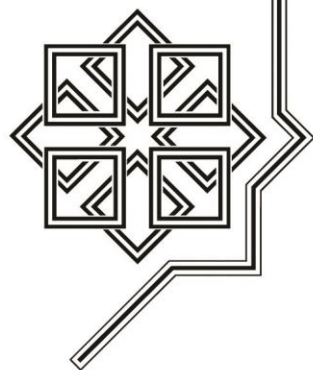
(١) الأنوار القدسية: ص ٣٧.

(٢) الاختصاص: ص ١٨٥.

(٣) القصيدة الأزرية: ص ١٤٣.

الحائِظَةُ عَلَى السَّائِبَاتِ

القرض، ثوابه وأحكامه



قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^(١).

خلق الله تبارك وتعالى الخلق، وسنّ لهم القوانين والسُنن؛ ليتسنى لهم العيش الرغيد والحياة السعيدة، والتي لولا هذه القوانين وتلك السنن لأصبحت عبارة عن غابة يأكل القويُّ فيها الضعيف؛ ولذلك نحن نرى أنّ البشرية عندما تفقد الدين بأيّ حالٍ تكون، وأيّ مصير تنتهي إليه، هذا الإنسان الذي نراه في غاية الدواعي والطف والجمال والحس يتحوّل إلى وحشٍ كاسر، وإلى جبارٍ يقتل الملايين من البشر، كما هو واضحٌ لمن أمعن النظر قليلاً في التأريخ القريب والمعاصر، ومن أهم ما يشدّ الناس بعضهم إلى البعض الآخر هو حالة التكافل والتضامن الاجتماعي، المتمثّل بالصدقات والقروض وغيرها من خيرات ومبرات، مادّية ومعنوية، كزيارة المريض والسؤال عن حاله وغيرها من الأمور الكثيرة، ويعتبر القرض واحداً من أهمّ تلكم التضامنيات الاجتماعية، وقد وردت آيتان في كتاب الله تبارك وتعالى تندب إلى المبادرة إلى القرض بشكل صريح جداً، الآية الأولى ما صدرنا بها الكلام، والآية الثانية قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

ولو أمعنا النظر في هاتين الآيتين لرأينا لطف الله تبارك وتعالى يتجلّى في أعلى مراتبه، حيث نجده يستقرض من العباد وهو الغني المطلق، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «استقرضكم وله خزائن السماوات والأرض وهو الغني الحميد، أراد أن ييلوكم أيكم أحسن عملاً»^(٣).

(١) الحديد: آية ١١.

(٢) البقرة: آية ٢٤٥.

(٣) نهج البلاغة: ج ٢، ص ١١٤.

فكم هو تعبير عجيب حقاً؛ حيث إنّ الله الواهب لكلّ النعم وجميع ذرّات وجودنا هي من بحر فيضه اللامتناهي. وبالإضافة إلى أنّنا عبید له يعبرّ عنا بأننا أصحاب الأموال، ويدعوننا لإقراضه ضمن شروط مغرية، حيث إنّ السائد أنّ الديون العادية تُسترجع بنفس مقاديرها، إلّا أنّه سبحانه - بفضل منّه - يضاعفها لنا بالمئات أحياناً وبالآلاف أحياناً أخرى، وإضافة إلى ذلك فإنّه قد وعدنا بأجر كريم أيضاً، وهو جزاء عظيم لا يعلمه إلّا هو تبارك وتعالى^(١).

ثواب القرض

إقراض المؤمن من المستحبّات الأكيدة خصوصاً لذوي الحاجة منهم؛ لما فيه من قضاء حاجة المؤمن وكشف كربته، وقد روي عن الرسول الأكرم ﷺ الثواب الجزيل في قضاء حاجة المؤمن وتنفيس كربته، فعنه ﷺ أنّه قال: «مَنْ كَشَفَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(٢)، وعنه ﷺ، أنّه قال: «مَنْ أَقْرَضَ مُؤْمِنًا قَرْضًا يَنْتَظِرُ بِهِ مِيسُورَهُ كَانَ مَالُهُ فِي زَكَاةٍ، وَكَانَ هُوَ فِي صَلَاةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى يُوْدِّيَهُ إِلَيْهِ»^(٣)، وعنه ﷺ: «وَمَنْ أَقْرَضَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَقْرَضَهُ وَزَنَ جَبَلٌ أَحَدُ وَجِبَالِ رَضْوَى وَطُورِ سَيْنَاءَ حَسَنَاتٍ، فَإِنْ رَفَقَ بِهِ فِي طَلْبِهِ يَعْبُرُ بِهِ عَلَى الصَّرَاطِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، وَمَنْ شَكِيَ إِلَيْهِ أَخُوهُ الْمُسْلِمَ فَلَمْ يَقْرَضْهُ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَمَنْ مَنَعَ طَالِبًا حَاجَتَهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى

(١) أنظر: تفسير الأمثل: ج ١٨، ص ٣٢.

(٢) المجموع: ج ١٣، ص ١٦٢.

(٣) ثواب الأعمال: ص ١٣٨. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٣٩٠. بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ١٣٩، ح ٤، عن ثواب الأعمال.

قضائها فعليه مثل خطيئة عشار. فقام إليه عوف بن مالك: فقال ما يبلغ خطيئة عشار يا رسول الله؟ فقال: على العشار كل يوم وليلة لعنة الله والملائكة والناس أجمعين^(١)، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من مسلم أقرض مسلماً قرضاً يريد به وجه الله إلا احتسب له أجرها بحساب الصدقة حتى يرجع إليه»^(٢). وعنه عليه السلام أيضاً: «القرض الواحد بشمانية عشر، وإن مات احتسب بها من الزكاة»^(٣)، إلى غير ذلك من الروايات.

الحكم الأولي للقرض

الحكم الأولي للقرض هو الإباحة، كما هو معلوم؛ إذ لم يرد فيه نهي من الشارع يمنع منه، نعم وردت بعض الروايات التي بينت لنا حقائق عن القرض وآثاره، لذلك نحتاج إلى شيء من التفصيل بين الحالات التي يمر بها المكلف، وسنذكر بعض هذه الروايات التي تعرّضت لبيان القرض والدين، فعن رسول الله ﷺ، أنه قال: «إياكم والدين، فإنه همٌّ بالليل وذُلٌّ بالنهار»^(٤)، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «الدين أحد الرقين»^(٥)، وعنه عليه السلام: «كثرة الدين تصير الصادق كاذباً، والمنجز مخلفاً»^(٦)، بل في بعض الروايات جعله الرسول الأكرم ﷺ عدلاً للكفر، حيث قال: «أعوذ بالله من الكفر والدين». قيل: يا رسول الله، أيعدل الدين بالكفر؟! فقال عليه السلام: نعم»^(٧).

(١) ثواب الأعمال: ص ٢٨٩.

(٢) المصدر السابق: ص ١٣٨.

(٣) المصدر السابق، عنه بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ١٣٩، ح ٧.

(٤) علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٢٧، ح ١، عنه بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ١٤١، ح ٤.

(٥) ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٩٥٨، عن غرر الحكم: ١٦٨٧، ٧١٠٥.

(٦) المصدر السابق.

(٧) الخصال: ص ٤٤، ح ٣٩، عنه بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ١٤١، ح ٢. مسند أحمد: ج ٣، ص ٣٨.

السنن الكبرى (النسائي): ج ٤، ص ٤٥٣، ح ٧٩٠٨.

وفي بعض النصوص أن رسول الله ﷺ ترك الصلاة على شخص مات وعليه دينٌ حتى ضمنه عنه أحدهم، كما روى معاوية بن وهب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إِنَّهُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنَانِ دَيْنًا فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ. حَتَّى ضَمِنَهُمَا [عَنْهُ] بَعْضُ قَرَابَتِهِ! فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: ذَلِكَ الْحَقُّ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِيَتَّعِظُوا، وَلِيُرَدَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلِتَلَّا يَسْتَخْفُوا بِالْدِّينِ، وَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، وَمَاتَ الْحَسَنُ عليه السلام وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، وَقُتِلَ الْحُسَيْنُ عليه السلام وَعَلَيْهِ دَيْنٌ»^(١).

وفي بعض النصوص أن خُفَّةَ الدِّينِ زيادة في العمر، كما روي عن إمامنا الصادق عليه السلام، أَنَّهُ قَالَ: «خَفَّفُوا الدِّينَ، فَإِنَّ فِي خُفَّةِ الدِّينِ زِيَادَةَ الْعُمُرِ»^(٢).

والنتيجة موافقة للروايات المروية في أَنَّ الهمَّ نصف الهرم، مثل ما روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أَنَّهُ قَالَ: «الْهَمُّ نَصْفُ الْهَرَمِ»^(٣)، وقد تقدَّم عن الرسول الأكرم ﷺ، أَنَّهُ وَصَفَ الدِّينَ بِأَنَّهُ هَمٌّ فِي اللَّيْلِ!

جواز الاستدانة مع الحاجة

ما تقدَّم كان الحديث فيه عن الحكم الأولي للدِّين، لكن وردت رخصة في القرض والدِّين لأجل أن يعود على عياله، أو مع الحاجة عموماً، كما روي عن إمامنا الكاظم عليه السلام، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ طَلَبَ هَذَا الرِّزْقَ مِنْ حَلَّةٍ لِيَعُودَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ

(١) الكافي: ج ٥، ص ٩٣، ح ٢. مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٣، ص ١٨٢، ح ٣٦٨٣. حلية الأبرار: ج ١، ص ٣٨٣، ح ٢١.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦٦٧، ح ٣.

(٣) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٣٤، رقم ١٤٣. الخصال: ص ٦٣٠، حديث الأربعمائة. بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٩٩، والحديث مشهور.

الله ﷻ، فإن غلب عليه فليستدن على الله وعلى رسوله ﷺ ما يقوت به عياله»^(١).
وهذا التفصيل هو ما أفتى على طبقه الفقهاء، قال السيد الخوئي رحمه الله: «يكره الدين مع القدرة، ولو استدان، وجبت نية القضاء، والإقراض أفضل من الصدقة»^(٢).
وقال السيد السيستاني (دام ظله الشريف): «إقراض المؤمنين من المستحبات الأكيدة، لا سيما لذوي الحاجات منهم، وأما الإقراض فهو مكروه مع عدم الحاجة، وتخف كراهته مع الحاجة، وكلما خفت الحاجة اشتدت الكراهة، وكلما اشتدت خفت إلى أن تزول»^(٣).

الحث على كتابة الدين

ولأجل حفظ حق الإنسان الذي جادت نفسه بتقديم ماله قرضاً للآخرين، لتسهيل أمورهم وتمشية أحوالهم، أرشدنا الله تبارك وتعالى على الطريق الذي يمكن لنا أن نحفظ به أموالنا، وذلك عن طريق الكتابة، حيث يقول عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾^(٤).

بل حذر رسول الله ﷺ من عدم الكتابة، وعدَّ صاحب الدين الذي لم يكتب دينه من الذين لا يُستجاب لهم دعاؤهم، كما روي عنه عليه السلام، أنه قال: «أصناف لا يُستجاب لهم، منهم من أدان رجلاً ديناً إلى أجل، فلم يكتب عليه كتاباً، ولم يشهد عليه شهوداً»^(٥).

(١) الكافي: ج ٥، ص ٩٣، ح ٣. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٨٤، ح ٦.

(٢) منهاج الصالحين: ج ٢، ص ١٦٩، مسألة ٧٨٨.

(٣) المسائل المتخبة: ص ٣٤١.

(٤) البقرة: آية ٢٨٢.

(٥) قرب الإسناد: ص ٧٩، ح ٢٥٨، عنه بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٣٥٥، ح ٣.

وجعله الإمام الصادق عليه السلام من الذين ذهب ما لهم من غير أجر، حيث قال عليه السلام: «مَنْ ذَهَبَ حَقُّهُ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ لَمْ يُؤْجَرْ»^(١).

النهي عن الماظة في الدين

وللأسف الشديد نجد الكثير من المؤمنين مَن بذل ماله راجياً لثواب الله تبارك وتعالى، وخائفاً من سؤاله في يوم القيامة عن تقصيره تجاه أخيه المؤمن، ابتلى بمسألة الدين الذي يماطل فيه المقترض، بل لعلك لا تجد أحداً إلا وله قصّة في ذلك، فالبعض من الناس إذا أراد منك الدين بدأ معك بالدين والرقّة، والاتّصال المستمرّ، والسؤال الممل، حتى إذا استقرّ المال بين يديه، نسي ما كان عليه، فتبدأ الشهور والأيام والسنوات تمضي وأنت تنتظر الفرج، والبعض منهم لا يرد على اتصالاتك ولا يسلم عليك ولا يريك وجهه، فيقطع بذلك سبيل المعروف عن الغير، ويسقط نفسه في هاوية غضب الرحمن، ونماذج ذلك كثيرة يطول بها المقام، والحديث عنها ذو شجون، خصوصاً مع ترك صاحب المال للوثيقة والكتابة، والحال أنّه من المفترض أن يقدر المقترض ذلك، ويقول في نفسه: لن أخيب ظنّه بي، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِيَ مِنْهُ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾^(٢).

«أي وثق واعتمد بعض الدائنين على بعض المدينين، بأن لا يحجده ولا ينقصه ولا يناقصه، واستغنى بأمانته عن الكتابة والشهادة والارتهان» ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِيَ مِنْهُ أَمْنَتَهُ﴾، أي دينه، سمّاها أمانة مع كونه ثابتاً في ذمّته ومضموناً عليه لائتمانه عليه بدون الكتابة والإشهاد

(١) الكافي: ج ٥، ص ٢٩٨، ح ٣. عنه التفسير الصافي: ج ١، ص ٣٠٧. وتفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٣٠٠، ح ١١٩٧.

(٢) آل عمران: آية ٥٧.

والارتهان. والمراد بأدائه إليه إعطاؤه إياه، وإيصاله إليه بغير جحود يحتاج إلى الإثبات عند الحاكم، ولا ينقص منه شيئاً، ويدفعه إليه في محله من غير مطل وتسويق^(١).
وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ يَمُطِلْ عَلَى ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَدَاءِ حَقِّهِ فَعَلَيْهِ كُلُّ يَوْمٍ خَطِيئَةٌ عَشَارٌ»^(٢).

وعنه عليه السلام، أنه قال: «الدَّيْنِ عَلَى ثَلَاثَةِ وُجُوهِ: رَجُلٌ إِذَا كَانَ لَهُ فَأَنْظِرْ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْهِ أَعْطَى وَلَمْ يَاطَلْ، فَذَلِكَ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ. وَرَجُلٌ إِذَا كَانَ لَهُ اسْتَوْفَى، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَوْفَى، فَذَلِكَ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ. وَرَجُلٌ إِذَا كَانَ لَهُ اسْتَوْفَى وَإِذَا كَانَ عَلَيْهِ مَطْلٌ، فَذَلِكَ عَلَيْهِ وَلَا لَهُ»^(٣).

بل عدَّ الرسول الأكرم ﷺ المماطل بالدين من الظلمة، حيث قال عليه السلام: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»^(٤). ونحن نعي ما معنى كونه من الظلمة، يعني من الذين لا يحبهم الله، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٥)، ولهم عذابٌ أليم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٦).

ومن الطبيعي جداً أن القرض ليس لله تبارك وتعالى؛ لأنَّه الغني المطلق، لكن الغاية منه تكميل نفوس البشر، وتقوية صلتهم به ﷺ، أو لتوثيق الصلة بالإمام عليه السلام، كما روى الشيخ الكليني رحمه الله «عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، قَالَ: نَزَلَتْ فِي صَلَاةِ

(١) مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام: ج ٣، ص ٧٦.

(٢) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٤، ص ١٦. أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥١٧، عنه بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ١٤٦، ح ٣.

(٣) الخصال: ص ٩٠، ح ٢٩.

(٤) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٤، ص ٣٨٠، ح ٥٨١٩.

(٥) آل عمران: آية ٥٧.

(٦) إبراهيم: آية ٢٢.

الإمام^(١)، وبلا شك أنّ صلة الإمام^(عليه السلام) من أفضل الصلوات، كما روي عن إمامنا أبي عبد الله الصادق^(عليه السلام) أنّه قال: «دِرْهَمٌ يُوصَلُ بِهِ الْإِمَامُ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِي أَلْفِ دِرْهَمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنْ وَجُوهِ الْبِرِّ»^(٢).

وغاية الإمام^(عليه السلام) تطهير نفوسنا، كما روي صريحاً عن ابن بُكَيْرٍ، قال: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ^(عليه السلام) يَقُولُ: إِنِّي لَأَخْذُ مِنْ أَحَدِكُمْ الدَّرْهَمَ، وَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَا لَا مَا أُرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنْ تُطَهَّرُوا»^(٣).

وهكذا هي مهمّة الإمام المعصوم^(عليه السلام) على امتداد العصور تطهير نفوس الناس، ولكنّ الأُمَّة بدل الاستفادة من هذه الطاقات التي تحملها جنابات المعصوم^(عليه السلام) نراهم قد أبادوهم عن جديد الأرض، فلا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

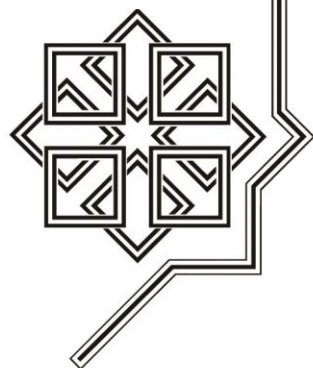
(١) الكافي: ج ١، ص ٥٣٧، ح ٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٣٨، ح ٦.

(٣) المصدر السابق: ح ٧.

الحاضرة العربية البصرة

سيرة الإمام الصادق عليه السلام



قال عبد الله بن المبارك بحق الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

أنت يا جعفرُ فوقَ الـ	مدح والمدحُ عناء
إنَّما الأشرافُ أرضُ	ولهم أنتَ سماء
جازَ حدَّ المدحِ مَنْ	قد ولدته الأنبياء ^(١) .

كُلُّ مَنْ يريد أن يبحث عن شخصية العظماء يجد صعوبةً في أي طرف سيقع حديثه، لكن لما يجد ما يعتذر به فسيعتذر، فمثلاً هذه الأبيات تشكّل طريقاً للاعتذار؛ حيث إن هذا الرجل، عبد الله بن المبارك، قالها بحق الإمام الصادق عليه السلام، مبيّناً حقيقةً لم يختلف فيها اثنان، وهي أن الإمام الصادق عليه السلام في غاية العظمة، لذلك سنمرّ ببعض ما يبيّن تلك العظمة.

ولادته ووالداه

اليوم الذي ولد فيه الإمام الصادق عليه السلام هو ١٧ ربيع الأول سنة ٨٣ هـ، وهو اليوم الذي ولد فيه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وهو يوم عظيم البركة، وكان العلماء - قديماً وحديثاً - يعظمون هذا اليوم ويحترمون، وورد ثوابٌ عظيمٌ في صومه^(٢).
اسمه الكريم: جعفر، وكنيته: أبو عبد الله، ومن ألقابه: الصابر، والفاضل، والطاهر، والصادق، وأشهر ألقابه اللقب الأخير^(٣).

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٣٩٧.

(٢) أنظر: الروضة البهية: ج ٢، ص ١٣٤.

(٣) أنظر: منتهى الآمال: ج ٢، ص ١٨٩.

والده: الإمام الباقر عليه السلام، ووالدته: أم فروة، واسمها فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، قال عنها الإمام عليه السلام نفسه: «كَانَتْ أُمِّي مِمَّنْ آمَنْتُ وَاتَّقَتْ وَأَحْسَنْتُ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. قَالَ: وَقَالَتْ أُمِّي: قَالَ أَبِي: يَا أُمَّ فَرْوَةَ، إِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ لِمُذْنِبِي شَيْعَتَنَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَ مَرَّةٍ؛ لَأَنَا نَحْنُ فِيمَا يُتَوَبُّنَا مِنَ الرَّزَايَا نَصْبِرُ عَلَى مَا نَعْلَمُ مِنَ الثَّوَابِ، وَهُمْ يَصْبِرُونَ عَلَى مَا لَا يَعْلَمُونَ»^(١).

وكانت على علم غزير، فقد روي عن داود بن فرقد عن عبد الأعلى، قال: «رَأَيْتُ أُمَّ فَرْوَةَ تَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ عَلَيْهَا كِسَاءٌ مُتَنَكَّرَةٌ، فَاسْتَلَمَتِ الْحَجَرَ بِيَدِهَا الْيُسْرَى، فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ مِمَّنْ يَطُوفُ: يَا أَمَةَ اللَّهِ، أَخْطَأْتَ السُّنَّةَ! فَقَالَتْ: إِنَّا لَأَغْنِيَاءُ عَنْ عِلْمِكَ»^(٢).

مدرسة الإمام الصادق عليه السلام

انتشر ذكر مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في جميع الأقطار، فأصبحت جامعة إسلامية كبرى تقصدها وفود الأمصار، حتى كان عدد المتيمين إليها أربعة آلاف كلهم من حملة الحديث^(٣).

ولهذه المدرسة مميزات عديدة، منها:

١- إنهم من أقطار شتّى، من العراق ومن مصر، وخراسان، وحمص والشام، وحضرموت، وهذا عامل مهم في نشر العلوم الدينية في شتّى بقاع العالم، وفي هذا المجال يقول ابن حجر في الصواعق: «ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان»^(٤).

(١) الكافي: ج ١، ص ٤٧٢، ح ١.

(٢) الكافي: ج ٤، ص ٤٢٨، ح ٦.

(٣) أنظر: المعتبر: ج ١، ص ٢٦.

(٤) الصواعق المحرقة: ص ٢٠١.

٢- إنهم جمعٌ غفيرٌ وعددٌ كثيرٌ، حتى وصلوا لأربعة آلاف طالب، وبلا شك كلما كان العدد كثيراً، فإنه يوجب احتمال خروج الثلة النافعة من هذا العدد، كما هو الحال في الزراعة والتجارة وغيرها.

٣- إن الإمام عليه السلام اختص بجماعةٍ من طلبة الشيعة، وأنّ عددهم أربعمئة طالب، الذين كتبوا لنا الأصول الأربعمئة، وقد جُمعت هذه الأصول بعناية فائقة - من قِبَل جهابذة الفن، وعلماء الطائفة الذين هم في قمة التقوى والعظمة - بالكتب الأربعمئة، مثل الشيخ الكليني رحمه الله، محمد بن يعقوب، صاحب كتاب الكافي الشريف، المتوفى سنة ٣٢٩هـ، والشيخ الصدوق، محمد بن بابويه القمي رحمه الله، صاحب كتاب مَنْ لا يحضره الفقيه، المتوفى سنة ٣٨٠ أو ٣٨١هـ، وشيخ الطائفة الطوسي رحمه الله المتوفى سنة ٤٦٠هـ، صاحب كتابي التهذيب والاستبصار.

٤- تركيز الإمام على الاختصاص، وهي نقطة مهمّة؛ لأنّ العلوم كثيرة متشعبة، والعمر قصير، فلا يتمكن أحدٌ ولا يتسنى لبشرٍ أن يحيط بهذه العلوم عن طريق التعلّم والدراسة. نعم، قد يتوصّل لذلك بالطريق الإعجازي، لكنه من المعلوم محصور بأنبياء الله وأوصيائه، فجعلهم بهذا الترتيب:

١- أبان بن تغلب للفقهاء.

٢- زرارة بن أعين للمناظرة في الفقه.

٣- حمران بن أعين لعلوم القرآن.

٤- مؤمن الطاق للمساجلة في الكلام، وهو أبو جعفر، محمد بن علي بن النعمان، كان يُلقّب بالأحول، والمخالفون يلقّبونه شيطان الطاق، دكانه في طاق المحامل بالكوفة، يُرجع

إليه في النقد^(١)، «قال أبو حنيفة لمؤمن الطاق بحضرة المهدي لما توفي الإمام الصادق عليه السلام: قد مات إمامك، فقال الطاقى: إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت. فضحك المهدي وأمر له بعشرة آلاف درهم»^(٢).

٥- هشام بن الحكم للمناظرة في الإمامة والعقائد، سمعه الرشيد في بعض مجالس يحيى بن برمك، وكان يحضرها من وراء ستر، فقال: «إنّ لسان هشام أوقع في نفوس الناس من ألف سيف»، ولمّا فتك الرشيد بالبرامكة طلب هشاماً فاختنفى. فأخذ به خلقاً كثيراً، ثم أطلقهم بعد أن مات هشام مستتراً. ولم تكن مجالس المناظرات خالية من الخطر، «يسأل هشاماً سائلٌ ذات يوم: أما علمت أنّ علياً نازع العباس (جدّ الرشيد) إلى أبي بكر؟ فأبهما كان الظالم لصاحبه؟ قال هشام فيما بعد: قلت في نفسي إن قلت: العباس. بلغ ذلك الرشيد، وإن قلت: علياً. ناقضت نفسي. قال هشام: لم يكن فيهما ظالم. قال السائل: أفيختصم اثنان.. وهما محقّان!! قال هشام: نعم اختصم الملكان إلى داود، وليس فيهما ظالم. وإنّما أرادا أن ينبهاه. كذلك اختصم هذان إلى أبي بكر ليعلماه ظلمه. فهو ينجو من المزالق»^(٣).

تأكيد الإمام الصادق عليه السلام على الربط بين ما يمرّ به يومياً وبين ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فتلاحظه يشرب الماء يتذكّر الإمام الحسين عليه السلام، كما روي لنا عن داود الرقي، قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذا استسقى الماء، فلمّا شربه رأيته قد استعبر واغرورت عيناه بدموعه، ثمّ قال لي: يا داود، لعن الله قاتل الحسين عليه السلام، فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلّا كتب الله له مائة ألف حسنة، وحوطّ عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف

(١) أنظر: فهرست أسماء مصنفى الشيعة (رجال النجاشي): ص ٣٢٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٣٩٧.

(٣) الإمام الصادق عليه السلام لعبد الحليم الجندي: ص ٢٢٢.

درجة، وكأنّما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد»^(١).

لهذا وغيره كان هارون العباسي، ومن بعده المنصور العباسي شديد العداوة لآل محمد، فقد تتبّع آثارهم وقتل كثيراً منهم، وبنى آخرين منهم في الأسطوانات لئلاّ بنى عاصمته بغداد، وأباد كثيراً من أبناء الحسن عليه السلام^(٢)، وكان يقول: «لقد هلك من أولاد فاطمة مقدار مائة أو يزيدون، وقد بقي سيّدهم وإمامهم! فقيل له: مَنْ ذلك؟ قال: جعفر بن محمد الصادق»^(٣).

وكان يبعث جلاوزته على الإمام الصادق عليه السلام فيؤتى به إلى العراق، وفي كلّ مرّة يهّم بقتله، ولكن الله كان يحول بينه وبين قتل الإمام عليه السلام. وبلغ من حقه أنّه أمر عامله على المدينة محمد بن سليمان أن يحرق على أبي عبد الله الصادق عليه السلام داره، فجاء هو وجماعته بالخطب الجزل، ووضعوه على باب الدار وأضرموه بالنار، فلمّا أخذت النار ما في الدهليز تصايحت العلويات داخل الدار وارتفعت أصواتهن، فخرج الإمام الصادق عليه السلام وعليه قميص وإزار، وفي رجله نعلان، وجعل يحمد النار ويطفئ الحريق وهو يقول: «أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن أعراق الثرى، وأنا ابن إبراهيم خليل الله عليه السلام»^(٤) حتى أخذ النار، فلمّا كان الغد دخل عليه بعض شيعة يسألونه فوجدوه حزيناً باكياً، فقالوا: ممّن هذا التأثير والبكاء أمن جرة القوم عليكم أهل البيت وليس منهم بأول مرّة؟! ليست هذه المرّة الأولى التي تحرق فيها دوركم.

فقال الإمام عليه السلام: «اعلموا أنّه لَمّا أخذت النار ما في الدهليز نظرت إلى نسائي وبناتي

(١) كامل الزيارات: ص ٢١٣، ح ١.

(٢) أنظر: عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٠٢.

(٣) مهج الدعوات: ص ١٨.

(٤) نوادر المعجزات: ص ١٥٣-١٥٤.

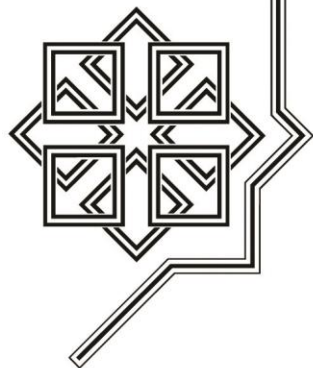
يتراکضن فی الدار من حجرة إلى حجرة، ومن مكان إلى مكان، هذا وأنا معهم، فتذکرت
روعة عیال جدّی الحسین عليه السلام يوم عاشوراء!! لما هجم القوم علیهن والمنادی ینادی:
أحرقوا بیوت الظالمین».

عکب ما فرهدوا ذیج الصواوین	شبو نارهم بخيام الحسین
او طلعت هایمه ذیک النساوین	یتاماها اتعثر ما بین الصخور ^(١) .

(١) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ٤، ص ٢١٨-٢١٩.

الحافظة العربية الخامسة
١٩٦٢

المدح والثناء وآثارهما



قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

قد يقوم بعض الناس عموماً، والمؤمنون على نحو الخصوص ببعض الأعمال التي يحسبون أنها من الحسن، ولكنها بحسب الشرع ليست كذلك، وقد أفسدوا بعملهم هذا أكثر مما أصلحوا، ومن هذا القليل استعمال كلمات المدح والثناء لبعض الناس في غير محلها من باب المجاملات، وهناك آثار سيئة تترتب على هذا الفعل، قد يكون الفاعل له شريكاً له في ارتكاب هذه المعاصي بنحو ما، ومن هذه الأفعال والأعمال التي يقوم بها البعض من حيث لا يعلمون بآثارها السيئة المدح والثناء في غير محله، فمن هنا صار من اللازم التعرّف على ذلك بحسب ما وردنا من بيان الشارع المقدّس له.

سبب نزول الآية

ذكر المحدثون والمفسّرون أسباباً عديدة لنزول هذه الآية:
منها: أنّ اليهود كانوا يفرحون لما يقومون به من تحريف لآيات الكتب السماوية وكتمان حقائقها؛ ظناً منهم بأنهم يحصلون من وراء ذلك على نتيجة، وفي الوقت نفسه كانوا يحبّون أن ينسبهم الناس إلى العلم، ويعتبرونهم من حماة الدين، فنزلت هذه الآية تردّ على تصورهم الخاطيء هذا.

ومنها: ما قاله آخرون من إنّها نزلت في شأن المنافقين؛ لأنّهم كانوا يجمعون ويتفقون على التخلف عن الجهاد مع رسول الله ﷺ إذا نشبت حرب من الحروب الإسلامية، متذرّعين لذلك بمختلف المعاذير والحجج، فإذا عاد المجاهدون من القتال اعتذروا،

(١) آل عمران: آية ١٨٨.

وحلفوا لهم بأنهم كانوا يودّون المشاركة لولا بعض الأعذار، وأحبّوا بالتالي أن يُقبل منهم العذر، ويحمدوا بما ليسوا عليه من الإيمان، وبما لم يفعلوه من أفعال المجاهدين الصادقين، فنزلت هذه الآية تردّ على هذا التوقع غير المبرر وغير الوجيه^(١).

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري: «إنّ رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الغزو تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإذا قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت»^(٢).

التحذير من المدح والمداحين

لا ريب في أنّ مدح المؤمن في غيبته وحضوره ممدوح مندوب إليه؛ لكونه إدخالاً للسرور عليه، وقد علم مدحه وثوابه، ولما ورد من أنّ رسول الله ﷺ أثنى على أصحابه، وأنّه قال لجماعة - لما أثنوا على بعض الموتى -: «وجبت لكم الجنة، وأنتم شهداء الله في الأرض»^(٣).

ولكنّه ليس راجحاً مندوباً على الإطلاق، بل إذا سلم من آفاته، وهي أن يكون صدقاً لا يفرط المادح فيه، بحيث ينتهي إلى الكذب، وألا يكون المادح فيه مرئياً منافقاً، بأن يكون غرضه إظهار الحبّ مع عدم كونه محبّاً في الواقع، سواء كان صادقاً فيما ينسبه إليه من المدح أم لا^(٤).

(١) أنظر: تفسير الأمثل: ج ٣، ص ٤٣.

(٢) صحيح البخاري: ج ٥، ص ١٧٤.

(٣) جامع السعادات: ج ٢، ص ٢٤٤، ولم أعثر عليه في غيره.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٤٤.

وقد حذرت الروايات الشريفة من الإغراق في المدح والثناء؛ وذلك لما يترتب عليه من مساوئ، فإن كان ولا بدّ، فعلينا الاختصار في ذلك؛ فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إذا مدحت فاختصر، إذا ذمت فاقصر»^(١)، وعنه عليه السلام: «أكبر الحمق الإغراق في المدح والذم»^(٢)، وعنه عليه السلام قال: «احترسوا من سورة الإطراء والمدح؛ فإنّ لهما ريحاً خبيثة في القلب»^(٣).

وعن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «إياكم والمدح؛ فإنّه الذبح»^(٤)، وعنه عليه السلام: «لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف، كان خيراً له من أن يثني عليه في وجهه»^(٥).
وعنه عليه السلام: «إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقة موسى»^(٦).

الآثار السيئة المترتبة على المدح

وقد يترتب على المدح آثار سلبية، نذكر منها:

- ١- أن يكون الإنسان مضيّعاً للإنصاف، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «قلّما ينصف اللسان في نشر قبيح أو إحسان»^(٧).
- ٢- الخداع للعقول والاستخفاف بالنفوس؛ ممّا يجعل الممدوح بجانب الحقيقة والواقع، فعنه عليه السلام أيضاً: «إنّ مادحك لخادعٌ لعقلك، غاشٌّ لك في نفسك بكاذب الإطراء

(١) عيون المواعظ والحكم: ص ١٣٣.

(٢) المصدر السابق: ص ١١٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٩٢.

(٤) مسند أحمد: ج ٤، ص ٩٩.

(٥) إحياء علوم الدين: ج ٩، ص ٨١.

(٦) المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء: ج ٥، ص ٢٨٣.

(٧) عيون المواعظ والحكم: ص ٣٦٩.

وزور الثناء، فإن حرمته نوالك أو منعه إفضالك وسمك بكل فضيحة، ونسبك إلى كل قبيحة»^(١).

كيف نتعامل مع المدّاحين

وقد يسأل بعض المؤمنين عن الكيفية التي نتمكّن بها من التخلص من المدح والثناء، فلعلّه لا يخلو أحدٌ منّا إلّا وتعرّض للمدح من قِبَل الآخرين، وقد يكون الكثير منهم غير مبالغ في مدحه وثنائه، بل وصادقٌ أيضاً، ولكن لكون المدح والإطراء يؤثّر على ذات الممدوح وشخصه، حدّرت منه الشريعة المقدّسة، وأنّه يؤثّر في عدم فلاح الممدوح، فقد روي أنّ رجلاً مدح رجلاً عند النبي ﷺ، فقال: «ويحك! قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح»، ثمّ قال: «إن كان لا بدّ أحدكم مادحاً أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلاناً، ولا أركي على الله أحداً، حسبي الله، إن كان يرى أنّه كذلك»^(٢).

جاء رجل فأتى على عثمان في وجهه، فأخذ المقداد بن الأسود تراباً فحثا في وجهه، وقال: قال رسول الله ﷺ: «إذا لقيتم المدّاحين، فاحثوا في وجوههم التراب»^(٣). قال الخطابي: «المدّاحون هم الذين اتّخذوا مدح الناس عادةً، وجعلوه بضاعةً يستأكلون به الممدوح ويفتنونه. فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن ترغيباً له في أمثاله، وتحريضاً للناس على الاقتداء به في أشباهه، فليس بمدّاح»^(٤).

تقول أمّ العلاء: «لما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه قلت: رحمة الله عليك أبا السائب،

(١) المصدر السابق: ص ١٥٨.

(٢) الصمت وآداب اللسان: ص ٢٧٧، ح ٥٣٩.

(٣) سنن أبي داود: ج ٢، ص ٤٣٧، ح ٤٨٠٤.

(٤) عون المعبود: ج ١٣، ص ١١٠.

شهادتي عليك لقد أكرمك الله، قال رسول الله ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمهُ؟! أمّا هو فقد جاءه اليقين من ربّه وإنّي لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم. قالت أمّ العلاء: فوالله، ما أزكي بعده أحداً^(١).

ذمّ الاغترار بالمدح

وقد يصيبنا نحن البشر الاغترار بالمدح والثناء، لكن علينا أن نجاهد أنفسنا ونراقبها جيداً، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أيّها الناس، اعلموا أنّه ليس بعقل من انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه»^(٢).
وعنه عليه السلام أنّه قال: «أجهل الناس المغترّ بقول ممدح متملّق، يحسن له القبيح، ويبغض إليه النصيح»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تغترّ بقول الجاهل ولا بمدحه، فتكبر وتجب وتعجب بعملك، فإنّ أفضل العمل العبادة والتواضع»^(٤).

في جواب المادح

ثمّ أنّ الكثير منّا يتعرّض للمدح والثناء، فما هو الأسلوب النافع في المقام؟ هناك روايات شريفة أشارت إلى الأسلوب الناجع في مواجهة المدح والثناء؛ لكي لا تتحقّق الآثار السيئة المترتبة على المدح والثناء، نذكر منها:

١- نهي المادح عن إكمال مدحه في المقام، ولكن بأسلوب مهذب ليّن؛ حتى لا يقع

(١) صحيح البخاري: ج ٢، ص ٧١.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٥٠، ح ١٤.

(٣) عيون المواعظ والحكم: ص ١٢٣.

(٤) تحف العقول: ص ٣٠٤.

المادح في الإهانة، فقد قال رسول الله ﷺ - للأسود بن سريع وقد قال شعراً في الثناء على الله ومدح النبي ﷺ -: «أما ما أثبت فيه على الله فهاته، وأما ما مدحتني فيه فدعه»^(١).

٢- تشكيك المادح بصحة ما يقوله في قبال الواقع عند الله تبارك وتعالى، كما صنع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما مدحه قوم في وجهه، حيث قال لهم: «اللهم إنك أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلنا خيراً ممّا يظنون، واغفر لنا ما لا يعلمون»^(٢). وقوله الآخر عليه السلام في وصف المتقين: «إذا زُكي أحدٌ منهم خاف ممّا يُقال له، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم بي مني بنفسي»^(٣).

مدح الرجل بما ليس فيه

ومن المشاكل الكبيرة التي يقع فيها معتاد مدح الآخرين هو أن يمدح الناس بما ليس فيهم، فهو مضافاً إلى كونه من الكذب الصريح، يكون نوعاً من الاستهزاء بالمدح، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مادح الرجل بما ليس فيه مستهزئ به»^(٤)، وعنه عليه السلام أنّه قال: «مَن أثنى عليه بما ليس فيه سخر به»^(٥)، وعنه عليه السلام: «مَن مدحك بما ليس فيك فهو خليقٌ أن يذمك بما ليس فيك»^(٦).

وعن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «يا ابن مسعود، إذا مدحك الناس فقالوا: إنك تصوم النهار وتقوم الليل، وأنت على غير ذلك، فلا تفرح بذلك؛ فإنّ الله تعالى يقول:

(١) كنز العمال: ج ٣، ص ٥٧٩، ح ٧٩٨٧.

(٢) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٢٢، ح ١٠٠.

(٣) نهج البلاغة: ج ٢، ص ١٦٢-١٦٣، ضمن الخطبة ١٩٣ (خطبة المتقين).

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٨٩.

(٥) موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام: ج ١٠، ص ١٨٦، ح ١٧، عن غرر الحكم: ح ٨٨٣١.

(٦) عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٤٠.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لملك الأشتر - حين ولّاه مصر -: «الصدق بأهل الورع والصدق، ثم رضهم على ألا يطروك، ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو، وتدني من العزة»^(٢).

ذمّ الفرح بالمدح

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي: «إن مُدحت فلا تفرح، وإن دُمت فلا تجزع، وفكر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله (جلّ وعزّ) عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبةً ممّا خفت من سقوطك من أعين الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك فتوابٌ اكتسبته من غير أن يتعب بدنك، واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا: إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا: إنك رجل صالح لم يسرك ذلك، ولكن أعرض نفسك على كتاب الله، فإن كنت سالكاً سبيله، زاهداً في تزيده، راغباً في ترغيه، خائفاً من تخويفه، فائتبت وأبشر؛ فإنه لا يضرّك ما قيل فيك، وإن كنت مبائناً للقرآن فماذا الذي يغرك من نفسك»^(٣).

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «لا يصير العبد عبداً خالصاً لله تعالى حتى يصير المدح والذم عنده سواء؛ لأنّ المدح عند الله لا يصير مذموماً بذهمهم، وكذلك

(١) مكارم الأخلاق: ص ٤٥٤.

(٢) نهج البلاغة: ج ٣، ص ٨٨، ضمن العهد رقم (٥٣).

(٣) تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام: ص ٢٨٤.

المذموم، ولا تفرح بمدح أحد؛ فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ فِي مَنْزِلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا يَغْنِيكَ عَنِ الْمَحْكُومِ لَكَ وَالْمَقْدُورِ عَلَيْكَ، وَلَا تَحْزَنُ أَيْضاً بِذَمِّ أَحَدٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْقُصُ عَنْكَ ذَرَّةً^(١).

التحذير من مدح الفاجر

ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يَقَعُ الْمَادِحُ أحياناً كثيرة في أن يمدح الفاجرين والفساقين وأهل الظلم والجور، وقد غفل عن غضب الله تعالى وسخطه في فعله هذا، وقد ارتكب أكبر الأوزار وأقبح الأفعال، فعن الرسول الأكرم ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَغْضَبُ إِذَا مُدِحَ الْفَاسِقُ»^(٢).
وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَقْبَحَ الْمَذَامِ مَدْحُ اللَّئَامِ»^(٣).
وعنه عليه السلام: «أكبر الأوزار تزكية الأشرار»^(٤).

ومن الأشرار مَنْ تَعَدَّى حُكْمَ الْكُفَّارِ، أَمْثَالُ قَتْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ، وَأَهْلِ بَيْتِ الْعَصْمَةِ وَالطَّهَارَةِ ﷺ، أَمْثَالُ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ الَّذِينَ قَتَلُوهُمْ تَحْتَ كُلِّ حَجَرٍ وَمَدْرٍ.

(١) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٩٤، ح ٣.

(٢) المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء: ج ٣، ص ٢٦٢.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٦٧.

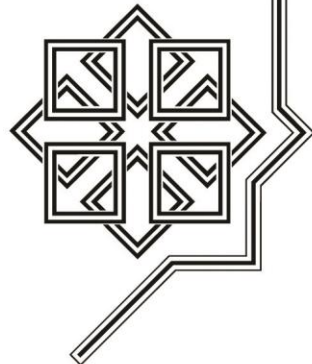
(٤) المصدر السابق: ص ١١٨.

الحاخضره العر الساسه



الجهاد:

أهميته، أقسامه



قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).
كلّ متأمل في القرآن الكريم يجد هناك ترابطاً بين مجموعة كبيرة من الآيات الشريفة،
ارتباط بين الأثر والمؤثر، فهناك - مثلاً - ارتباط وثيق بين التقوى وتحصيل العلم، كما قال
تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)، إلى غير ذلك من
الآيات الشريفة.

ومن تلك الآيات الآية الشريفة التي نحن بصدد الوقوف عندها والتعرّض لها بما
يناسب الوقت، هذه الآية الشريفة ربطت بين الجهاد والهداية، بين أن يجاهد الإنسان في الله
تعالى وبين نتيجة مهمّة وهي أن يحصل الهداية الإلهية.

الجهاد لغةً واصطلاحاً

وقبل الشروع في بيان الآية الشريفة، من المستحسن جداً أن نتعرّض لمفردة الجهاد
الذي هو دخیلٌ في تحصيل الهداية؛ لكي نتمكّن من العمل على الاتّصاف به وتحصيله، فما
لم نفهم ماهية الجهاد، لا يمكننا القيام بتحصيله؛ لما هو معلومٌ من أنّ العمل فرع العلم.
قال الجوهری: «قال الفراء: الجُهد بالضم الطاقة. والجُهد بالفتح من قولك: اجهد
جُهدك في هذا الأمر، أي: أبلغ غايتك»^(٣)، وفي تاج العروس: «الجُهد، بالفتح: الطّاقةُ
والوُسْع، ويُضَمّ. والجُهد، بالفتح فقط: المشقّة. قال ابن الأثير: قد تکرّر لفظ الجُهد والجُهد
في الحديث، وهو بالفتح المشقّة، وقيل: المُبالغة والغاية. وبالضّم: الوُسْع والطّاقة، فأما في

(١) العنكبوت: آية ٦٩.

(٢) البقرة: آية ٢٨٢.

(٣) الصحاح: ج ٢، ص ٤٦٠.

المَشَقَّةُ والغَايَةُ فالْفَتْحُ لَا غَيْرُ^(١).

والجهد مأخوذٌ بالكسر من الجهد، فأنت إذا قابلت العدوَّ في تحمُّل الجهد صرت مجاهدًا؛ إذ كلُّ واحد من المتخاصمين يبذل طاقته ويتحمَّل مشقته في دفع صاحبه، وهو ضد النكول، فالنكول الجبن، يُقال: نكل عن العدوَّ ينكل بالضم، أي جبن، والناكل الجبان الضعيف^(٢).

أقسام الجهاد

بعد أن تبَيَّنَ لنا أنَّ الجهاد هو بذل الوسع والطاقة، والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو، فلا بأس أن نتعرَّفَ على الأقسام التي ينقسم إليها الجهاد؛ كي نتمكَّن من بيان ما نحن بصدده، وهو جهاد النفس، وفي هذا المجال يقول الراغب الأصفهاني: «الْجِهَادُ ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾^(٣)، ويمكن أن نسَمِّي مجاهدة الشيطان بـ (مجاهدة الباطن)، في قبال مجاهدة الظاهر، وما يهَمُّنا في هذا المقام هو القسم الأخير، وهو مجاهدة النفس.

جهاد النفس

جهاد مع النفس الأُمارة بالسوء وهذا الصنف أشقُّ وأعظم من جميع الأقسام، كما دلَّت عليه التجربة، ودلَّ عليه ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ بِسَرِيَّةٍ، فَكَلِمَا

(١) تاج العروس: ج ٤، ص ٤٠٧.

(٢) أنظر: شرح أصول الكافي: ج ١، ص ٢٦١.

(٣) مفردات غريب القرآن: ص ٢٠٨.

رَجَعُوا قَالَ: مَرْحَبًا بِقَوْمٍ قَضَوْا الْجِهَادَ الْأَصْغَرَ وَبَقِيَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ! قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ؟ قَالَ جِهَادُ النَّفْسِ^(١).

وعلق عليه بعض الأعلام رحمهم الله بقوله: «ومن نظر في هذا الخبر - الذي نحن في صدد شرحه - حق النظر، وتأمل في كثرة جنود الجهل وكثرة شوكتها وغلبتها في الأكثر حق التأمل، عرف سر كون هذا الجهاد أعظم وأكبر... ولا يبعد أن يُراد بالجهاد هنا جميع هذه الأصناف؛ لأن كل واحد منها من صفات العقلاء، وخواص الأولياء، والصّابرين في البأساء والضراء، الذين غاية مناهم تخلص نفوسهم ونفوس عباد الله عن قيود الهلكات، وأغلال الشبهات، وسلاسل الرّلات، وانتزاعها من أيدي هذه الدُّنيا الغدّارة والأبالسة المكّارة، وسياقتها إلى بساط الحقّ وساحة رحمته ومحلّ كرامته وفناء جتّه، فيدخلون فيها إخواناً على سرر متقابلين، لا يمسّهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين.

وأما النكول عن الجهاد والتقاعد منه فهو من سمات الغافلين، وصفات الجاهلين الذين يسلكون مسالك النفوس الأمّارة، ويختارون راحتها على مشاقها، وهم عن شناعة العقابة جاهلون، ويؤثرون الحياة الدُّنيا على الآخرة وهم عنها غافلون^(٢).

كيف نجاهد أنفسنا؟

كلّ مَنْ يريد أن يتصر على عدوّه يلزمه أن يتصر على نفسه، وكلّ مَنْ يريد أن يعلم غيره عليه أن يبدأ بتعليم نفسه، هذه هي القاعدة التي رسمها لنا الدين، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ، مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ

(١) الكافي: ج ٥، ص ١٢، ح ٣.

(٢) شرح أصول الكافي: ج ١، ص ٢٦٢.

وَمُؤَدِّبِهِمْ»^(١).

وحتى يتحقق لنا الانتصار علينا أن نستعين بالله تبارك وتعالى، ولعلّ التقيد بـ (فيينا) في الآية المباركة يدلّ على أنّ مجاهدة النفس لو لم يكن في الله وفي سبيله لم ينفع، ولا يكون موجِباً للدخول في الجنّة، ولا سبب الهداية إلى الله تعالى وطريقه المستقيم^(٢).

ففرّق بين أن يجاهد العبد في سبيل الله وبين أن يجاهد في الله، فالمجاهد في الأوّل يريد سلامة السبيل ودفع العوائق عنه، بخلاف المجاهد في الثاني، فإنّه إنّما يريد وجه الله، فيمدّه الله سبحانه بالهداية إلى سبيل دون سبيل بحسب استعداده الخاص به، وكذا يمدّه الله تعالى بالهداية إلى السبيل بعد السبيل حتى يختصّه بنفسه جلّت عظمته^(٣).

طرق تحصيل جهاد النفس

هناك عدّة طرق لمساعدة الإنسان على جهاد النفس:

الطريق الأوّل: الأستاذ

وذلك بأن يسعى الإنسان لتحصيل أستاذٍ له في الأخلاق والجهاد، ويسعى سعيّاً حثيثاً لذلك، حتى يحصل على الوصول إلى هدفه بسلام، يقول بعض العلماء الأكابر رحمهم الله: «اتّفاق المشايخ على منع السالك عن السلوك بنفسه من غير شيخٍ كامل، أو إمام، أو نبيّ كان في هذا المقام؛ وذلك لأنّ الشخص مثلاً إذا شرع في السلوك بنفسه لم يخلص هو من مطاوعة النفس وملأمتها، أعني ما يلائمها وما لا يلائمها، وسلوك سبيل الله مبنيّ على مخالفتها دائماً، فكيف يمكن إصابة ذلك الشخص الذي يسلك بنفسه سلوك سبيل الله

(١) نهج البلاغة: ص ٤٨٠، رقم ٧٣.

(٢) أنظر: تفسير البحر المحيط: ج ٤، ص ٢٩٧.

(٣) أنظر: تفسير الميزان: ج ١، ص ٣٥.

وإليه»^(١).

وهناك أساتذة كبار في هذا المجال ممن يستطيع الإنسان الطالب للهداية أن يتنفع بهم، لكن المشكلة تكمن في ندرتهم أولاً، وفي رفضهم وعدم قبولهم لذلك ثانياً؛ ولعلّ السبب يعود إلى أنهم مشغولون بأنفسهم، أو يخافون من السمعة والشهرة والرياء مثلاً، وعلى كلّ حال فتحصيل الأستاذ المربي في هذا الزمان أشبه ما يكون بالمستحيل، لكن هذا لا يمنع من تتبّع دروسهم والحضور في مجالسهم والاستماع إلى محاضراتهم، فهذا أمرٌ يمكن أن يتحقق، وبيسرٍ وسهولة، فمن يسعى لشيءٍ يدركه أو بعضه، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ طَلَبَ شَيْئًا نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ»^(٢).

الطريق الثاني: الكتاب

وإذا لم يتحقق الطريق الأوّل فهناك طريقٌ آخر يمكن لنا أن نستفيد منه إلى حدٍ ما، وهو ليس قليل الشأن، بل شأنه مهم وفائدته عظيمة وملموسة، وهو الكتاب المكتوب لهذا الغرض، فيبدأ الطالب لذلك بمطالعة كتب الأخلاق البسيطة، ثم يتوسّع إلى كتب أخرى، وقد يقرأ بنفسه، وقد يستعين بأستاذٍ يوضّح له بعض المطالب في هذا الكتاب، فيكون أستاذاً وإن كان فاقداً لتحصيل تلك المعاني.

وقد يوفق الطالب لتحصيل أستاذٍ مربيٍّ وعمليٍّ في هذا المجال، إذا جاهد في الله جهاداً حقيقياً، وهناك كتب جيدة في هذا المجال، وهي في متناول الأيدي، ومن هذه الكتب كتاب (الأربعون حديثاً) للإمام الخميني رحمته الله، هذا الكتاب الرائع الذي سمعت عن تأثيره وتأثير مؤلفه رحمته الله أنّ البعض يقول: كان كلام الإمام الخميني رحمته الله يعصمني من الذنوب لمدة

(١) تفسير البحر المحيط: ج ٤، ص ٢٩٧.

(٢) نهج البلاغة: ص ٥٤٤، رقم ٣٨.

أسبوع، وكتاب (جامع السعادات) للشيخ النراقي رحمته الله، وغيرها، خصوصاً إذا كان صاحب الكتاب هو بحدّ ذاته كتاب أخلاق، مثل الشيخ النراقي رحمته الله؛ إذ يُنقل أنّ المرحوم الملا مهدي النراقي - وكان متبحراً في كثير من العلوم وقد ألّف كتابه المذكور في علم الأخلاق وتركه النفس - كان قد أرسل نسخة من كتابه المذكور إلى السيد بحر العلوم رحمته الله في النجف الأشرف، ومن ثمّ سافر بنفسه إلى زيارة العتبات المشرفة ودخل النجف، فجاء العلماء إليه تليلاً لمكانته السامية، إلّا أنّ السيد بحر العلوم امتنع عن المجئ لزيارته، ولم تمض أيام حتى قام المرحوم النراقي رحمته الله بزيارة السيد بحر العلوم، إلّا أنّ السيد لم يعر اهتماماً كبيراً به، ومرةً أخرى قام النراقي بزيارة السيد بحر العلوم في بيته وأمضى معه ساعة من الوقت، وهذه المرة لم تكن بأفضل من سابقتها؛ حيث إنّ بحر العلوم لم يهتم اهتماماً كبيراً بالنراقي، فرجع النراقي إلى منزله، ومرةً أخرى زار النراقي بحر العلوم دون أن يفكر بأنّه لا فائدة مرجوة من اللقاء ببحر العلوم إلى غير ذلك من وساوس الشيطان، وهذه هي المرة الثالثة، فما أن وصل منزل السيد وطلب الاستئذان، حتى خرج إليه بحر العلوم حافياً لاستقباله واحتضنه وقبّله وأدخله المنزل بكلّ احترام وتجليل، وبعد أداء الاحترام قال السيد مخاطباً النراقي: كتبتم كتاباً في الأخلاق وتركه النفس وأهديتمونا نسخةً منه، وأنا قد اطّلت على الكتاب من أوّله إلى آخره بكلّ دقّة وإمعان، والحقّ يُقال: إنّ كتاب يقلّ نظيرة، ومفيد جداً، وأمّا السبب في عدم مجيئي لزيارتكم واستقبالكم منذ ورودكم إلى النجف، وعدم الاهتمام اللائق بشأنكم عند زيارتكم لنا في المنزل، كلّ ذلك قمت به عمداً؛ لأطّلع على أنّك عاملٌ بما كتبت، أو لا!

فظهر لي أنّك في أعلى درجات تركية النفس، وأنت بنفسك كتاب أخلاق، تهدي

الآخرين بأخلاقك، وليس بكتابك فحسب^(١).

ولكن هذا الطريق - طريق الكتاب - لا يخلو من بعض المشاكل، ولعل أهم مشكلة تواجه الإنسان الطالب في هذا الطريق الخطأ في فهم الطالب، وتوهم الاتّصاف ببعض المقامات، إلى غيرها من المشاكل.

الطريق الثالث: الصديق

الطريق الثالث لتحصيل المجاهدة هو الصديق، فالصديق له التأثير الكبير، ولا يتصور البعض منّا أنّ تأثير الصديق منحصرٌ بزمانٍ ما أو فترة تمرُّ علينا، فهذا تصوّرٌ غير صحيح؛ بل الأمر ليس كذلك، فللصديق تأثيرٌ حتى على مَنْ بلغ الأربعين أو أكثر من عمره، فكم من طالب علمٍ أهمل الجانب الروحي والعبادي، ولم يهتم بمواقيت الصلاة، ولا بتحصيل الأذكار، ولا المداومة على الطهارة، ولا غيرها من أبسط الأشياء التي ينبغي على طالب العلم أن يتّصف بها، والسبب يعود إلى أنّه صاحبٌ ورافقٌ مَنْ لا همَّ له بهذه الأمور، وكأنّه رافقٌ وصادقٌ ميتاً.

والعكس بالعكس، فهناك من الطلبة مَنْ تغيّر حاله إلى حالٍ جديد، والسبب يعود إلى الصديق الذي رافقه، وتباحث معه وقوّى علاقته فيه، روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم مَنْ يخالل»^(٢)، وعنه ﷺ أنّه قال: «أسعد الناس مَنْ خالطَ كرامَ الناس»^(٣)، وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَارِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ»^(٤)، وقال الشاعر:

(١) أنظر: كتاب الأخلاق والآداب الإسلامية: ص ١٤-١٥.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٥١٨، ح ٤٢.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٧٢-٧٣، ضمن ح ٤.

(٤) نهج البلاغة: ص ٤٠٢.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فإنَّ القرينَ بالمقارن يقتدي^(١)

ولكن المشكلة في هذا الطريق تكمن في أنَّ الصديق والرفيق قد يحابي ويجامل صديقه فيما لو رأى منه تقصيراً وفتوراً في جانبٍ من جوانب العبادة والطاعة وتحصيل الكمالات، ومن هنا صار هذا الطريق ضعيفاً إلى حدِّ ما، بخلاف الأمر في الأستاذ المرَبِّي؛ فإنَّه في الغالب لا يدهن ولا يحابي، بل يضع يده على محلِّ الداء ليضع له الدواء.

الهداية نتيجة الجهاد

والنتيجة النهائية المترتبة على الجهاد في الله ومن أجل الله تعالى هي الهداية، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، الهداية إلى طرق الخير وسبله، وأنَّه نحو من الإحسان، وهذا يفيد أنَّ للهداية الإلهية طريقاً ميسراً للإنسان وهو الإحسان في العمل، وإنَّ الله لمع المحسنين، لا يدعهم يضلون^(٣).

وقد أثبت الله تبارك وتعالى لنفسه سبلاً، وهي أيّاً ما كانت سوف تنتهي إليه تعالى؛ فإنَّما السبيل سبيل لتأديته إلى ذي السبيل، وهو غايتها، فسبله هي الطرق المقرَّبة منه والهادية إليه تعالى، وإذ كانت نفس المجاهدة من الهداية كانت الهداية إلى السبل هداية على هداية، فتنتطبق على مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾^{(٤)(٥)}.

(١) نسبه ابن أبي الحديد - في شرح نهج البلاغة: ج ١٨، ص ٤٨ - إلى طرفه، كما نسبه الشيخ الطوسي رحمته -

في تفسير التبيان: ج ٣، ص ١٩٨ - لعدي بن زيد.

(٢) العنكبوت: آية ٦٩.

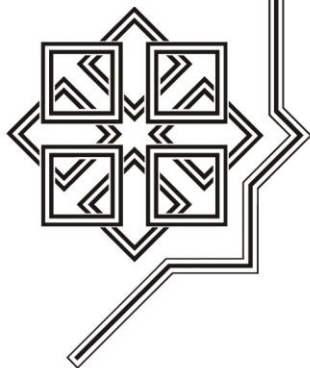
(٣) أنظر: تفسير الميزان: ج ١٢، ص ٢٤٣.

(٤) محمد: آية ١٧.

(٥) أنظر: تفسير الميزان: ج ١٦، ص ١٥١.

المحاضرة العربية السابعة

حمل الأمانة وأداؤها



قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١).

الأمانة: هي حفظ حقوق الخالق والمخلوق^(٢)، وهي العقد الذي يلزم الوفاء به مما من شأنه أن يؤتمن على صاحبه^(٣). والآية الشريفة تقتضي وجوب الفحص عن المالك لكونه مقدّمة للردّ الواجب، وهي تشمل الأمانة المالكية كالوديعة ونحوها، والأمانة الشرعية كاللقطة ومجهول المالك ونحوها^(٤).

وقد ورد الحثّ الأكيد على تأدية الأمانة، بل جعل الله سبحانه وتعالى مراعاتها ورعايتها من صفات المؤمنين، حيث قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * ... * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾^(٥).

وجعلها رسول الله ﷺ هي وصدق الحديث الميزان في اكتشاف إيمان المؤمن، حيث قال ﷺ: «لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم، وكثرة الحج، والمعروف، وطنطتهم بالليل، ولكن أنظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة»^(٦).

وجعلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أفضل الإيمان، حيث قال: «أفضل الإيمان الأمانة، أقبح الأخلاق الخيانة»^(٧).

(١) النساء: آية ٥٨.

(٢) شرح أصول الكافي (المازندراني): ج ١١، ص ٢٨٧.

(٣) المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان: ج ٢، ص ٢٠٤.

(٤) أنظر: النور الساطع في الفقه النافع: ج ١، ص ٤٥٤.

(٥) المؤمنون: آية ١ و ٨.

(٦) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٣٧٩، ح ٦. عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٥٦، ح ١٧٩، عنهما بحار

الأنوار: ج ٦٨، ص ٩، ح ١٣.

(٧) عيون الحكم والمواعظ: ص ١١٧.

وتعدّ الأمانة من المدارج التي توصل الإنسان إلى أعلى مراتب الكمال عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ، فعن إمامنا الباقر عليه السلام أنّه قال: «أنظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله ﷺ فالزمه، فإنّ علياً عليه السلام إنّما بلغ ما بلغ به عند رسول الله ﷺ بصدق الحديث وأداء الأمانة»^(١).
إطلاق وجوب أدائها

ولعظم هذا التكليف لم يرخص فيه الله تبارك وتعالى مطلقاً، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «ثلاث لم يجعل الله ﷻ لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين»^(٢).

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أدّوا الأمانة ولو إلى قاتل ولد الأنبياء عليهم السلام»^(٣).
وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ ضارب علي بالسيف وقتله لو ائتمني واستصحني واستشارني، ثمّ قبلت ذلك منه لأدّيت إليه الأمانة»^(٤).

وعنه عليه السلام أنّه قال: «أدّوا الأمانة ولو إلى قاتل الحسين بن علي»^(٥)، وعنه عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله ﷻ لم يبعث نبياً إلّا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر»^(٦).

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٠٤ هـ. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: ص ٩٦، ح ٢١٤. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٥ هـ.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٦٢، ح ١٥، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٥٦، ح ١٥.

(٣) الكافي: ج ٥، ص ١٣٣، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٥٦، ح ١١٤.

(٤) الكافي: ج ٥، ص ١٣٣، ح ٥. عنه تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٤٩٦، ح ٣٢٤.

(٥) الهداية: ص ٥٠. دعائم الإسلام: ج ٢، ص ٤٨٥، ح ١٧٣١. أمالي الشيخ الصدوق: ص ٣١٨، ح ٤.

الاختصاص: ص ٢٤١، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ١١٥، ح ١١.

(٦) الكافي: ج ٢، ص ١٠٤، ح ١. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام): ج ٢، ص ٥٠٧. بحار الأنوار: ج ١١، ص ٦٧، ح ٢١، عن الكافي.

التحذير من خيانة الأمانة

وردت تحذيرات شديدة من قِبَل النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ في خيانة الأمانة، وفي بعض هذه النصوص أنه لا إيمان لمن خان الأمانة، كما روي عن رسول الله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له»^(١).

وعنه عليه السلام: «مَنْ خان أمانةً في الدنيا ولم يردّها إلى أهلها، ثم أدركه الموت مات على غير ملّتي، ويلقى الله وهو عليه غضبان»^(٢).

مَنْ نهي عن انتماهم

وعلينا أن نتبع الروايات الشريفة في ترك مجموعة من الأشخاص نهت الشريعة المقدسة عن اتّئامهم، ولو خالفنا ذلك فلا لوم إلّا على أنفسنا، فقد حذرت بعض الروايات عن اتّئام بعض الناس، نذكّرهم حتى نكون على اطلاع:

الأول: أنه نُهي عن اتّئام غير الأمين، فقد روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «مَنْ اتّئمّن غير أمين فليس له على الله ضمان، لأنّه قد نهاه أن يأتّمّه»^(٣).

الثاني: عدم اتّئام المملول، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا تأمننّ مملولاً»^(٤).

(١) النوار: ص ٩١. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام): ج ٢، ص ٥٤٥. بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ١٩٨، ح ٢٦، عن النوار. والحديث مستفيض في كتب الجمهور. أنظر مثلاً: مسند أحمد: ج ٣، ص ١٣٥، ومواضع أخرى منه. السنن الكبرى (البيهقي): ج ٤، ص ٩٧، وغيرها.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥١٦. مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٥. مكارم الأخلاق: ص ٤٣٠. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ١٧١.

(٣) قرب الإسناد: ص ٣١٥، ح ١٢٢٢، عنه بحار الأنوار: ج ٧٦، ص ١٢٧، ح ١٠.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ص ٥٢٤. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ﷺ: ص ٢٧٧. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١١.

الثالث: عدم ائتمان الخائن، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ليس لك أن تتهم من ائتمنته، ولا تأمن الخائن وقد جَرَّبْتَهُ»^(١).

عاقبة أداء الأمانة الدنيوية والأخروية

لأداء الأمانة لأهلها آثار دنيوية وأخروية غير رضى الله سبحانه وتعالى، والطاعة له عز وجل ورضاه، نذكر بعضها:

الأثر الأول: الصدق، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الأمانة تؤدِّي إلى الصدق»^(٢).
الأثر الثاني: الرزق، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «الأمانة تجر الرزق، والخيانة تجر الفقر»^(٣).

وفي كتاب شواهد المبلِّغين عن تذكرة الخواص، قال: «حدَّثني أبو محمد عبد الوهَّاب المقرئ، قال: حدَّثني جارٌّ لي، قال: كان لي صاحب من أولاد الحسين عليه السلام وكان رقيق الحال، فكنت أبرّه. قال: فحجَّ في بعض السنين وعاد وقد حسنت حاله، فسألته عن ذلك، فقال: حججت في هذه السنة وأنا فقير أمشي. قال: فبقيت ثلاثة أيام لم أجد طعاماً، فبينما أنا أمشي، وإذا قد علق في قدمي شيء، وإذا هميان - أي حزام توضع فيه النقود - فأخذته وفتحته، وإذا فيه ألف دينار، فقالت نفسي: تصرَّف فيه واشتري طعاماً وأكثر. قال:

(١) قرب الإسناد: ص ٨٤، ح ٢٧٦. الكافي: ج ٥، ص ٢٩٨، ح ١. تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٢٣٢، ح ٣١. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام): ج ١، ص ٣١٠. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ١٩٤، ح ٢، عن قرب الإسناد.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٩.

(٣) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن (فارسي): ج ٤، ص ٣٩٦، وفي كتب الجمهور مثل: مسند الشهاب: ج ١، ص ٧٢. كنز العمال: ج ٣، ص ٦١، ح ٥٤٩٩.

فقلت: لا والله، حتى يظهر أمره، فإذا بمنادٍ يُنادي عليه. فقلت لصاحبه: ما تُعطي مَنْ لقيه؟ قال: ما أُعطيه شيئاً! قلت: مئة دينار؟ قال: لا. قلت: فديناراً؟ قال: لا. فرميته إليه، فنظر إليّ وقال: مَنْ أين أنت؟ قلت: من بغداد. قال: وما تصنع؟ قلت: لا شيء، وأنا رجل شريف وما لي حرفة. فقال: من أولاد مَنْ أنت؟ قلت: من أولاد الحسين عليه السلام. قال: ومَنْ يعرفك؟ قلت: الحاج. فجاء جماعة فعرفوني، فرمى إليّ الهميان، وقال: خُذه. فقلت له: أنت ما هان عليك أن تُعطيني منه ديناراً، أفتُعطيني الجميع؟! فقال: اعلم، أنه عندي وديعة جاءت معي من خراسان، وأوصاني صاحبه أن لا أُعطيه إلا لشريف مُستحقٍّ من أولاد الحسين عليه السلام وأنت ذاك. فأخذته وحسنت حالي^(١).

الأثر الثالث: أنها تجلب الغنا، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «الأمانة تجلب الغناء، والخيانة تجلب الفقر»^(٢).

قال سعيد بن عمرو الجعفي: «خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ وَأَنَا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حَالاً، فَشَكَّوْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَجَدْتُ عَلَى بَابِهِ كَيْساً فِيهِ سَبْعُمِائَةَ دِينَارٍ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ مِنْ قُورِي ذَلِكَ فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ: يَا سَعِيدُ اتَّقِ اللَّهَ عز وجل، وَعَرِّفْهُ فِي الْمَشَاهِدِ. وَكُنْتُ رَجَوْتُ أَنْ يُرَخِّصَ لِي فِيهِ، فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُغْتَمٌّ، فَأَتَيْتُ مِنْى وَتَنَحَّيْتُ عَنِ النَّاسِ وَتَقَصَّيْتُ حَتَّى أَتَيْتُ الْمُؤَفُّوفَةَ، فَنَزَلْتُ فِي بَيْتٍ مُتَنَحِّياً عَنِ النَّاسِ، ثُمَّ قُلْتُ: مَنْ يَعْرِفُ الْكَيْسَ؟ قَالَ: فَأَوَّلُ صَوْتٍ صَوَّتُهُ، فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى رَأْسِي يَقُولُ: أَنَا صَاحِبُ الْكَيْسِ! قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: أَنْتَ، فَلَا كُنْتُ. قُلْتُ: مَا عَلَامَةُ الْكَيْسِ؟ فَأَخْبَرَنِي بِعَلَامَتِهِ، فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ.

(١) شواهد المبلغين: ص ٢٧١.

(٢) قرب الإسناد: ص ١١٦-١١٧، ح ٤٠٨. عنه وسائل الشيعة: ج ١٩، ص ٧٨، ح ٢. وبحار الأنوار: ج ٧٢، ص ١١٤، ح ٦.

قَالَ: فَتَنَحَّى نَاحِيَةَ فَعْدَتِهَا، فَإِذَا الدَّائِرَةُ عَلَى حَالِهَا، ثُمَّ عَدَّ مِنْهَا سَبْعِينَ دِينَارًا، فَقَالَ: خُذْهَا حَلَالًا خَيْرٌ مِنْ سَبْعِمِائَةٍ حَرَامًا. فَأَخَذَتْهَا.

ثُمَّ دَخَلَتْ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَأَخْبَرَتْهُ كَيْفَ تَنَحَّيْتُ وَكَيْفَ صَنَعْتُ. فَقَالَ: أَمَّا إِنَّكَ حِينَ شَكَوْتَ إِلَيَّ أَمَرْنَا لَكَ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا، يَا جَارِيَةَ هَاتِيهَا. فَأَخَذَتْهَا وَأَنَا مِنْ أَحْسَنِ قَوْمِي حَالًا^(١).

الأمانة الإلهية

وكلما تكون الأمانة أكبر، والذي ائتمنها عندك أهم تكون عقوبة الخيانة لها أشد وأعظم، فمثلاً لو كان الذي ترك الأمانة عندي شخصاً عالمٌ وجهه يكون قبح الخيانة كبيراً، ولو كان هذا العالم مرجعاً من مراجع الطائفة تكون القضية أشد، ولو كان الذي ائتمني هو المعصوم عليه السلام، تكون أكبر بكثير، فلو كان الذي ائتمني هو خالق المعصوم جبار السموات والأرضين تكون الأمانة مخيفة جداً، وعليّ أن أحافظ عليها بشكلٍ شديد، أو لا أقبل هذه الأمانة وأرفض تحمّلها لو كان الأمر اختياريّاً، وإلاّ هكذا أمانة لا تتحملها السموات والأرضون ولا الجبال، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٢).

ويمكن أن تكون تكاليف الله على جميع البشر هي من الأمانات التي كلّفنا بحفظها، كما يشعر به ما روي في الحديث: أن أمير المؤمنين عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة كان يتململ ويتزلزل ويتلون، فيقال له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: «جاء وقت الصلاة، وقت أمانة

(١) الكافي: ج ٥، ص ١٣٨، ح ٦، عنه بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٣٨٥، ح ١٠٨.

(٢) الأحزاب: آية ٧٢.

عرضها الله على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها»^(١).
وقد سأله عليه السلام بعض الزنادقة: أجد الله يقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ الْأَمَانَةَ وَمَنْ هَذَا الْإِنْسَانُ؟ وَلَيْسَ مِنْ صِفَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ التَّلْيِيسُ عَلَى عِبَادِهِ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَمَّا الْأَمَانَةُ الَّتِي ذَكَرْتَهَا فَهِيَ الْأَمَانَةُ الَّتِي لَا تَجِبُ وَلَا تَجُوزُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا فِي الْأَنْبِيَاءِ وَأَوْصِيَائِهِمْ»^(٢).

وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ قال: «هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»^(٣).

قال الشيخ المفيد رحمه الله: «إن الأمانة هي الولاية لأمر المؤمنين عليه السلام، وأتمها عرضت قبل خلق آدم عليه السلام على السماوات والأرض والجبال، ليأتوا على شروطها فأبين من حملها على ذلك خوفاً من تضييع الحق فيها، وكلفها الناس فتكلفوها ولم يؤد أكثرهم حقها»^(٤).

وهكذا هو الحال لمن يجعل أمانته عند الله عز وجل فهو خير أمين، روي «أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع ابن له يشبه أباه جسداً، فتعجب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: ما رأيت غراباً أشبه بغراب مثل هذا بأبيه! فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إن لهذا الولد شأنًا عجيباً! إنه مكث في القبر تسعة أشهر وخرج بقدرة الله تعالى، فوثب علي عليه السلام، وقال: أي شيء تقول أيتها الرجل؟! قال: أردت أن أسافر وولدي هذا في

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣٨٩. عوالي اللئالي: ج ١، ص ٣٢٤، ح ٦٢. حلية الأبرار: ج ٢، ص ١٧٩، ح ١٤. تفسير الألوسي: ج ٢٢، ص ٩٧. إحياء علوم الدين: ج ٢، ص ٢٧٠.
(٢) البرهان في تفسير القرآن: ج ٥، ص ٨٣٦.
(٣) الكافي: ج ١، ص ٤١٣، ح ٢.
(٤) المسائل العكبيرة: ص ٩١.

بطن أمّه فتوضأت وصليت ركعتين ورفعت يدي إلى السماء وقلت: يا إلهي أودعت الولد الذي في بطن أمّه عندك فُرِّدْهُ إِلَيَّ سالماً إذا رجعت، ثم خرجت إلى سفر ومكثت تسعة أشهر، ثم رجعت فوجدت زوجتي قد ماتت فذهبت إلى قبرها فعانقت القبر وبكيت كثيراً، فسمعت صوت صبي من قبرها فتعجبت! فقلت: اكشف رأس قبرها لكي أنظر ما هذا الصوت الذي اسمع فكشفته فرأيت قد بليت جسدها وتفسخت أعضائها، وما بقي سوى ثديها ورأيت هذا الغلام يرضع منه فرفعته وقلت: إلهي مننت عليّ برّدّ ولدي، فلو رددت زوجتي لعظمت منّي عليّ. فسمعت هاتفاً يقول: أودعت ولدك عند الله فَرِّدْهُ إِلَيْكَ سالماً، فلو أودعت زوجتك لَرَدَّهَا إِلَيْكَ سالمة كما رَدَّ إِلَيْكَ ولدك سالماً. نعم من شأن الوديعه أن تُرد إلى صاحبها سالمة، لكن وديعة رسول الله ﷺ رُدَّت إليه مكسورة الضلع، مسوِّدة الكتف، مسقطة الجنين^(١).

رحم الله آية الله العظمى الشيخ الأصفهاني، حيث يقول:

لكن كسر الضلع ليس ينجبر	إلا بصمصام عزيزٍ مُقتدر
إذ رض تلك الأضلع الزكية	رزية لا مثلها رزية
ومن نبوع الدم من [جنبها]	يُعرف عظم ما جرى عليها
وجاوزوا الحد بلطم الخد	شلت يد الطغيان والتعدي
فاحمرت العين وعين المعرفة	تذرف بالدمع على تلك الصفة
ولا يزيل حمرة العين سوى	بيض السيوف يوم ينشر اللواء ^(٢) .

(١) شجرة طوبى: ج ٢، ص ٤٤٤.

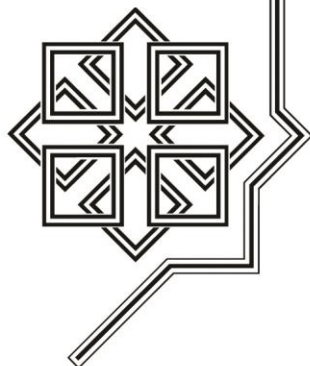
(٢) الأنوار القدسية: ص ٤٣.

الحاضرة العربية الشامية

وصية

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

للشيعة



من وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام، للشيخ الجليل الفقيه علي بن بابويه القمي رحمته الله: «أوصيك يا شيخي ومعتدي وفقيهي أبا الحسن، علي بن الحسين ابن بابويه القمي - وفقك الله لمرضاته، وجعل من ولدك أولاداً صالحين برحمته - بتقوى الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإنه لا تُقبل الصلاة من مانعي الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... فاعمل بوصيتي، وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به حتى يعملوا عليه، وعليك بالصبر وانتظار الفرج، فإن النبي صلى الله عليه وآله قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا تزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله، حيث قال: إنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فاصبر - يا شيخي ومعتدي أبا الحسن - وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإن الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين. والسلام عليك، وعلى جميع شيعتنا، ورحمة الله وبركاته، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير»^(١).

هناك عدّة وصايا صدرت من المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام ينبغي الاهتمام بها جيداً؛ لأنّ المخاطب بها أولاً وآخرها هو نحن شيعتهم، ومن جملة هذه الوصايا هذه الوصية الشريفة التي أوصى بها الإمام الحسن العسكري عليه السلام الشيخ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، المكنى بأبي الحسن، شيخ القميين في عصره وفقيههم وثقتهم، والد الشيخ الصدوق رحمته الله، قد اجتمع في العراق مع السفير الثالث للإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام،

(١) مستدرک وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٢٨٧.

أبي القاسم الحسين بن روح عليه السلام وسأله مسائل. وكان عليه السلام أوّل مَنْ ابتكر طرح الأسانيد، والجمع بين النظائر والأتيان بالخبر مع قرينه، وذلك في رسالة الشرائع التي ألّفها لولده وبعض فقراتها مذكور في الفقيه والهداية والمقنع لابنه. ونظراً للثقة المطلقة التي منحها الأصحاب إياه، ولاعتمادهم المطلق عليه، لذا فقد كانوا يأخذون الفتاوى من رسالته إذا أعوزهم النصّ، وهذا من متفرداته (قدس الله نفسه الزكية)، وكفى في فضله ما ورد في هذا التوقيع الشريف، وله كتب كثيرة، توفّي سنة (٣٢٩هـ)، ودُفن بقم بجوار المرقد الطاهر للسيدة المعصومة عليها السلام، ومقامه فيها معلومٌ، وقد أخبر عن موته في ساعة وفاته الشيخ الأجل أبو الحسن علي بن محمد السمرى رابع النواب الأربعة (رضي الله عنهم) في بغداد^(١).

ويكفي في فضله أنّ الإمام يسلم عليه ويدعو له ويوصيه، فهذا شرفٌ ليس بعده ولا قبله شرف، ولو تأملنا في عبارات الإمام عليه السلام نجد أنّ الإمام عليه السلام يبجل ويقدّس الشيخ أيما تبجيل وتقديس، وهذه العبارات ليست كعبارات عوام الناس، بل ولا حتى الفقهاء؛ لأنها رويت عن المعصوم عليه السلام وكفى، الإمام الواقف على نفسيات البشر، لاحظ كيف يعظّم الشيخ ويدعو له بهذه العبائر: «أوصيك يا شيخخي ومعتدي وفقهه أبي الحسن، عليّ بن الحسين ابن بابويه القمي، وفقك الله لمرضاته، وجعل من ولدك أولاداً صالحين برحمته».

والوصية طويلة نقف عند بعض فقراتها الشريفة:

والفقرات هي: «والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعهد للقرآن، وحسن الخلق».

(١) أنظر: الكنى والألقاب: ج ١، ص ٢٢٣.

الفقرة الأولى: الحلم عند الجهل

الحلم هو ضبط النفس عند هيجان الغضب^(١)، فالحلم يكسر شوكة الغضب، وفيه دلالة على كمال العقل وقوة الإرادة في السيطرة على النفس الأمارة بالسوء، وهو من صفات الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام، والحلم يُزيّن صاحبه حتى يصبح محبوباً بين الجميع، ولا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، كما روي ذلك عن إمامنا الصادق عليه السلام^(٢).

وقال الشاعر:

مَنْ يَدْعِي الْحِلْمَ اغْضِبْهُ لَتَعْرِفْهُ لَا يُعْرِفُ الْحِلْمُ إِلَّا سَاعَةَ الْغَضَبِ^(٣).

فيغفو الإنسان مع قدرته على العقوبة، ويكون الحلم ذا قيمة عالية عندما يكون الإنسان عزيزاً فيُدلّ، أو صادقاً فيُتّهم، أو يُستهزأ به حين يدعو إلى الحق، أو يُؤذى بلا جرم، أو يطالب بالحق فيخالفه الناس.

وقد حثّت الروايات الشريفة على التحليّ بالحلم حثّاً بليغاً، فعن الإمام الرضا عليه السلام، قال: «لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَابِداً حَتَّى يَكُونَ حَلِيماً»^(٤).

بل إنّ بعض الروايات أمرت بالتحلّم - أي التشبّه بأهل الحلم - وما ذاك إلا لأهميته، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ؛ فَإِنَّهُ قَلٌّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ»^(٥).

(١) أنظر: مفردات غريب القرآن: ص ١٢٩.

(٢) أنظر: تحف العقول: ص ٣١٦. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٢٢٩، ح ٩.

(٣) ذكر عجزه ابن عبد البر في الاستذكار: ج ٨، ص ٢٨٧. وجامع بيان العلم وفضله: ج ٢، ص ١٥٥.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ١١١، ح ١. مشكاة الأنوار: ص ٣٧٩. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٦٥، ح ١. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٤٠٣، ح ١٢، عن الكافي.

(٥) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٤٧، ح ٢٠٧. خصائص الأئمة: ص ١١٥. عيون الحكم والمواعظ: ص ١٦٢. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ٥٣، ح ٣١. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٦٨، ح ١٤. بحار الأنوار: ص ٦٨، ص ٤٠٥.

وقد ضرب الأئمة في ذلك أمثلة رائعة أذهلت عقول بني البشر، وهي منهم وعندهم سجيّة وعادة، لا يتكلّفونها أبداً، فأخلاقهم أخلاق جدّهم المصطفى ﷺ الذي يقول عنه الباري عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

الفقرة الثانية: التفقه في الدين

وأما الفقرة الثانية فيوصي بها الإمام عليه السلام بالتفقه بالدين، والحال أنّ الوصية موجهة إلى الرجل الفقيه بشهادة الإمام عليه السلام، وهذا يكشف عن مدى اهتمام الأئمة عليهم السلام بمواصلة الدرس والمباحثة وطلب العلم المستمر الذي لا يخفى فضله على أحد، ويكفيك معرفة بفضل التفقه في الدين الرواية المروية عن إمامنا الصادق عليه السلام، أنّه قال: «لا يصلح المرء المسلم إلّا بثلاث: التفقه في الدين، والتقدير في المعيشة، والصبر على النائبة»^(٢).

وقال الشهيد الثاني رحمه الله: «أنّه لا خلاف بين علمائنا (رضوان الله عليهم أجمعين) أنّ التفقه في الدين واجب، وإنّا اختلفوا في أنّ وجوبه هل هو على الأعيان، أو الكفاية؟ فذهب قدماء علمائنا، وفقهاء حلب كأبي الصلاح، وسلاّر، وابن حمزة إلى أنّ وجوبه عيني، وأنّه لا يجوز التقليد في الأحكام الشرعية لأحد البتّة، وذهب باقي الأصحاب إلى أنّ وجوبه كفايي. ومن المعلوم أنّ الواجب الكفايي متى لم يقم به أحد كان الواجب على جميع المكلفين القيام به، فإنّ أخلّوا به لحقّهم جميعاً الإثم، ومتى أصروا على تركه ساعة بعد أخرى ولو إلى يومٍ واحدٍ فضلاً عن أيام، كان من الكبائر، إنّ لم يكن منها، بل من أكبرها ابتداءً»^(٣).

(١) القلم: آية ٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٦٦، ح ٣٦١٨.

(٣) رسائل الشهيد الثاني (ط.ج): ج ١، ص ٣٥.

الفقرة الثالثة: التثبت في الأمور

والفقرة الثالثة والمهمّة في الوصية التثبت في الأمور، وهي محل ابتلاء لنا جميعاً، فالكثير من الناس وللأسف الشديد يكثرون من الاستعجال في الحكم واتهام الآخرين من دون دراية ومصاحبة ولا اختبار.

الفقرة الرابعة: التعهّد للقرآن

وفي الفقرة الرابعة يوصي الإمام عليه السلام بها الشيخ ابن بابويه بالتعاهد للقرآن الكريم، هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

روى ابن شهر آشوب رحمته الله في المناقب «أنّ إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه، أخذ في تأليف تناقض القرآن، وشغل نفسه بذلك وتفرّد به في منزله، وإنّ بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقال له أبو محمد عليه السلام: أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عمّا أخذ فيه من تشاغله القرآن؟! فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منّا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره، فقال له أبو محمد: أتؤدّي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم، قال: فصر إليه وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل: قد حضرني مسأله أسألك عنها، فإنّه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أذاك هذا المتكلّم بهذا القرآن: هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنّك ذهبت إليها؟ فإنّه سيقول لك: إنّ من الجائز؛ لأنّه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعلّه قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه، فيكون واضعاً لغير معانيه. فصار الرجل إلى الكندي وتلطّف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له: أعد عليّ، فأعاد عليه فتفكّر في نفسه ورأي ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر، فقال: أقسمت عليك إلا أخبرني من أين لك؟ فقال: إنّ شيء عرض بقلبي فأوردته عليك،

فقال: كلا ما مثلك مَنْ اهتدى إلى هذا، ولا مَنْ بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد، فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت، ثم إنّه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألّفه»^(١).

الفقرة الخامسة: حُسن الخلق

والفقرة الخامسة من الوصية حسن الخلق، وحسن الخلق حالة نفسية، تبعث على حسن معاشرّة الناس، ومجاملتهم بالبشاشة، وطيب القول، ولطف المداراة، كما عرّفه الإمام الصادق عليه السلام، حينما سُئِلَ عن حدّه، فقال: «تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببشر حسن»^(٢).

وهو أفضل ما يقدم به الإنسان المؤمن على الله تبارك وتعالى، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما يقدم المؤمن على الله ﷻ بعملٍ بعدَ الفرائض، أحبُّ إلى الله تعالى من أن يسعَ الناسَ بخلقه»^(٣).

والمقصود بتليين الجناح: الـ «كناية عن عدم تأدّي من يجاوره ويجالسه ويجاوره من خشونته، بأن يكون سلس الانقياد لهم، وكيفُ أذاه عنهم، أو كناية عن شفقتهم عليهم، كما أنّ الطائر يسط جناحه على أولاده؛ ليحفظهم ويكنفهم كقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾»^(٤).

وحسن الخلق من الأماني والآمال، التي يطمح إليها كلّ عاقل، ويسعى لكسبها

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٥٢٦، عنه بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٣٩٢، ح ١.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٣، ح ٤، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٧١، ح ٣٩.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ١٠٠، ح ٤، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٧٥، ح ٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٧١.

وتحقيقها كلّ مؤمن مجاهد.

ومن الملفت للنظر، أنّ جميع المواهب والإمكانات، والقيم والفضائل، لا تكون مدعاةً للإعجاب والإكبار، وسَمُوَ المنزلة ورفعة الشأن إلا إذا اقترنت بحسن الخلق، وازدانت بجمال الزاهر، ونوره الوضاء.

ومن هنا اهتمّت الشريعة الحنيفية بحسن الخلق؛ لأنّه نظام عقد الفضائل وملاكها؛ ولذا مجّده أهل البيت عليهم السلام، وأكدوا على التمسك به بمختلف الأساليب التوجيهية المشوّقة^(١)، كما تصوّره النصوص التالية:

هناك جملة من النصوص دلّت على أهميّة حسن الخلق، منها ما ورد عن النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله، ومنها ما ورد عن أهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

فعنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله وحُسن الخلق»^(٢)، وقال صلّى الله عليه وآله أيضاً: «أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً»^(٣).

وعنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حُسن الخلق»^(٤). وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الخلق الحسن يميّثُ الخطيئة، كما تميّث الشمس الجليلد»^(٥).

(١) أنظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ١١-١٢.

(٢) سبل السلام: ج ٤، ص ٢١١. الخصال: ص ٧٨، ح ١٢٦. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٤١، ح ١٠٧. بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٢٨٨، ح ٢٠، عن الخصال.

(٣) المجموع: ج ١٦، ص ٤١٥. مغني المحتاج: ج ٣، ص ٢٦٠. إعانة الطالبين: ج ٣، ص ٤٢٩. تحف العقول: ص ٤٧. أمالي الشيخ الطوسي: ص ١٤٠، ح ٤٠، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٨٩، ح ٤٤.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٩٩، ح ٢، عنه وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٥١، ح ١٣، وبحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٤٩، ح ٧، ج ٦٨، ص ٣٧٤، ح ٢.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ١٠٠، ح ٧. الجواهر السنية: ص ٣٣٤. عنه وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٤٩، ح ٦. وبحار الأنوار: ج ١٤، ص ٤٦٤، ح ٣٥، ج ٦٨، ص ٣٧٥، ح ٧.

وقال عليه السلام: «البرّ وحسن الخلق يُعَمِّران الديار، ويزيدان في الأعمار»^(١).

وكفى بحسن الخلق شرفاً وفضلاً، إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث رسله وأنبياءه إلى الناس إلّا بعد أن حلّاهم بهذه السجّية الكريمة، وزانهم بها، ففيه رمز فضائلهم، وعنوان شخصياتهم.

ولقد كان سيد المرسلين صلّى الله عليه وآله المثل الأعلى في حسن الخلق وغيره من كرائم الفضائل والخلال، واستطاع بأخلاقه الرفيعة أن يملك القلوب والعقول، واستحق بذلك ثناء الله تعالى عليه، بقوله عزّ من قائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

وهو العامل بما قال، حيث قال صلّى الله عليه وآله: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم»^(٣). وعبر عن ذلك القرآن الكريم، حيث قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٤)، ولكنّ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله لم يكن غليظ القلب؛ ولذا لم ينفضوا من حوله، بل اجتمعت إليه العرب من كلّ حذب وصوب، وفيهم من جنّد الجيوش ضده، وحزّب الأحزاب، وأخشن الكلام وأفحشه فيه، ومنهم من هجاه، وهو مع كلّ ذلك، لئن العريكة، سخي اليد، منشرح الصدر، وفيّ الدمّة، كريم العشرة.

وهكذا هي أخلاق صاحب الوصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام، مع الحيوانات والأعداء، فضلاً عن المؤمنين وأصحابه، كما روى ابن شهر آشوب عن أبي هاشم

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٠٠، ح ٨. عنه وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٤٩، ح ٥.

(٢) القلم: آية ٤.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٦٢، ح ٩. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٥٨، ح ٢٠٤. من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٩٤، ح ٥٨٣٩. روضة الواعظين: ص ٣٧٦. الاختصاص: ص ٢٢٥. مشكاة الأنوار: ص ٣٦٩. العهود المحمدية: ص ٤٦٥. الدرة الباهرة: ص ٢، ح ٢. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٢٩٤. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٨٣، ح ١٩، عن الأمالي.

(٤) آل عمران: آية ١٥٩.

الجعفري، عن داود بن الأسود - وقاد حمام أبي محمد عليه السلام - قال: «دعاني سيدي أبو محمد، فدفعت إلي خشبة كأنتها رجل باب مدورة طويلة ملء الكف، فقال: صر بهذه الخشبة إلى العمري. فمضيت فلما صرت إلى بعض الطريق عرض لي سقاء معه بغل فزاحمني البغل على الطريق فناداني السقاء: صح على البغل. فرفعت الخشبة التي كانت معي فضربت البغل فانشقت، فنظرت إلى كسرهما فإذا فيها كتب، فبادرت سريعاً فرددت الخشبة إلى كمي فجعل السقاء يناديني ويشتمني ويشتم صاحبي، فلما دنوت من الدار راجعاً استقبلني عيسى الخادم عند الباب، فقال: يقول لك مولاي (أعزه الله): لِمَ ضربت البغل وكسرت رجل الباب؟ فقلت له: يا سيدي، لم أعلم ما في رجل الباب. فقال: ولم احتجت أن تعمل عملاً تحتاج أن تعتذر منه؟! إياك بعدها أن تعود إلى مثلها، وإذا سمعت لنا شائماً فامض لسبيلك التي أمرت بها، وإياك أن تجاوب مَنْ يشتمنا أو تعرّفه مَنْ أنت؛ فإننا ببلد سوء، ومضرّ سوء، وامض في طريقك، فإن أخبارك وأحوالك تردّ إلينا فاعلم ذلك»^(١).

لكنّ القوم لم يراعوا الله ولا لرسول الله صلّى الله عليه وآله حرمة مع أهل بيته عليهم السلام، بل كان العكس تماماً، وشعارهم إبادة أهل هذا البيت عن جديد الأرض، كما روى الشيخ المفيد رحمته الله بسنده عن أحمد بن محمد، قال: «كتبت إلى أبي محمد عليه السلام حين أخذ المهدي في قتل الموالي: يا سيدي، الحمد لله الذي شغله عنا، فقد بلغني أنّه يتهددك ويقول: والله، لأجليّتهم عن جدّد الأرض. فوقع أبو محمد عليه السلام بخطّه: ذلك أقصر لعمره، عد من يومك هذا خمسة أيام، ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمرّ به»^(٢)، وكان كما قال عليه السلام، ولكن لم يتّبه الأمر بالمهدي العباسي، بل استمرّ الحقد والبغض لأهل هذا البيت إلى أن سُمّ الإمام

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٥٢٩.

(٢) الإرشاد: ج ٢، ص ٣٣٣، عنه بحار الأنوار: ج ٥٠، ص ٣٠٨، ح ٥٠.

الحسن العسكري عليه السلام على يد المعتمد العباسي.

اجت الناس تتراكض ابدشه
لگوا دار العلوم اشلون وحشه
بچوا عالباب لمن طلع نعشه
تلگوه ابلطم يدمي الخدين

أقول: وإن قُتِلَ الإمام الحسن العسكري عليه السلام مسموماً، ولكنّه جُهِزَ على أحسن ما يُرام، وشُيِّعَ على أطراف الأنامل من قَبْلِ كافّة الناس في سُرٍّ مَنْ رَأَى.

(نصاري)

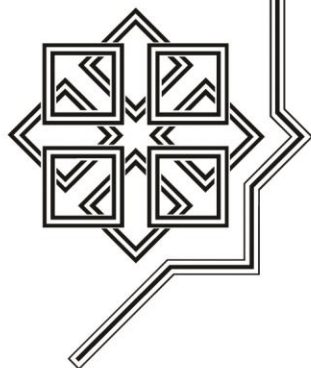
سارت بالنعش تبجي حواليه
لما دفنوه ردوا للعره اعليه
بس احسين ما واحد وصل ليه
ثلث تيام عاري ابغير تكفين

الحاضرة المعرفة السَّعْتِيَّة



الفوائد التربوية

لزيارة سيد الشهداء عليه السلام



روي عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حسين، مَنْ خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام إن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة، حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرؤك السلام، ويقول لك: استأنف العمل فقد غفر لك ما مضى»^(١).

إن من أعظم النعم التي من الله تعالى بها على البشر هي نعمة الإمامة، فيها يتم الدين، وبها تفتح أبواب السماء للراغبين، وبها يمكن الوصول لغايات رب العالمين، فمقام الإمامة مقام علوي في مراتب الوجود الإلهية، ومن أجل ذلك فقد فرض الله تعالى على عباده قبول هذا المقام، وأمرهم بتولي الأئمة عليهم السلام، والتبري من أعدائهم، ومن أبرز مظاهر التولي للإمام الإلهي هو الحضور عنده والبيعة له ومناصرتة وإطاعته، ولأجل ذلك تُعتبر زيارة الإمام في مقامه وضريحه المقدس من مظاهر البيعة له والتمسك بنهجه؛ ولذلك جاء التأكيد الكبير والحثيث على زيارة أولياء الله تعالى، وخصوصاً الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

وبذلك تكتسب الزيارة أهميّة قصوى؛ لأنها تمثل مظهراً من مظاهر التولي والبيعة لإمام الحق^(٢)؛ لأن من أهم مظاهر الولاء في الصدر الأوّل من الإسلام هو البيعة لولي الأمر، والتي كانت تتحقّق بالحضور عند الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام المعصوم عليه السلام،

(١) كامل الزيارات: ص ٢٥٢-٢٥٣، ح ١. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٤٣، ح ٤.

(٢) أنظر: مقدمة كتاب زيارة الإمام الحسين عليه السلام (بحث استدلائي في روايات الوجوب): ص ٩.

ومبايعته والتسليم والطاعة له، وهذا الأمر له الأهمية البالغة في حياة الأشخاص، بل هو من الواجبات التي حثت عليها الشريعة المقدسة في زمن حضور ولي الأمر. وقد تنوّعت طرق تحقيق البيعة بمرور الزمان، واتّخذت أشكالاً عديدة بمرور السنين، ومن تلك الطرق هو طريق الحضور عند قبر ولي الأمر وزيارته؛ لأجل ذلك تُعتبر الزيارة بيعة للإمام المعصوم عليه السلام، وإظهار الاعتقاد به والمتابعة والطاعة له؛ ولذلك وردت الروايات في شرط قبول الزيارة أن يكون الزائر عارفاً بالإمام، والمعرفة تعني الإدراك والاعتقاد بأنّه إمام مفترض الطاعة ولازم الاتّباع^(١)، فقد روي بأسانيد متعددة عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «مَنْ أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله له أجر مَنْ أعتق ألف نسمة، ومَنْ حمل على ألف فرس مسرجة ملجمة في سبيل الله»^(٢).

فوائد الزيارة

إنّ للزيارة فوائد عديدة ومتنوعة في مختلف المجالات، خصوصاً زيارة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام، تُشير إلى نوعين من الفوائد، هما: الفوائد التربوية، والفوائد العقائدية والمعرفية^(٣):

الفوائد التربوية للزيارة

إنّ زيارة الأولياء والصالحين لها تأثير كبير على نفسية الشخص الزائر وعلى سلوكه وطريقة تعامله وسائر أفعاله؛ وذلك لأنّ الإنسان - وبحسب طبعه وميله إلى الأمور

(١) أنظر: كتاب زيارة الإمام الحسين عليه السلام (بحث استدلائي في روايات الوجوب): ص ١٥-١٦.

(٢) الكافي: ج ٤، ص ٥٨١، ح ٥. كامل الزيارات: ص ٣٠٧-٣٠٨، ح ١.

(٣) أنظر: كتاب زيارة الإمام الحسين عليه السلام (بحث استدلائي في روايات الوجوب): ص ١٨.

المحسوسة - يتأثر بما يدركه بحواسّه، لذلك نجده يتأثر بما يراه أمامه أكثر ممّا يتأثر بما يسمعه، وكذا نجد أنّ تأثره بكلّ حاسة أكثر من غيرها فيما يرتبط بتلك الحاسة، وهكذا نجد أنّ أقوى الحواس هي الرؤية والمشاهدة، فهي أكثر الأمور تأثيراً في النفس البشرية؛ لذلك عندما تسمع بتفاصيل قضية ما فإنّك تتأثر بها، ولكن عندما تراها فإنّ التأثير يكون أشدّ وأقوى، والتفاعل معها يكون بصورة أعمق؛ من هنا فإنّ الحضور في محضر الأولياء والصالحين يكون أكثر تأثيراً في النفس وبشكل مباشر من أيّ شيء آخر، وهذا الحضور لا يقتصر على الحضور عند شخص الولي، بل يمتد إلى الحضور عند مرقده؛ لأنّ مقام ومرتبة الولي والإمام ليس بجسمه العنصري - وإن كان في القدسية والطهارة بمكان - بل المقام لشأنه ومرتبته الوجودية، وهي محفوظة على كلّ حال، وهذا الحضور له تأثيرات تربوية عديدة، منها:

١. التخلّق بأخلاق الأولياء والصالحين

من الآثار التربوية للزيارة وخصوصاً زيارة المعصومين عليهم السلام هو التخلّق بأخلاق الشخص المزور، والسير على خطاه العملية في التعامل مع الله تعالى ومع الدين بشكل عام، ومع الناس.

لا نقول: إنّ الزيارة علّة تامّة لهذا الأثر، وإنّما نقول: إنّها مؤثّرة في سبيل تحقق هذه الغاية، فعامل الحضور من العوامل المهمّة في هذا المجال.

٢. التعرف على الطرق الصحيحة في التعامل مع مختلف الأحداث

إنّ حياة الأولياء والصالحين - وخصوصاً المعصومين عليهم السلام - مليئة بالمواقف المهمّة والأحداث الخطيرة التي لها القابلية لأن تُنير الطريق لطلاب الحقّ والحقيقة، فعندما نرى كلّ حدث مع الموقف الملائم له من قبل المعصومين عليهم السلام فإنّ هذا أمر في غاية الأهميّة، وله

تأثير كبير في حياة الأشخاص؛ من هنا فإنّ الحضور والزيارة لمرافد المعصومين عليه السلام من المحفزات المهمة للسير على خطاهم.

لا نقول: إنّ هذا هو الطريق المنحصر؛ فإنّه يمكن التعرّف على سيرتهم من خلال مطالعة ما أُلّف وما نُقل عنهم، إلّا أنّ الحضور هو الطريق الأقوى لمتابعة القضية.

٢. التعرّف على أخلاقيات الباطل والانحراف

إنّ الحضور والزيارة للأولياء والصالحين تعني التعرّف على الحقّ المستفاد من سيرتهم ومواقفهم، وهذا بنفسه تعرّف على الباطل؛ لأنّه هل غير الحقّ إلّا الضلال؛ لأجل ذلك فإنّ التعرّف على أولياء الله من خلال الحضور عندهم يُعرّفنا بأعدائهم وبمَن خذلهم وقتلهم، والأسباب التي وراء ذلك؛ ولذا روى الشيخ الطوسي عليه السلام بسنده عن القاسم بن أحمد بن معمر الأسدي الكوفي، وكان له علم بالسيرة وأيام الناس، قال: «بلغ المتوكّل جعفر بن المعنصم أنّ أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فيصير إلى قبره منهم خلق كثير. فأنفذ قائداً من قوّاده، وضمّ إليه كتفاً من الجند كثيراً ليشعب قبر الحسين عليه السلام، ويمنع الناس من زيارته والاجتماع إلى قبره، فخرج القائد إلى الطف، وعمل بما أُمّر، وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين، فثار أهل السواد به واجتمعوا عليه وقالوا: لو قُتلنا عن آخرنا لما أمسك مَن بقي ممّا عن زيارته. ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا، فكتب بالأمر إلى الحضرة، فورد كتاب المتوكّل إلى القائد بالكفّ عنهم والمسير إلى الكوفة مظهراً أنّ مسيره إليها في مصالح أهلها والانكفاء إلى المصّر، فمضى الأمر على ذلك حتى كانت سنة سبع وأربعين، فبلغ المتوكّل أيضاً مصير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام، وأنّه قد كثر جمعهم كذلك، وصار لهم سوق كبير، فأنفذ قائداً في جمع كثير من الجند، وأمر منادياً ينادي ببراءة الذمّة ممّن زار قبر الحسين، ونبش القبر وحرث أرضه، وانقطع الناس عن الزيارة، وعمل على تتبّع آل أبي طالب عليه السلام والشيعة

(رضي الله عنهم)، فُقِيتَ ولم يتم له ما قُدِّرَ^(١).

إلى غير ذلك من الأمور التربوية التي تحصل من الزيارة والتي تفتح آفاقاً واسعة للشخص الزائر، وبذلك تبرز لنا أحد أهم الجوانب التي تُحتم الزيارة وتثبت أنها أمر لا بد منه في حياة الإنسان المؤمن.

الفوائد المعرفية والعقائدية للزيارة

من الواضح أنّ العقيدة تتبع المعرفة، فكّلما كانت المعرفة صحيحة كانت العقيدة كذلك، وكلّما كانت المعرفة خاطئة تكون العقيدة كذلك، لذلك نجد العديد من العقائد الباطلة والتي يضحّي من أجلها معتقدوها مع أنّها محض بطلان وبعيدة عن الواقع والصواب، وما ذلك إلاّ للرؤية المعرفية الخاطئة التي يحملها هؤلاء، والتي على إثرها اعتقدوا تلك العقائد وبنوا آرائهم وأفكارهم. والزيارة والحضور عند أولياء الله تعالى لها التأثير الكبير في تحقيق المعرفة الصحيحة، والتي بدورها تصنع عقيدة صحيحة، ومن تلك الآثار:

١- التعرف على الحق من خلال التعرف على الأدلاء عليه

إنّ الحضور عند المعصوم معناه التعرف عليه، والتعرف على المعصوم يؤثّر في التعرف على نهجه وعقيدته، وهذا التأثير - كما تقدّم - أقوى من بقية المؤثرات؛ لأنّه حضور فعلي عملي محسوس، فالزائر في محضر المعصوم يعيش التوحيد، ويرى التسليم، ويدرك النبوة، ويفهم الإمامة، ويميز الدين الحق من الدين الباطل.

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٣٢٨، ح ١٠٣.

٢. التعرف على طرق إحياء الحق

إنَّ سيرة الأولياء والمعصومين مليئة بالطرق الحكيمة والعلمية لبيان الحق وتثبيته ونشره والتضحية من أجله، فعندما تحضر عند الإمام الحسين عليه السلام - مثلاً - فإنه ستجلى لك معاني الحق والحقيقة بأجلى صورها، وعندما تتأمل وأنت قرب الضريح تحس بنفسك كأنها تسمع كلامه عليه السلام وهو يقول: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»، وكذلك تسمع «هيئات منّا الذلّة»، وتسمع الكثير من المفاهيم الراقية والرائعة، والتي تُذكر على المنابر والمنائر وفي الطرقات.

يقول السيد محمد رضا الشيرازي رحمته الله: «الوالد عليه السلام كان ينقل قضية - أنقلها باختصار - وهي أنه كان هناك رجلٌ سائق ينقل هذه القضية لأحد العلماء، يقول: أنا في بداية أمري كنت مغنياً ومطرباً ولا يوجد منكر من المنكرات إلا وفعلته، ولم يكن عندي علاقة بالدين بأي نحو من الأنحاء، حتى صلاة لم أكن أصلي، يقول: في ليلة التاسع من شهر محرم، أخرجت عائلتي كلّها وبقيت وحدي في البيت حتى أحسست بالملل، فقلت: أخرج إلى الخارج دفعاً للملل، يقول: فمررت على مكان فيه خطيب يقرأ، فجلست أرى هذا الخطيب ماذا يقول، فأخذ يتكلّم فآثرت في كثير، وبعد ذلك عرّج على قضية أبي الفضل العباس (صلوات الله عليه)، وأخذ يتكلّم حوله، وأنه عندما قطعوا يمينه، قال: والله، إن قطعتم يميني إني أحامي أبداً عن ديني. يقول: هذه الكلمات أثرت فيّ بشكل أكبر، ففكرت أنّ هؤلاء الصفوة ضحّوا بأنفسهم، وبكلّ ما يملكون في سبيل الدين، وأنا أسحق الدين بقدمي! يقول: في نفس المكان قررت أن أتوب وتبت إلى الله سبحانه وتعالى توبة نصوحة، وعدت إلى البيت وحطّمت كلّ الآلات المحرّمة الموجودة في البيت، وتركت عملي القديم وهو الغناء، وعملت سائق سيارة، وأنا الحمد لله مهتدي والله تعالى أنعم عليّ - فوضعي

المادي أيضاً جيد والله الحمد - فمن هؤلاء الأفراد في داخل المنظومة وخارجها بالملئات والألوف^(١).

٣. التعرف على الباطل وأهل الباطل

إنَّ معرفة الحسين عليه السلام - مثلاً - تعني معرفة يزيد، ومعرفة نهج الحسين عليه السلام تعني معرفة نهج بني أمية، وإنَّ معرفة المظلوم تعني معرفة الظالم، وإنَّ التضحية من أجل الحق تعني الوقوف بوجه الباطل، فكلَّ معرفة بالحق إلى جنبها معرفة بالباطل، وهكذا كلما ازدادت المعرفة اشتدَّت وقوت العقيدة، وكلَّما قويت العقيدة كان العمل إلى الصلاح أقرب.

والنتيجة: إنَّ الزائر يرى - ومن خلال زيارته وحضوره عند ضريح الولي - لوحتين ظاهرتين: لوحة الحق وأهل الحق ونهج الحق، ولوحة الباطل وأهله ونهجه. وزيارة ولي الله تعني مبايعة الحق، واتباع الصدق، وعقد القلب للتسليم لأمر الله تعالى^(٢)؛ ومن هنا يتوافد الزائرون عليه عليه السلام بلهفة وشوق، وكلُّ مَنْ يقف بين يديه يتذكَّر ما جرى عليه، يتذكَّر الصدر الذي رضَّته الخيول، والجسم الذي أصلته الشمس... آه آه:

وأَيُّ شهيدٍ أصلتِ الشمسُ جسمه	ومشهدُها من أصله متولدٌ؟!
وأَيُّ ذبيحٍ داستِ الخيلُ صدره	وفرسانُها من ذكره تتجمدٌ؟!
فلو علمتُ تلكَ الخيولُ كأهلها	بأنَّ الذي تحتَ السنابكِ أحمدُ
لثارتُ على فرسانها وتمردتُ	عليهم كما ثاروا بها وتمردوا ^(٣) .

(١) من المحاضرة رقم ٤٣ من سنة ١٤٢٥ هـ في ٢٢ ذي الحجة الحرام، من محاضرات المرحوم السيد محمد رضا الشيرازي رحمه الله، بعنوان: (عطاء عاشوراء).

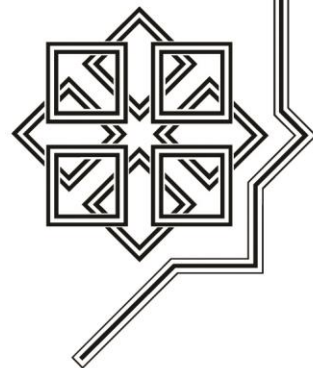
(٢) أنظر: كتاب زيارة الإمام الحسين عليه السلام (بحث استدلائي في روايات الوجوب): ص ١٨-٢٢.

(٣) من قصيدة رائعة للسيد صالح بن السيد مهدي بحر العلوم. من لا يحضره الخطيب: ج ١، ص ٢٢٤.

الحاضرة للسنة



المهدي ^ع ^{عليه السلام} حق وحققة ^{٢٨}



روي عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «المهدي حقٌّ، وهو من ولدِ فاطمة»^(١).

الحديث حول الإمام المهدي ﷺ حديث شيقٌ وجميل؛ لكونه يرتبط بإمام زماننا وولي نعمتنا، فيجب علينا التعرّف عليه وتحسس ما هو فيه ﷺ، وتعريف الناس الآخرين بأن قضية الإمام المهدي ﷺ ليست قضية شيعيّة، بل ولا إسلامية فقط، بل هي قضية عالمية، أشار القرآن الكريم إلى عالميتها في أكثر من آية.

ومن هنا نطرح السؤال التالي: هل أُشير إلى مسألة المصلح العالمي في الكتب السماوية؟

الجواب: إنّ هذه المسألة ليست من مختصّات المسلمين، بل إنّ فكرة ظهور المصلح في آخر الزمان من الأصول الأساسية منذ العصور القديمة، وكانوا يذكرونها بشكل دائم، ففي كتب زرادشت، وكتاب أوستا، وكتاب زند، وكتب اليهود والنصارى، حتى المحرّفة منها ورد فيها ذكر المهدي الموعود والمصلح العالمي^(٢).

وأما أنّ قضية الإمام المهدي ﷺ لم تختص بالشيعّة؛ فلكثرة ذكرها في كتب الجمهور من العامّة، بل في بعض الصحاح منها وإن كانت قد حذفت في الطبعات الجديدة من بعض الصحاح، لكن هي موجودة في النسخ القديمة، ولا يمكن لأحد أن

(١) التاريخ الكبير: ج ٣، ص ٣٤٦.

(٢) أنظر: الإمام المهدي المصلح العالمي المنتظر: ص ١٤-١٥.

يَغْطِي الشَّمْسُ بَغْرِبَالٍ، فَقَدْ وَرَدَ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ^(١)، وَسَنَنُ ابْنِ مَاجَةَ^(٢)، وَسَنَنُ أَبِي دَاوُدَ^(٣). وَأَمَّا صَحِيحُ مُسْلِمٍ وَالنَّسَائِيِّ، فَقَدْ حُذِفَ مِنْهُمَا؛ وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا نَقَلَهُ بَعْضُ الْمَتَأَخِّرِينَ عَنْ مُسْلِمٍ فِي كِتَابِهِمْ، مِثْلُ ابْنِ حَجَرٍ فِي الصَّوَاغِقِ الْمَحْرَقَةِ^(٤)، وَالْمَتَّقِيِّ الْهِنْدِيِّ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ^(٥) وَغَيْرِهِمْ، حَيْثُ نَقَلُوا الْحَدِيثَ فِي الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَمِثْلُهُ النَّسَائِيُّ حَيْثُ حُذِفَ مِنْهُ، وَلَكِنْ نَقَلَ عَنْهُ صَاحِبُ عَقْدِ الدَّرَرِ حَدِيثَ «الْمَهْدِيِّ مَتَّى»^(٦).

وَالْخُلَاصَةُ مَجْمُوعٌ مَا رَوَاهُ الْفَرِيقَانِ فِي الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٦٠٠٠) رَوَايَةً عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهَذَا الْكَمُّ الْهَائِلُ مِنَ الرِّوَايَاتِ يَجْعَلُ كُلَّ مَنْصِفٍ يَذْعَنُ بِالْقَضِيَةِ.

(١) أَنْظُرْ: سَنَنُ التِّرْمِذِيِّ: ج ٣، ص ٣٤٣، (بَابُ ٤٤، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمَهْدِيِّ)، ح ٢٣٣٣، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، قَالَ: خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِينِنَا حَدَثَ فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: «إِنَّ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ يُخْرِجُ يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا - زَيْدُ الشَّائِكِ - قَالَ: قُلْنَا: وَمَا ذَاكَ. قَالَ: سَنِينَ، قَالَ: فَيَجِيءُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ يَا مَهْدِيَّ أَعْطِنِي أَعْطِنِي، قَالَ فَيَحِثِّي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ»، هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٢) أَنْظُرْ: سَنَنُ ابْنِ مَاجَةَ: ج ٢، ص ١٣٦، ح ٤٠٨٣، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ، إِنْ قَصُرَ، فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَتِسْعٌ، فَتَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ. تَوْتَى أَكْلُهَا، وَلَا تَدْخُرُ مِنْهُمْ شَيْئًا، وَالْمَالُ يَوْمُئِذٍ كَدُوسٌ، فَيَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيَّ، أَعْطِنِي. فَيَقُولُ: خُذْ».

(٣) أَنْظُرْ: سَنَنُ أَبِي دَاوُدَ: ج ٢، ص ٣١٠، ح ٤٢٨٤، بِسَنَدِهِ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، يَقُولُ: «الْمَهْدِيُّ مِنْ عَتَرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ».

(٤) أَنْظُرْ: الصَّوَاغِقُ الْمَحْرَقَةُ: ص ١٦٤.

(٥) أَنْظُرْ: كَنْزُ الْعَمَالِ: ج ١٤، ص ٥٩١، ح ٣٩٦٧٥.

(٦) أَنْظُرْ: عَقْدُ الدَّرَرِ فِي أَخْبَارِ الْمُنْتَظَرِ: ص ٣٣، وَجَاءَ فِيهِ - بَعْدَ أَنْ نَقَلَ الْحَدِيثَ -: «أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ، وَالْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ فِي سَنَنِهِ، وَالْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ».

هل أشار القرآن الكريم إلى قضية الإمام المهدي عليه السلام ؟

القرآن الكريم هو أصل لكل المعارف والقوانين، وغالباً ما يشير إلى القضايا بشكل إجمالي كلي، وتبقى التفاصيل على عاتق النبي الأكرم عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام الذين هم عدل القرآن، وهناك آيات شريفة أشارت إلى القضية المهدوية، وقد بيّنتها الروايات الشريفة، نذكر بعضها:

الآية الأولى: قوله عز وجل: ﴿وَرِيدٌ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ أَسْتَضِعُّوْا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١). فقد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه تلا هذه الآية، ثم قال: «هم آل محمد يبعث الله مهديهم بعد جهدهم، فيعزّهم ويدلّ عدوهم»^(٢).

الآية الثانية: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٣). فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «هم أصحاب الإمام المهدي في آخر الزمان»^(٤).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾^(٥). فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه تلا هذه الآية، ثم قال: «هو والله المضطر في كتاب الله»^(٦).

فهذه جملة من الآيات الشريفة المفسرة بروايات أهل البيت عليهم السلام في أنها في الإمام المهدي عليه السلام.

(١) القصص: آية ٥.

(٢) الغيبة (الطوسي): ص ١٨٤، ح ١٤٣.

(٣) الأنبياء: آية ١٠٥.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ج ١، ص ٣٣٢.

(٥) النمل: آية ٦٢.

(٦) تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٧.

لماذا يجب علينا معرفة الإمام المهدي عليه السلام ؟

إن معرفة الإمام عليه السلام لها أهميتها الكبرى؛ لما يترتب عليها من آثار مهمة نوجزها فيما يلي:

١- الصون من الانحراف والضلال

فمعرفة الإمام عليه السلام تأخذ أهميتها في الوقت الذي يشعر به الناس بشدة الابتلاءات والفساد والضلالة على أثر ابتعادهم عن إمامهم عليه السلام، وأن الخلاص من هذا المأزق الخطير سوف لن يكون إلا عن طريق الاقتداء بالإمام عليه السلام، ومن هنا روي عن إمامنا الكاظم عليه السلام أنه قال: «ما ترك الله ﷻ الأرض بغير إمام قط منذ قبض آدم عليه السلام مُهْتَدًى به إلى الله ﷻ، وهو الحجة على العباد، مَنْ تركه ضلَّ، وَمَنْ لَزِمه نجا، حقاً على الله ﷻ»^(١).

ولأجل ذلك علينا أن ندعو في هذا الزمان بهذا الدعاء المروي عن عبد الله بن بكير، عن زرارة قال: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ لِلْغُلَامِ غَيَّةً قَبْلَ أَنْ يَقُومَ، قَالَ: قُلْتُ: وَلَمْ يَقَالَ: يَخَافُ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى بَطْنِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا زُرَّارَةُ، وَهُوَ الْمُتَنَظِّرُ، وَهُوَ الَّذِي يُشَكُّ فِي وَلَادَتِهِ. مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَاتَ أَبُوهُ بِلَا خَلْفٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: حُمِلَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ وُلِدَ قَبْلَ مَوْتِ أَبِيهِ بِسِتَتَيْنِ وَهُوَ الْمُتَنَظِّرُ. غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُحِبُّ أَنْ يَمْتَحِنَ الشَّيْعَةَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَرْتَابُ الْمُبْطِلُونَ يَا زُرَّارَةُ. قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الزَّمَانَ أَيَّ شَيْءٍ أَعْمَلُ؟ قَالَ: يَا زُرَّارَةُ، إِذَا أَدْرَكْتَ هَذَا الزَّمَانَ فَادْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي. ثُمَّ قَالَ: يَا زُرَّارَةُ، لَا بَدَّ مِنْ قَتْلِ غُلَامٍ بِالْمَدِينَةِ! قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَلَيْسَ يَقْتُلُهُ جَيْشُ السُّفْيَانِيِّ؟

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٢٢١، ح ٢.

قَالَ: لَا، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ جَيْشُ آلِ بَنِي يُحْيِيءُ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ فَيَأْخُذُ الْعُلَامَ فَيَقْتُلُهُ، فَإِذَا قَتَلَهُ بَغِيًّا وَعُدُوْنَا وَظُلْمًا لَا يُمَهِّلُونُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَقُّعُ الْفَرَجِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(١).

٢. المنع من بطلان العمل

لا ريب في أن قبول الأعمال والمنع من بطلانها يكون في قبول ولاية الأئمة المعصومين عليهم السلام، وحالها - من باب التقريب - كسائر الشرائط من الاستقبال والطهارة والوقت وغيرها، فكما أن الأعمال تقع باطلة فيما لو فقدت شرطاً أو جزءاً، فكذا الحال هنا، وهذا صريح الأحاديث المروية عن أئمة الهدى عليهم السلام، فعن زرارة، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال: «بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل لأنّها مفتاحهنّ، والوالي هو الدليل عليهنّ... أما لو أن رجلاً قام ليّله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله فيؤاليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله (جلّ وعزّ) حقٌّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان»^(٢).

٣. الوصول إلى السعادة الأبدية

لا شك أن الحياة السعيدة لا يمكن لنا أن ندرکها إلا عن طريق المدرك لها، وليس المدرك لها إلا خالقها، وقد بين لنا الشارع المقدّس أن الحياة السعيدة لا تكون إلا بموالاته أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فقد روى الطبراني عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيِيَ حَيَاتِي، وَيَمُوتَ مَوْتِي، وَيَسْكُنَ جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَنِي رَبِّي، فَإِنَّ رَبِّي ﷻ غَرَسَ قَصَبَاتَهَا بِيَدِهِ، فَلْيَتَوَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه)؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْرُجَكُمْ

(١) الكافي: ج ١، ص ٣٣٧، ح ٥.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٩، ح ٥.

من هديي، ولن يدخلكم في ضلالة»^(١)، ومن الطبيعي أن هذه الولاية موقوفة على التعرّف على شخص الإمام في كلّ زمان.

٤. النجاة من الميتة الجاهلية

ومن آثار معرفة الإمام عليه السلام أيضاً النجاة من الموت بالميتة الجاهلية، التي تواترت الروايات من الفريقين، بأنّ الذي يموت من دون أن يعرف إمام زمانه يموت ميتة جاهلية، فقد روى الشيخ الكليني رحمته الله عن الحارث بن المغيرة قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية؟ قال: نعم. قلت: جاهلية جهلاء، أو جاهلية لا يعرف إمامه؟ قال: جاهلية كفر ونفاق وضلال»^(٢)، فقد دلّ هذا الخبر على أن إنكارهم مستلزم للميتة الجاهلية المستلزم لدخول النار^(٣).

ولمّا كان للكفر معانٍ، منها الكفر بالله واليوم الآخر، أعني إنكارهما رأساً، وهو إنكار أصل الإيمان، ومنها الضلال والارتداد، أعني الخروج عن طريق الحقّ بعد الدخول فيه، وتركه بعد طلبه، وقد لوح عليه السلام إلى ما هو المقصود ههنا، فإنّ مَنْ اعترف بهذا الشرع وأنكر إمام الحقّ اعترف بوجوب الإيمان وضلّ عن طريقه، لزعمه أنّ طريقه ما سلكه، فهو كافر بهذا المعنى لا بالمعنى الأوّل وإن كانا متشاركين في الخلود في النار^(٤).

وقال العلامة المجلسي رحمته الله - في شرحه للحديث -: «ظاهرة على ما ذهب إليه الإمامية

(١) المعجم الكبير: ج ٥، ص ١٩٤. الكافي: ج ١، ص ٢٠٩، ح ٥.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٣٧٧، ح ٣. وأنظر: هذا المضمون في المصادر التالية: مسند أحمد: ج ٤، ص ٩٦. مجمع الزوائد: ج ٥، ص ٢١٨. المعجم الكبير: ج ١٩، ص ٣٨٨. مسند الشاميين: ج ٢، ص ٤٣٧، ح ١٦٥٤.

(٣) أنظر: شرح أصول الكافي (المازندراني): ج ٥، ص ١٤٦.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ج ٦، ص ٣٥٥.

من أن إمام زماننا هذا هو مولانا الإمام الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام، ومخالفوهم من أهل السنة يشنعون عليهم: بأنه إذا لم يمكن التوصل إليه، ولا أخذ المسائل الدينية عنه فأي ثمرة تترتب على مجرد معرفته حتى يكون من مات وليس عارفاً به فقد مات ميتة جاهلية؟ والإمامية يقولون: ليست الثمرة منحصرة في مشاهدته وأخذ المسائل عنه، بل نفس التصديق بوجوده عليه السلام، وأنه خليفة الله في الأرض أمر مطلوب لذاته، وركن من أركان الإيمان، كتصديق من كان في عصر النبي صلى الله عليه وآله بوجوده ونبوته^(١).

يا صاحب العصر - أدركنا فليس لنا	ورد هني ولا عيش لنا رغد
طالت علينا ليالي الانتظار فهل	يا ابن الزكي ليل الانتظار غد
فاكحل بطلعتك الغرا لنا مقللاً	يكاد يأتي على إنسانها الرمد ^(٢) .

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ٤، ص ٢٧.

(٢) ديوان سيد رضا الهندي: ص ٤٥.

تمّ الجزء الخامس من كتابي مُعين الخطباء في حلّته الجديدة،
وبه تمام الكتاب بتوفيق الله الملك الوهاب،
والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

كاظم البهادلي

قم المقدّسة

ليلة النصف من شهر شعبان المعظم

مولد بقيّة الله الأعظم ﷺ، سنة ١٤٢٨هـ.

فهرست المصادر

- * القرآن الكريم، كتاب الله تبارك وتعالى.
- * نهج البلاغة، الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام المستشهد سنة (٤٠هـ)، تحقيق الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- * الصّحيفة السّجادية، الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام المستشهد سنة (٩٥هـ)، المطبعة والناشر جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.
- أ -

١. ابتلاءات الأمم: سعيد أيوب (معاصر)، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، منشورات دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
٢. إِبصار العين في أنصار الحسين: الشيخ محمد السماوي (ت ١٣٧٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبسي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٣٧٧ش، منشورات حرس الثورة الإسلامية.
٣. الأحاد والمثاني: ابن أبي عاصم الضحّاك (ت ٢٨٧هـ)، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، منشورات درّ الدراية للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية - الرياض.
٤. الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، (ت ٥٤٨هـ)، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان، منشورات مطابع النعمان - النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٥. أحكام القرآن: أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٦. الأخبار الطوال: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، الدكتور جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى ١٩٦٠م، منشورات دار إحياء الكتب العربي، منشورات الشريف الرضي.
٧. الاختصاص: الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، انتشارات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة.
٨. إختيار معرفة الرجال: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق: ميرداماد الأسترابادي، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، سنة الطبع ١٤٠٤هـ، منشورات مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة.
٩. الأخلاق الحسينيّة، جعفر البياضي (معاصر)، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، منشورات أنوار الهدى.
١٠. أخلاق أهل البيت عليهم السلام: السيّد مهدي الصدر، (حي لسنة ١٣٩٠هـ)، منشورات دار الكتاب الإسلامي.
١١. الأخلاق والآداب الإسلامية: هيئة محمد الأمين، مطبعة سيّد الشهداء، الطبعة الثانية، قم المقدّسة، ١٤٢١هـ.
١٢. الأخلاق والآداب الإسلامية: هيئة محمّد الأمين عليه السلام، الطبعة الثانية، قم المقدّسة، ١٤٢١هـ.
١٣. الأخلاق والآداب الإسلامية، هيئة محمّد الأمين، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م،

مكتبة الأمين، قم - إيران.

١٤. الإخوان: ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن طوالبه، بإشراف نجم

عبد الرحمن خلف، انتشارات دار الاعتصام.

١٥. أدب الإملاء والاستملاء: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد منصور التميمي السمعاني

(ت ٥٦٢هـ)، شرح ومراجعة: سعيد محمد اللحام، بإشراف مكتب الدراسات

والبحوث العربية والإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، منشورات دار

ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان.

١٦. أدب الطف: السيد جواد شبر، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، دار المرتضى،

بيروت - لبنان.

١٧. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م،

منشورات مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.

١٨. الأذكار النووية: محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت ٦٧٦هـ)،

١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

١٩. الأربعون حديثاً: السيد روح الله الموسوي الخميني (ت ١٤٠٩هـ)، ترجمة: السيد

محمد الغروي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم المقدسة.

٢٠. الأربعون حديثاً: محمد بن جمال الدين مكي العاملي الجزيني (الشهيد الأول)

(ت ٧٨٦هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، برعاية: السيد محمد باقر

الموحد الأبطحي الأصفهاني، قم المقدسة ١٤٠٧هـ.

٢١. الإرشاد: الشيخ المفيد محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة

آل البيت (عليهم السلام)، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٢. أسباب النزول (الواحي): أبو الحسن علي بن أحمد الواحي النيسابوري، (ت ٤٦٨هـ) مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع - القاهرة.
٢٣. الاستبصار: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الرابعة ١٣٦٣هـ.ش، منشورات دار الكتب الإسلامية، طهران.
٢٤. الاستيعاب: ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد الياوي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، منشورات دار الجليل، بيروت - لبنان.
٢٥. أسد الغابة: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
٢٦. الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي (معاصر)، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، منشورات مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة للسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، قم المقدسة.
٢٧. أصول الفلسفة والمنهج الواقعي: العلامة محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، تقديم وتعليق: الشهيد مرتضى المطهري، ترجمة: السيد عمار أبو رغيف، منشورات المؤسسة العراقية للنشر والتوزيع.
٢٨. أضواء البيان: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، بيروت - لبنان.
٢٩. إعانة الطالبين: السيد البكري الدمياطي (ت ١٣١٠هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار الفكر - بيروت.

٣٠. الاعتقادات في دين الإمامية: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣١٨هـ)، نشر وتحقيق: غلام رضا المازندراني، المطبعة العلمية، قم ١٤١٢هـ.
٣١. أعلام الدين في صفات المؤمنين: الحسن بن أبي الحسن الديلمي (المتوفى في القرن الثامن الهجري)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.
٣٢. إعلام الوري: الشيخ الفاضل الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٤٥٨هـ)، طبع ونشر وتحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٣٣. الأعلام: خير الدين الزركلي (ت ١٤١٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.
٣٤. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، منشورات دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.
٣٥. إقبال الأعمال: السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: محمد جواد القيومي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي.
٣٦. الأقسام في القرآن الكريم: الشيخ جعفر السبحاني (معاصر)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، منشورات مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة.
٣٧. إقناع اللائم: السيد محسن الأمين (ت ١٣٧هـ)، تحقيق: محمود البدر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، المطبعة پاسدار إسلام، انتشارات مؤسسة المعارف الإسلامية.
٣٨. إكسير المحبة: مجهولة.
٣٩. الإلهيات: الشيخ جعفر السبحاني (معاصر)، تلخيص: علي الرباني الكلبيكاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، طبعة عام ١٤١٨هـ.
٤٠. أمالي السيد المرتضى: الشريف أبو القاسم علي بن الطاهر أبو أحمد الحسين (ت ٤٣٦هـ).

هـ)، صححه وضبط ألفاظه وعلّق حواشيه: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧ م، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم- إيران ١٤٠٣ هـ.

٤١. الأُمالي: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة - قم، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، نشر: دار الثقافة.

٤٢. الأُمالي: الشيخ المفيد، محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: حسين الإستادومي، علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م، منشورات دار المفيد، بيروت - لبنان.

٤٣. الأُمالي: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: مؤسسة البعثة - قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

٤٤. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: الشيخ أسد حيدر، الطبعة الرابعة ١٤١٣ هـ منشورات مكتبة الصدر، طهران.

٤٥. الإمامة تلك الحقيقة القرآنية: الدكتور زهير بيطار (معاصر)، منشورات دار السيرة، بيروت - لبنان ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م.

٤٦. الإمامة والتبصرة: ابن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق (ت ٣٢٩ هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام قم المقدّسة.

٤٧. الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: طه محمد الزيني، منشورات مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع.

٤٨. الإمامة والسياسة: أبو محمد عبد الله ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: الأستاذ علي شيري، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، انتشارات الشريف الرضي، قم.

٤٩. الأمان من أخطار الأسفار: السيد ابن طاووس علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، قم المقدسة.

٥٠. الإنصاف فيما تضمنه الكشف: ابن المنير الأسكندري (ت ٦٨٣هـ)، منشورات مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٥١. أنوار البدرين: الشيخ عليّ البحراني (ت ١٣٤٠هـ)، تحقيق: محمد علي الطبسي، سنة الطبع ١٣٧٧هـ، في مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

٥٢. الأنوار البهية: الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، تحقيق: ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٥٣. الأنوار القدسية: الشيخ محمد حسين الأصفهاني (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق: الشيخ علي النهاوندي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم - إيران.

٥٤. آيات منتخبة من القرآن الكريم: السيد مهدي الخطيب الهنداوي (ت ١٤٢٧هـ)، مطبعة ستارة - قم المقدسة.

٥٥. إيضاح الفوائد: فخر المحققين محمد بن الحسن بن المطهر الحلي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسين الموسوي الكرمانی، الشيخ علي پناه الأشتهاردي، الشيخ عبد الرحيم البروجردی، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ، المطبعة العلمية، قم المقدسة.

- ب -

٥٦. الباب الحادي عشر: العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ)، انتشارات المصطفوي - قم المقدسة.

٥٧. بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ،

مطبعة مؤسسة الوفاء، بيروت.

٥٨. بداية المعارف الإلهية: السيد محسن الخرازي (معاصر)، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ،

منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

٥٩. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٠. بشارة المصطفى: محمد بن علي الطبري الإمامي (ت ٥٢٥هـ)، تحقيق: جواد القيومي

الأصفهاني، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة

المدرسين، قم المقدسة.

٦١. بصائر الدرجات: الشيخ محمد بن الحسن الصفار، (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق: ميرزا محسن

كوجه باغي، الطبعة ١٣٦٢هـ.ش/ ١٤٠٤هـ.ق، منشورات مؤسسة الأعلمي،

طهران.

٦٢. بغية الباحث: الحارث بن أبي سلمة (ت ٢٨٢هـ)، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد

السعدني، منشورات دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصوير، القاهرة.

٦٣. بلاغات النساء: أبو الفضل ابن طاهر، المعروف بابن طيفور (ت ٣٨٠هـ)، منشورات

مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.

٦٤. بناء المقالة الفاطمية: السيد جمال الدين أبي الفضائل أحمد بن موسى بن طاوس

(ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: السيد علي العدناني الغريفي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م،

منشورات مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم المقدسة.

٦٥. بنور فاطمة اهتديت: عبد المنعم حسن (معاصر)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م،

منشورات دار المعروف، بيروت - لبنان.

٦٦. بيت الأحزان: الشيخ عباس القمّي (ت ١٣٥٩هـ)، الطبعة الأولى الجديدة، ١٤١٢هـ منشورات دار الحكمة، قم - إيران.

- ت -

٦٧. تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، الناشر مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.

٦٨. تاريخ الإسلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م. منشورات دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

٦٩. تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء، انتشارات مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.

٧٠. التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ)، منشورات المكتبة الإسلامية، ديار بكر - تركيا.

٧١. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الناشر محمد علي بيضون.

٧٢. تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٤١٥هـ.

٧٣. تأويل الآيات: السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي النجفي (ت ٩٦٥هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام بالحوزة العلمية، قم المقدّسة، الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ/ ١٣٦٦هـ.ش.

٧٤. تبصرة المتعلمين: جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر، المعروف بالعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني والشيخ هادي اليوسفي، الطبعة الأولى ١٣٦٨ش، منشورات فقيه، طهران - إيران.

٧٥. التبيان: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.

٧٦. تحرير الأحكام: جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر، المعروف بالعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، إشراف الشيخ جعفر السبحاني، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، منشورات الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة.

٧٧. التحصيل في أيام التعطيل: السيد علي نقي الطبسي، مجهولة.

٧٨. تحف العقول: ابن شعبة الحرّاني (المتوفى في القرن الرابع الهجري)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر جماعة المدرّسين بقم المقدسة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٧٩. تحفة الأحوذني: أبو العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٢٨٢هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٨٠. التحفة السنية: السيد عبد الله الجزائري (ت ١١٨٠هـ)، مخطوط.

٨١. تخريج الأحاديث والآثار: جمال الدين الزيلعي (ت ٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، المطبعة الرياض، منشورات دار ابن خزيمة.

٨٢. تذكرة الفقهاء: جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر، المعروف بالعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، قم

المقدّسة.

٨٣. تذكرة الموضوعات: محمد طاهر بن علي الفتني الهندي (ت ٩٨٦هـ)، مجهولة.
٨٤. ترتيب إصلاح المنطق: ابن السكّيت الأهوازي (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن بكائي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدّسة - إيران.
٨٥. ترجمة الإمام الحسين (ابن عساكر): أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
٨٦. ترجمة الإمام الحسين (طبقات ابن سعد): محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائي، الطبعة الأولى، منشورات الهدف للإعلام والنشر.
٨٧. التعجّب، أبو الفتح الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: فارس حسن كريم.
٨٨. تفسير ابن أبي حاتم: ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، منشورات المكتبة العصرية.
٨٩. تفسير ابن العربي: ابن العربي، (ت ٦٣٨هـ)، ضبطه وصححه وقّدم له: الشيخ عبد الوارث محمد علي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، منشورات دار الكتب العلمية.
٩٠. تفسير ابن زمين: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن أبي زمين (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق: حسين عكاشة، محمد الكنز، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، منشورات الفاروق الحديثة.
٩١. تفسير ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، قدّم له: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٩٢. تفسير أبي السعود: أبو السعود (ت ٩٥١هـ)، طباعة ونشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٩٣. تفسير أبي حمزة الثمالي: أبو حمزة الثمالي، ثابت بن دينار (ت ١٤٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، الشيخ محمد هادي معرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، منشورات الهادي، قم المقدسة.

٩٤. التفسير الأصفي: المولى محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، المحققان: محمد حسين درايبي ومحمد رضا نعمتي، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ. ق/ ١٣٧٦ ش، منشورات مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.

٩٥. تفسير الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، مجهولة.

٩٦. تفسير الإمام العسكري عليه السلام: المنسوب للإمام العسكري عليه السلام (ت ٢٦٠هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام قم المقدسة.

٩٧. تفسير الأمثل: الشيخ مكارم الشيرازي (معاصر)، طبعة جديدة منقّحة مع إضافات.

٩٨. تفسير البحر المحيط: أبو حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٩٩. تفسير البرهان: السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.

١٠٠. تفسير البغوي: الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: خالد عبد

الرحمن العك، مطبعة ونشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.

١٠١. تفسير البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي

البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٠٢. تفسير التبيان: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد

حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.

١٠٣. تفسير الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري

(ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير

الساعدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت -

لبنان.

١٠٤. تفسير السلمي: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي

(ت ٤١٢هـ)، تحقيق: سيد عمران، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، منشورات

دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٠٥. تفسير السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي (ت ٣٦٧هـ)،

تحقيق: الدكتور محمود مطرجي، منشورات دار الفكر.

١٠٦. تفسير السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت ٤٨٩هـ)،

تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، منشورات دار الوطن، الرياض - السعودية.

١٠٧. التفسير الصافي: محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين

الأعلمي الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ، مطبعة مؤسسة الهادي، قم المقدسة، منشورات

مكتبه الصدر، طهران - إيران.

١٠٨. تفسير العزّ بن عبد السلام: العزّ بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، منشورات دار ابن حزم، بيروت - لبنان.

١٠٩. تفسير العيّاشي: أبو النضر محمد بن مسعود بن عيّاش السلمي، السمرقندي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق: الحاج هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية طهران.

١١٠. تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد بن العليم البردوني، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١١١. تفسير القمّي: عليّ بن إبراهيم القمّي (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيّب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف الأشرف ١٣٨٧هـ، منشورات مكتبة الهدى.

١١٢. التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، الطبعة الثالثة ١٩٨١م، منشورات دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

١١٣. تفسير الميزان: العلامة محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة - قم المقدّسة.

١١٤. تفسير النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٥٣٧هـ)، مجهولة.

١١٥. تفسير جامع البيان: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطّار، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

١١٦. تفسير جوامع الجامع: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٦٠هـ)،
الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين، قم
المقدّسة.

١١٧. تفسير فرات الكوفي: أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ت ٣٥٢هـ)،
تحقيق: محمد الكاظم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

١١٨. تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي القمي (ت ١١٢٥هـ)، تحقيق: مجتبی
العراقي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين، قم
المقدّسة.

١١٩. تفسير مجمع البيان: أمين الاسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي
(ت ٥٦٠هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، بيروت - لبنان.

١٢٠. تفسير مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة،
بدون تاريخ.

١٢١. تفسير مقاتل: مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد، الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٢٢. تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢هـ)،
تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ، مؤسسة
إسماعيليان، قم المقدّسة.

١٢٣. التمهيص: محمد بن همام الإسكافي (ت ٣٣٦هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام
المهدي عليه السلام، قم المقدّسة.

١٢٤. تنبيه الخواطر (مجموعة ورام): أبو الحسين ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري (ت ٦٠٥هـ)، منشورات مكتبة الفقيه، قم - إيران.
١٢٥. تنبيه الغافلين: شرف الإسلام بن سعيد المحسن بن كرامة (ت ٤٩٤هـ)، تحقيق: السيد تحسين آل شبيب، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، منشورات مركز الغدير.
١٢٦. تنزيل الآيات على الشواهد من الآيات: محب الدين الأفندي (ت ١٠١٦هـ)، منشورات مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
١٢٧. تنزيه الأنبياء: السيد المرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان.
١٢٨. تهذيب الأحكام: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، المطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ ش.
١٢٩. تهذيب التهذيب: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٣٠. تهذيب الكمال: جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزني (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.
١٣١. توحيد الإمامية: محمد باقر الملكي (معاصر)، تنظيم: محمد البياباني الأسكوئي، اهتمام على الملكي الميانجي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - مؤسسة الطباعة والنشر.
١٣٢. التوحيد: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، سنة الطبع ١٣٨٧هـ، منشورات جماعة المدرسين،

قم المقدّسة.

-ث-

١٣٣. الثاقب في المناقب: الشيخ ابن حمزة الطوسي (ت ٥٦٠هـ)، تحقيق: الأستاذ نبيل رضا علوان، مطبعة الصدر، قم المقدّسة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، نشر مؤسسة أنصاريان، قم المقدّسة.
١٣٤. ثمرات الأعواد: السيد علي الحسيني الهاشمي النجفي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، انتشارات المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف.
١٣٥. ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، الطبعة الثانية ١٣٦٨ش، المطبعة أمير، منشورات الشريف الرضي، قم.

-ج-

١٣٦. جامع أحاديث الشيعة: السيد حسين البروجردي (ت ١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية ١٣٩٩هـ، قم المقدّسة.
١٣٧. جامع السعادات: محمد مهدي النراقي (ت ١٢٠٩هـ)، تحقيق وتعليق: السيد محمد كلانتر، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر، الطبعة الرابعة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.
١٣٨. جامع الشتات: محمد إسماعيل بن الحسين المازندراني الخواجوي (ت ١١٧٣هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، منشورات سلسلة آثار المحقق الخواجوي.
١٣٩. الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٤٠. جامع المقاصد: المحقّق الكرّكي (ت ٩٤٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، قم المقدّسة.
١٤١. جذوة من شعراء أمّ الحمام: الشيخ عبد الحميد المرهون (معاصر)، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، مطبعة دار المصطفى لإحياء التراث.
١٤٢. جمال الأسبوع: السيد علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي، الطبعة الأولى ١٣٧١ش، المطبعة أختّر شمال.
١٤٣. الجمل: الشيخ محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المعروف بالمفيد (ت ٤١٣هـ)، مكتبة الداوري، قم - إيران.
١٤٤. جوامع الجامع: الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
١٤٥. جواهر الكلام: الشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوجاني، الطبعة الثانية ١٣٦٦ش، منشورات دار الكتب الإسلامية - طهران.
١٤٦. جواهر المطالب: محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي (ت ٨٧١هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدّسة.

-ح-

١٤٧. حاشية رد المختار: ابن عابدين (ت ١٢٥٢)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، سنة الطبع: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

١٤٨. حاشية رفيع الدين النائيني على أصول الكافي: رفيع الدين محمد بن حيدر النائيني (ت ١٠٨٢ هـ)، تحقيق: محمد حسين الدرايتي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ١٣٨٢ هـ. ش، منشورات دار الحديث للطباعة والنشر.
١٤٩. الحقائق الناضرة: الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ)، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.
١٥٠. الحديقة الهلالية: محمد بن الحسين العاملي المعروف بالشيخ البهائي (ت ١٠٣٠ هـ)، تحقيق: السيد علي الخراساني، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ، منشورات مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم المشرفة.
١٥١. حقيقة علم آل محمد وجهاته، السيد عاشور (معاصر)، مجهولة.
١٥٢. حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، تحقيق: الشيخ غلام الرضا البروجردي، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، منشورات مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة.
١٥٣. حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين محمد بن موسى الدميري (ت ٨٠٨ هـ) الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان.
١٥٤. الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة.

-خ-

١٥٥. خزانة الأدب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، تحقيق: محمد نبي طريفي، إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٥٦. الخصال: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، ١٤٠٣هـ، قم المقدّسة.

١٥٧. خصائص الأئمة: الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق: د. محمد هادي الأميني، نشر: مجمع البحوث الإسلامية في الإستانة الرضوية المقدّسة - مشهد المقدّسة، طبعة عام ١٤٠٦هـ.

١٥٨. الخصائص العباسية: الحاج محمد إبراهيم الكلباسي، الطبعة الأولى ١٣٧٨ش / ١٤٢٠هـ، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم المقدّسة.

١٥٩. خصائص الوحي المبين: يحيى بن الحسن الأسدي، المعروف بابن البطريق (ت ٦٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، منشورات دار القرآن.

- د -

١٦٠. الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار المعرفة: الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ.

١٦١. الدرّ النضيد: السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، الطبعة الأولى ١٣٧٨ش، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة.

١٦٢. الدرّ النظيم: ابن حاتم العاملي، (ت ٦٦٤هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

١٦٣. الدرة الباهرة: محمّد بن جمال الدين مكّي العاملي الجزيني (الشهيد الأول) (ت ٧٨٦هـ)، الطبعة الأولى ١٣٧٩ش، منشورات زائر - قم المقدّسة.

١٦٤. الدرجات الرفيعة: السيد علي خان المدني (ت ١١٢٠هـ)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات مكتبة بصيرتي، ١٣٩٧هـ، قم المقدسة.
١٦٥. الدروع الواقية: السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، سنة ١٤١٤هـ.
١٦٦. دعائم الإسلام: القاضي النعمان المصري (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، منشورات دار المعارف القاهرة ١٩٦٣م.
١٦٧. الدعوات: أبو الحسين سعيد بن هبة الله المشهور بـ قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، منشورات مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة.
١٦٨. دلائل الإمامة: الشيخ محمد بن جرير الطبري الإمامي، المتوفى أوائل القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، مؤسسة البعثة، قم المقدسة.
١٦٩. ديوان دعل الخزاعي: دعل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
١٧٠. ديوان سيد رضا الهندي: السيد رضا الموسوي الهندي (ت ١٣٦٢هـ)، تحقيق: السيد موسى الموسوي، مراجعة وتعليق: السيد عبد الصاحب الموسوي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان.
١٧١. ديوان مفاتيح الدموع: الشيخ محمد سعيد المنصوري (ت ١٤٢٨هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، الناشر ولده المرحوم عبد الحسين المنصوري.
١٧٢. ديوان ميراث المنبر: الشيخ محمد سعيد المنصوري (ت ١٤٢٨هـ)، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، طبع ونشر: دار المنصوري.

-ذ-

١٧٣. الذريعة: الشيخ آقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان.
١٧٤. ذوب النصار: ابن نما الحلّي (ت ٦٤٥هـ)، تحقيق: فارس حسّون كريم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

-ر-

١٧٥. رسالة الشيخ المفيد حول حديث نحن معاشر الأنبياء لا نورث: الشيخ محمد بن النعمان البغدادي المشهور بالمفيد (ت ٤١٣هـ)، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، دار المفيد، بيروت - لبنان.
١٧٦. رسائل الشهيد الثاني، الشيخ زين الدين الجبعي العاملي المعروف بالشهيد الثاني (ت ٩٦٦هـ)، الطبعة الحجرية، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدّسة.
١٧٧. الركب الحسيني: مجموعة (معاصرة) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ، إعداد ونشر: مركز الدراسات الإسلامية ممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية، قم المقدّسة.
١٧٨. روضة الواعظين، محمّد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ)، تحقيق: السيد محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة.
١٧٩. رياض السالكين، السيد علي خان المدني الشيرازي (ت ١١٢٠هـ)، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة.
١٨٠. رياض المدح والثناء: الشيخ حسين علي سلمان البلادي البحراني، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ، انتشارات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

-ز-

١٨١. زاد المسير: أب الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٨٢. زبدة البيان: أحمد بن محمد، الشهير بالمقدّس الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ)، حققه وعلّق عليه: محمد الباقر البهبودي، عنيت بنشره المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران - ناصر خسرو.

١٨٣. زهر الربيع: السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ)، مجهولة.

١٨٤. زيارة الإمام الحسين عليه السلام (بحث استدلاي في روايات الوجوب)، الشيخ رافد التميمي (معاصر)، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ، منشورات مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية.

-س-

١٨٥. سبائك السبّاك: الحاج معين السبّاك (ت ١٤٢٣هـ)، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، المطبعة محمد.

١٨٦. سبل السلام: محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) منشورات دار الفكر، تحقيق: الشيخ محمد عبد العزيز الخولي، الطبعة الرابعة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م، منشورات شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - محمود نصار الحلبي وشركائه.

١٨٧. سر السلسلة العلوية: أبو نصر البخاري (ت ٣٤١هـ)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٣٧١ش، انتشارات الشريف الرضي، قم

المقدّسة.

١٨٨. سفير الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام، العلامة الشيخ عبد الواحد المظفر الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، مطبعة الآداب في النجف الأشرف.

١٨٩. سفينة البحار: الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، مطبعة دار الأسوة، قم المقدّسة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

١٩٠. السقيفة وفدك: أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهرى البصري البغدادي (ت ٣٢٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمد هادي الأميني، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، بيروت.

١٩١. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

١٩٢. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، منشورات دار الفكر.

١٩٣. سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح: عبد الوهّاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

١٩٤. سنن الدارمي: عبد الله بن بهرام الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، مطبعة الاعتدال، دمشق.

١٩٥. السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

١٩٦. سنن النبي: العلامة محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمد

هادي الفقهي، ١٤١٩هـ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي.

١٩٧. سياسة الحسين: الشيخ عبد العظيم الربيعي (ت ١٣٩٩هـ)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، منشورات المكتبة الحيدريّة، قم المقدّسة.

١٩٨. سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق: ثامون صاغر جي العرقسوسي، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ، منشورات الرسالة، بيروت - لبنان.

١٩٩. سيرة الأئمة: الشيخ مهدي البيشوائي (معاصر)، تعريب: حسين الواسطي، طباعة ونشر مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، تقديم: الشيخ جعفر السبحاني. ٢٠٠. السيرة الحلبيّة: أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، نور الدين ابن برهان الدين (ت ١٠٤٤هـ)، سنة الطبع ١٤٠٠هـ، المطبعة بيروت، دار المعرفة، منشورات دار المعرفة.

٢٠١. السيرة المحمدية: الشيخ جعفر السبحاني (معاصر)، تعريب: جعفر الهادي، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ، المطبعة والناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدّسة. ٢٠٢. السيرة النبوية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٤٧هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، منشورات دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٧٦م، بيروت - لبنان.

- ش -

٢٠٣. الشافي في الإمامة: السيد مرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦هـ)، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، منشورات مؤسسة إسماعيليان، قم المقدّسة.

٢٠٤. شجرة طوبى: الشيخ محمد مهدي الحائري (ت ١٣٦٩هـ)، الطبعة الخامسة ١٣٨٥هـ، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها، النجف الأشرف.

٢٠٥. شرائع الاسلام: أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن، المشتهر بـ المحقق الحلي (ت ٦٧٦هـ)، مع تعليقات السيد صادق الشيرازي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، انتشارات استقلال، طهران - ناصر خسرو، ١٩٨٣م/ ١٤٠٣هـ، طبع بموافقة مؤسسة الوفاء، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.
٢٠٦. شرح إحقاق الحقّ: السيد المرعشي (ت ١٤١١هـ)، تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم - إيران.
٢٠٧. شرح أصول الكافي: المولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ).
٢٠٨. شرح الأخبار، النعمان بن مُحَمَّد التميمي (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلال، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة.
٢٠٩. شرح الأزهار، أحمد المرتضى (ت ٨٤٠هـ)، منشورات غمضان، صنعاء ١٤٠٠هـ.
٢١٠. شرح التجريد: العلامة الحليّ (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق الشيخ حسن زاده آملّي، الطبعة السابعة ١٤١٧هـ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة.
٢١١. شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الاسترآبادي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات مؤسسة الصادق، طهران ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
٢١٢. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العزّ الحنفي (ت ٧٩٢هـ)، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
٢١٣. الشرح الكبير: عبد الرحمن بن قدامة (ت ٦٨٢هـ)، الطبعة الجديدة بالأوفست، منشورات دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
٢١٤. شرح رسالة الحقوق: السيد حسن القبانجي (ت ١٤١١هـ)، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

٢١٥. شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: كمال الدين ميثم بن علي البحراني (ت ٦٧٩هـ)، تحقيق: مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة.

٢١٦. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة منشورات المرعشي النجفي، نشر: دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

٢١٧. الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: محاضرات الشيخ محمد السند (معاصر)، بقلم السيد رياض الموسوي، الطبعة الأولى، منشورات دار الغدير ١٤٢٤هـ، قم المقدّسة.

٢١٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي أبو الفضل عيّاض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

٢١٩. الشفاء الروحي: عبد اللطيف البغدادي (معاصر).

٢٢٠. شواهد التنزيل: عبيد الله بن أحمد، المعروف بالحاكم الحسكاني (المتوفى في القرن الخامس الهجري)، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، طهران - إيران.

- ص -

٢٢١. الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م، منشورات دار العلم للملايين، القاهرة.

٢٢٢. صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب

الأرنؤوط، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، منشورات مؤسسة الرسالة.
٢٢٣. صحيح ابن خزيمة: أبو بكر، محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٢١١هـ)، تحقيق:
الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، منشورات
المكتب الإسلامي.

٢٢٤. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٢٥. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)،
دار الفكر، بيروت - لبنان.

٢٢٦. الصراط المستقيم: الشيخ زين الدين أبو محمد علي بن يونس العاملي النباطي
البياضي (ت ٨٧٧هـ)، صحَّحه وحقَّقه وعلَّق عليه: محمد الباقر البهبودي، عنيت
بنشره المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ.

٢٢٧. الصوارم المهرقة: الشهيد نور الله التستري (ت ١٠١٩هـ)، تحقيق: جلال الدين
المحدِّث، سنة الطبع ١٣٦٧، مطبعة نهضت.

٢٢٨. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: أحمد بن حجر الهيتمي المكي
(ت ٩٧٤هـ)، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، منشورات مكتبة القاهرة لصاحبها:
علي يوسف سليمان، ميدان الأزهر - مصر.

- ط -

٢٢٩. الطبقات الكبرى: ابن سعد (ت ٣٠هـ)، دار الصادر، بيروت - لبنان.
٢٣٠. الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف: السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الطبعة
الأولى ١٣٩٩هـ، المطبعة خيام، قم المقدسة.

٢٣١. الطريق إلى منبر الحسين: الخطيب المرحوم الشيخ عبد الوهاب الكاشي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدّسة.

-ع-

٢٣٢. عدة الداعي: ابن فهد الحلي (ت ٨٤١هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد الموحيدي القمي، منشورات مكتبة وجداني، قم المقدّسة.

٢٣٣. العدد القويّة: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، منشورات المرعشي النجفي.

٢٣٤. العروة الوثقى: السيد محمد كاظم اليزدي (ت ١٣٣٧هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، قم المقدّسة.

٢٣٥. العقد النضيد والدرّ الفريد: مُحمّد بن الحسن القمي (المتوفّى في القرن السابع الهجري)، تحقيق: عليّ أوسط الناطقي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، منشورات دار الحديث للطباعة والنشر.

٢٣٦. العقلية زينب والفواطم: الحاج حسين الشاكري (ت ١٤٣٠هـ)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، منشورات المؤسسة الإسلامية للتبليغ والإرشاد، قم المقدّسة.

٢٣٧. علل الترمذي: محمد بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، طباعة ونشر دار الفكر، بيروت - لبنان.

٢٣٨. علل الشرائع: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، النجف الأشرف.

٢٣٩. علوم القرآن: السيد محمد باقر الحكيم (ت ١٤٢٤هـ)، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

منشورات مجمع الفكر الإسلامي.

٢٤٠. عمدة الطالب: جمال الدين أحمد بن علي المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨هـ)، تحقيق:

محمد حسن آل الطالقاني، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

٢٤١. عمدة القارئ: بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ)، مطبعة ونشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢٤٢. العمدة: ابن البطريق يحيى بن الحسن الأسدي (ت ٦٠٠هـ)، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي ١٤٠٧هـ، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

٢٤٣. العهود المحمّدية: عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ)، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢٤٤. العوالم: الشيخ عبد الله البحراني (ت ١١٣٠هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، قم المقدّسة.

٢٤٥. عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الإحسائي (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق: آقا مجتبی العراقي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٢٤٦. عين الحياة: العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، ترجمة وتحقيق: السيّد هاشم الميلاني، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة.

٢٤٧. عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان.

٢٤٨. عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الكليني الواسطي (المتوفى في القرن السادس

الهجري)، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة الأولى منشورات دار الحديث.

٢٤٩. عيون المعجزات: الشيخ حسين بن عبد الوهاب (المتوفى في القرن الخامس هجري)، تاريخ النشر ١٣٦٩هـ، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

-غ-

٢٥٠. الغارات: إبراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣هـ)، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث.

٢٥١. غاية المرام: السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: السيد عاشور.

٢٥٢. الغدير: الشيخ عبد الحسين الأميني (ت ١٣٩٢هـ)، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

٢٥٣. غرر الحكم: الشيخ أبو الفتح عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الأمدي الإمامي (ت ٥١٠هـ)، مجهولة.

٢٥٤. الغيبة: الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني (ت ٣٨٠هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، طبع ونشر مكتبة الصدوق، طهران.

٢٥٥. الغيبة: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: عباد الله الطهراني والشيخ علي أحمد الناصح، المطبعة بهمن، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، منشورات مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة.

-ف-

٢٥٦. الفايق في غريب الحديث: جابر الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٥٧. فتح الأبواب: أبو القاسم علي بن موسى بن طاووس الحسني (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: حامد الخفاف، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، منشورات مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان.

٢٥٨. فتح الباري: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) الطبعة الثانية، طباعة ونشر دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٢٥٩. فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ)، منشورات عالم الكتب.

٢٦٠. فرج المهموم: السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، منشورات الشريف الرضي، سنة الطبع ١٣٦٣ش، قم المقدسة.

٢٦١. الفرج بعد الشدة: القاضي أبو علي المحسن ابن أبي القاسم التنوخي (ت ٣٨٤هـ)، الطبعة الثانية، منشورات الشريف الرضي.

٢٦٢. فرحة الغري: السيّد عبد الكريم بن طاووس الحسيني (ت ٦٩٣هـ)، تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

٢٦٣. الفصول المختارة: الشيخ محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالمفيد (ت ٤١٣هـ)، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، تحقيق: السيد علي مير شريف، منشورات دار المفيد.

٢٦٤. الفصول المهمة في أصول الأئمة: الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق وإشراف: محمد القائني، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، منشورات مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام.

٢٦٥. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصبّاغ المالكي (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق: الشيخ سامي الغريبي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، منشورات دار الحديث للطباعة والنشر.
٢٦٦. فضائل الشيعة: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، منشورات كانون عابدي، طهران - إيران.
٢٦٧. فضائل الصحابة: النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٢٦٨. فقه الإمام جعفر الصادق: الشيخ محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ، دار الجواد، منشورات دار التعارف، بيروت - لبنان.
٢٦٩. فقه الرضا (الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام): علي بن بابويه القمي، (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم المشرفة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ منشورات المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدسة.
٢٧٠. فقه القرآن: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة.
٢٧١. فهرست منتجب الدين: الشيخ منتجب الدين ابن بابويه (ت ٥٨٥هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين محدث الأرموي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة.
٢٧٢. في رحاب التوبة: السيد محمد مجاهد، تحقيق: ناصر الباقر البيدهندي، الطبعة الأولى ١٣٧٧ش، انتشارات زائر.
٢٧٣. فيض القدير: محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٣٣١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

-ق-

٢٧٤. القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، مجهولة.
٢٧٥. القرآن وإعجازه العلمي: إسماعيل إبراهيم (معاصر)، منشورات دار الفكر العربي.
٢٧٦. قرب الإسناد: السيد الحميري أبو العباس عبد الله البغدادي (ت ٣٠٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٢٧٧. القصائد السبع العلويات: عبد الحميد ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥هـ)، المطبعة أمير، قم ١٤١٨هـ، منشورات دفتر تبليغات المهدي عليه السلام، أصفهان.
٢٧٨. قصص الأنبياء: السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة.
٢٧٩. قصص الأنبياء: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: غلام رضا عرفانيان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٣٧٦ش، منشورات الهادي.
٢٨٠. القصص القرآني، السيد محمد باقر الحكيم، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ، انتشارات المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام.

-ك-

٢٨١. الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة ١٣٦٣ش، الناشر دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.
٢٨٢. كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، جماعة المدرسين، منشورات مؤسسة الفقهية.
٢٨٣. الكامل في التاريخ: عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد

- الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، منشورات دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
٢٨٤. الكامل: ابن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، تحقيق: يحيى مختار عزراوي، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.
٢٨٥. كتاب الزهد: الحسين بن سعيد الكوفي (المتوفى في القرن الثالث الهجري)، تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية قم المقدسة ١٣٩٩هـ.
٢٨٦. كتاب الصلاة (التنقيح في شرح العروة الوثقى): تقريراً لبحث السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، بقلم الميرزا علي الغروي التبريزي، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ، منشورات دار الهادي للمطبوعات، قم المقدسة.
٢٨٧. كتاب الصمت وآداب النفس: ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
٢٨٨. كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، مؤسسة دار الهجرة.
٢٨٩. كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، طباعة ونشر دار الأضواء، بيروت - لبنان.
٢٩٠. كتاب المكاسب: الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ)، إعداد: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، منشورات المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري.
٢٩١. كتاب سليم بن قيس: أبو صادق سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦هـ)، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، غير مؤرخة.

٢٩٢. الكشّاف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)،
سنة الطبع ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م، منشورات شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباب
الحلبي وأولاده بمصر.

٢٩٣. كشف الخفاء: إسماعيل بن محمّد العجلوني (ت ١١٦٢هـ)، الطبعة الثالثة
١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٩٤. كشف الرموز: زين الدين أبو علي المعروف بالفاضل الآبي (ت ٦٩٠هـ)، الطبعة
الأولى ١٤٠٨هـ، تحقيق: الاشتهادي واليزدي، جماعة المدرسين.

٢٩٥. كشف الغمّة: الشيخ علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣هـ)، الطبعة
الثانية ١٤٠٥هـ، دار الأضواء، بيروت.

٢٩٦. كفاية الأثر: الخزّاز القمّي (ت ٤٠٠هـ)، تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني
الكوهكمري الخوئي، المطبعة حيّام، منشورات بيدار، قم المقدّسة.

٢٩٧. الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء: السيد عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٣٧هـ)،
مطبوعة في دار النعمان في النجف الأشرف في ذيل الفصول المهمّة في تأليف الأئمّة
له عليه السلام.

٢٩٨. كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي
(ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة
المدرسين، قم المقدّسة.

٢٩٩. كنز العمال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق:
الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السفاء، مؤسسة الرسالة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م،
بيروت - شارع سوريا.

٣٠٠. كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، الطبعة الثانية ١٣٦٩ش، منشورات المكتبة الحيدرية، قم المقدسة.

٣٠١. الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، مكتبة الصدر طهران، بتقديم محمد هادي الأميني.

٣٠٢. الكوكب الدرّي: الشيخ مهدي المازندراني، انتشارات المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ.

٣٠٣. كيمياء المحبة: سيرة رجب علي الخياط، بقلم الشيخ محمد الريشهري (معاصر).

- ل -

٣٠٤. لب الأثر في الجبر والقدر: محاضرات روح الله الموسوي الخميني (ت ١٤٠٩هـ)، تقرير: الشيخ جعفر السبحاني، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٣٧٧هـ.ش، منشورات مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

٣٠٥. لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة قم - إيران، ١٤٠٥هـ.

٣٠٦. اللهوف: السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، منشورات أنوار الهدى، قم المقدسة.

٣٠٧. لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، مطبعة العرفان صيدا ١٣٣١هـ، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.

٣٠٨. ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: الشيخ عبد الله الحسن (معاصر)، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، الناشر المؤلف.

- م -

٣٠٩. مثير الأحزان: ابن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ)، المطبعة الحيدرية ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م،

النجف الأشرف.

٣١٠. مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية.

٣١١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة عام ١٤٠٨هـ.

٣١٢. مجمع الشعراء: كامل سليمان الجبوري، منشورات محمد عليّ بيضون الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣١٣. مجمع الفائدة والبرهان: المقدّس الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ)، تحقيق: مجتبی العراقي، الشيخ علي پناه الأشتهاردي، حسين اليزدي، منشورات جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

٣١٤. مجمع مصائب أهل البيت (عليه السلام): الشيخ محمد الهنداوي (معاصر)، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، انتشارات المكتبة الحيدرية.

٣١٥. المجموع: محيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ)، منشورات دار الفكر.

٣١٦. مجموعة رسائل: الشيخ لطف الصافي الكلپايگاني (معاصر).

٣١٧. مجموعة ورام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر): أبو الحسن ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري (ت ٦٠٥هـ)، منشورات مكتبة الفقيه، قم المقدّسة.

٣١٨. محاسبة النفس: الشيخ إبراهيم الكفعمي (ت ٩٠٥هـ)، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، منشورات مؤسسة قائم آل محمد (عليه السلام)، قم.

٣١٩. المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٤٧هـ)، تحقيق وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٧٠هـ.

٣٢٠. محاضرات في الإلهيات: الشيخ جعفر السبحاني (معاصر)، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام قم المقدّسة.

٣٢١. المحجّة البيضاء، الملا محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، منشورات جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

٣٢٢. المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، منشورات دار الكتب العلمية.

٣٢٣. المحلّي، ابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، منشورات دار الفكر.

٣٢٤. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٧٢١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣٢٥. مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: الشيخ عزّة الله الهمداني، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، منشورات مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدّسة.

٣٢٦. المراقبات: الشيخ جواد الملكي التبريزي (ت ١٣٤٣ش).

٣٢٧. المزار (ابن المشهدي): الشيخ محمد بن المشهدي (ت ٦١٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، منشورات القيوم، قم المقدّسة.

٣٢٨. المزار: الشيخ محمد بن محمد بن النُّعمان المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: السيد محمّد باقر الأبطحي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، منشورات دار المفيد، بيروت - لبنان.

٣٢٩. مسرّ الشيعة: الشيخ محمد بن محمد بن النُّعمان المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ مهدي نجف، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، منشورات دار المفيد، بيروت -

لبنان.

٣٣٠. المستجاد من الإرشاد: جمال الحقّ والدين: حسن بن المطهر الحلي المشتهر بالعلامة

الحلي (ت ٧٢٦هـ)، منشورات مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم.

٣٣١. مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥هـ)، تحقيق

وتصحيح: نجل المؤلف الحاج الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر

الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٨هـ.

٣٣٢. المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق وإشراف:

يوسف عبد الرحمن المرعشي.

٣٣٣. مستدرك وسائل الشيعة: الشيخ النوري الطبرسي (١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر:

مؤسسة آل البيت عليه السلام، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

٣٣٤. مستطرفات السرائر: ابن إدريس الحليّ (ت ٥٩٨هـ)، تحقيق ونشر: لجنة التحقيق في

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، قم

المقدّسة.

٣٣٥. مستند الشيعة: المولى أحمد النراقي (ت ١٢٤٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت

لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مشهد المقدّسة.

٣٣٦. مسكّن الفؤاد: الشيخ زين الدين الجبعي العاملي المعروف بالشهيد الثاني

(ت ٩٦٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث الطبعة الأولى، قم

المقدّسة.

٣٣٧. مسند ابن راهويه: إسحاق ابن راهويه (ت ٢٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الغفور

عبد الحقّ حسين برد البلوسي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة.

٣٣٨. مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ)، منشورات دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٣٣٩. مسند أبي يعلى الموصلي: أبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، منشورات دار المأمون للتراث.
٣٤٠. مسند أحمد: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان.
٣٤١. مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٩هـ)، تحقيق وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٤٢. مسند الشهاب: ابن سلامة (ت ٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
٣٤٣. مسند زيد بن علي: زيد بن علي عليه السلام (ت ١٢٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.
٣٤٤. مشرعة بحار الأنوار: الشيخ محمد آصف محسني، انتشارات مكتبة العزيزي، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
٣٤٥. مشكاة الأنوار: أبو الفضل علي الطبرسي (المتوفى القرن السابع)، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.
٣٤٦. مصادقة الإخوان: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، إشراف: السيد علي الخراساني الكاظمي، منشورات مكتبة الإمام صاحب الزمان عليه السلام العامة، الكاظمية - العراق، ليتوغراف الكرمانى قم - عشق علي ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٣٤٧. مصباح المتهجد: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، الطبعة الأولى

- ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، منشورات مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان.
٣٤٨. المصباح: الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الحسن بن محمد بن صالح العاملي الكنعني (ت ٩٠٥هـ)، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
٣٤٩. المصنّف: ابن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: سعيد اللحام، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.
٣٥٠. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ)، تحقيق: ماجد أحمد العطية.
٣٥١. معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول: الزرندي الشافعي (ت ٧٥٠هـ)، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية.
٣٥٢. معارج اليقين في أصول الدين: الشيخ محمد بن محمد السبزواري (المتوفى في القرن السابع)، تحقيق: علاء آل جعفر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٣م، منشورات مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث - قم المقدّسة.
٣٥٣. معالي السبطين: الشيخ محمد مهدي الحائري (ت ١٣٦٩هـ)، منشورات المكتبة الحيدرية والشريف الرضي، قم المقدّسة.
٣٥٤. معاني الأخبار: الشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة ١٣٧٩هـ.
٣٥٥. معاني القرآن: أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٥٦. المعتمر: نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن المشهور بالمحقق الحلي (ت ٦٧٦هـ)، حققه وصحّحه: عدة من الأفاضل، مؤسسة سيد الشهداء، ١٣٦٤ش.

٣٥٧. المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق ونشر: قسم التحقيق بدار الحرمين ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٣٥٨. معجم البلدان: ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٣٥٩. معجم الشعراء: كامل سلمان الجبوري، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣٦٠. المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق وتخرج: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، منشورات دار إحياء التراث العربي، تحقيق السيد أحمد الحسيني.

٣٦١. معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، طبعة منقحة ومزودة.

٣٦٢. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

٣٦٣. معدن الجواهر: أبو الفتح بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.

٣٦٤. مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ، قم المقدسة.

٣٦٥. مغني المحتاج: الشيخ محمد الشربيني الخطيب (ت ٩٧٧هـ)، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.
٣٦٦. المغني: عبد الله بن قدامة (ت ٦٢٠هـ)، منشورات دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
٣٦٧. مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القُصَي (ت ١٣٥٩هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
٣٦٨. مفاتيح الدموع: الشيخ محمد سعيد المنصوري (ت ١٤٢٨هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، الناشر: ولده المرحوم عبد الحسين المنصوري.
٣٦٩. مفردات غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، منشورات دفتر نشر الكتاب.
٣٧٠. مقاتل الطالبين: أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، منشورات المكتب الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف.
٣٧١. مقتل الحسين (عليه السلام): أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي الغامدي (ت ١٥٧هـ)، تحقيق: الميرزا حسن الغفاري، المطبعة العلمية، انتشارات المرعشي النجفي، طبعة عام ١٣٩٨هـ، قم المقدسة.
٣٧٢. مقتل الحسين (عليه السلام): العلامة السيد عبد الرزاق المرقم (ت ١٣٩١هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٣٧٢ش، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة.
٣٧٣. مقدمة في أصول الدين: الخراساني، الشيخ حسين الوحيد (معاصر)، مجهولة.
٣٧٤. المقنع: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، منشورات مؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام) ١٤١٥هـ.

٣٧٥. المقنعة: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان البغدادي العكبري المشهور المفيد (ت ٤١٣هـ)، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

٣٧٦. مكارم الأخلاق: ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، منشورات مكتبة القرآن، القاهرة.

٣٧٧. مكارم الأخلاق: الحسن بن الفضل بن حسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي - قم المقدّسة، الطبعة السادسة ١٣٩٢هـ.

٣٧٨. مكيال المكارم: أبو عبد الله ميرزا محمد تقي الموسوي الأصفهاني (ت ١٣٤٨)، تحقيق: السيد علي عاشور، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، بيروت - لبنان.

٣٧٩. الملاحم والفتن: السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، منشورات صاحب الأمر عليه السلام.

٣٨٠. من أخلاق الإمام الحسين: عبد العظيم المهدي البحراني (معاصر)، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدّسة.

٣٨١. مَنْ لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، منشورات مؤسسة جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

٣٨٢. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف سنة الطبع ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

٣٨٣. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: محمد بن سليمان الكوفي، من أعلام القرن الثالث،

- تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدّسة.
٣٨٤. المناقب: الموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.
٣٨٥. المنتخب: الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة.
٣٨٦. منتقى الجمان: جمال الدين أبو منصور الحسن بن زين الدين الشهيد (ت ١٠١١هـ)، صححه وعلّق عليه: على أكبر الغفاري، الطبعة الأولى ١٣٦٢ش، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم المقدّسة.
٣٨٧. منتهى الآمال: الشيخ عبّاس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، ترجمة السيد هاشم الميلاني، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرّسين قم المقدّسة.
٣٨٨. منتهى المطلب: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدّسة.
٣٨٩. منهاج الصالحين: السيد أبو القاسم الخوئي (١٤١٣هـ)، الطبعة الثانية والعشرون ١٤١٠هـ، منشورات مدينة العلم آية الله الخوئي، قم المقدّسة.
٣٩٠. منهاج الكرامة: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: عبد الرحيم مبارك، الطبعة الأولى ١٣٧٩ش، منشورات تاسوعاء، مشهد المقدّسة.
٣٩١. منية المريد: الشيخ زين الدين بن علي العاملي، المعروف بالشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ)، تحقيق: رضا المختاري، الطبعة الأولى ١٤٠٩ / ١٣٦٨ش، منشورات مكتب الإعلام

الإسلامي.

٣٩٢. مواقف الشيعة: الأحمدى الميانجي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

٣٩٣. المواقف: الأيجي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، منشورات دار الجليل، بيروت - لبنان.

٣٩٤. موسوعة كلمات الإمام الحسين: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، دار المعروف للطباعة والنشر.

٣٩٥. ميزان الحكمة: الشيخ محمد الري شهري، نشر دار الحديث، الطبعة الأولى.

٣٩٦. نخبة الثّالي: محمد بن سليمان الحلبي (ت ١٢٢٨هـ)، منشورات مكتبة الحقيقة، إسطنبول - تركيا.

- ن -

٣٩٧. النزاع والتخاصم: تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: السيد علي عاشور.

٣٩٨. نزهة الناظر وتنبية الخاطر: الحسين بن محمد بن الحسن الحلواني (المتوفى في القرن الخامس الهجري)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، قم المقدّسة.

٣٩٩. النصّاريات الكبرى: الشّيخ مُحمّد بن نصّار، منشورات المكتبة الحيدريّة، قم المقدّسة.

٤٠٠. نظرة إلى حياة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، انتشارات السيدة المعصومة عليها السلام، قم المقدّسة، بدون تاريخ.

٤٠١. نظم درر السمطين: جمال الدين الزرندي الحنفي (ت ٧٥٠هـ)، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

٤٠٢. نفحات الولاء: السيد جاسم الكربلائي الطويرجاوي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، المطبعة محمد.

٤٠٣. نهاية المرام: السيد محمد العاملي (ت ١٠٠٩هـ)، تحقيق: آغا مجتبی العراقي، علي پناه الاشتهاري، آقا حسين اليزدي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، منشورات جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

٤٠٤. النهاية في غريب الحديث: المبارك بن محمد مجد الدين ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناجي، الطبعة الرابعة ١٣٦٤ش، منشورات مؤسسة إسماعيليان، قم المقدّسة.

٤٠٥. النهاية: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، انتشارات قدس محمدي، قم المقدّسة.

٤٠٦. نهج الإيمان: ابن جبر زين الدين علي بن يوسف بن جبر، من أعلام القرن السابع الهجري، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، منشورات مجمع الإمام الهادي عليه السلام مشهد المقدّسة.

٤٠٧. نهج البلاغة: الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام المستشهد سنة (٤٠هـ)، تحقيق الشيخ محمد عبدة، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٤٠٨. نهج السعادة: الشيخ المحمودي (معاصر)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٤٠٩. نواذر المعجزات: الشيخ الطبري الإمامي (المتوفى في القرن الرابع الهجري)، الطبعة

- الأولى ١٤١٠هـ، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة.
٤١٠. نور الأبصار: الشيخ محمد مهدي المازندراني، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة.
٤١١. نور البراهين: السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مطبعة ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين.
٤١٢. النور المشتعل: الحافظ أحمد بن عبد الله، المعروف بأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، تقديم: محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، منشورات وزارة الإرشاد.

-ه-

٤١٣. الهداية الكبرى: الحسين بن حمدان الخصبي (ت ٣٣٤هـ)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، منشورات المكتبة الحيدرية، قم المقدسة.

-و-

٤١٤. الوافي بالوفيات: خليل بن أبيك الصلاح الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، منشورات دار إحياء التراث ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، بيروت-لبنان.
٤١٥. وسائل الشيعة: الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، المطبعة مهر، قم المقدسة.
٤١٦. وصايا الرسول لزوج البتول: السيد علي الحسيني الصدر، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، انتشارات دار الإمام الرضا عليه السلام.

٤١٧. وظيفة الأنام: آية الله الميرزا محمد تقي الأصفهاني، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

٢٠٠١م، رابطة أهل البيت عليه السلام الإسلامية العالمية.

٤١٨. وفيات الأعيان: ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

٤١٩. وفيات الأئمة: مجموعة علماء معاصرين، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، منشورات دار البلاغة، بيروت.

٤٢٠. وقعة صفين: ابن مزاحم المتقري (ت ٢١٢هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ، منشورات المؤسسة العربية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

- ي -

٤٢١. يتيمة الدهر: أبو منصور عبد الملك الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: الدكتور مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٤٢٢. اليقين: السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: الأنصاري، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، منشورات مؤسسة دار الكتاب (الجزائري).

٤٢٣. ينابيع المعاجز: السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، المطبعة العلمية، قم المقدسة.

٤٢٤. ينابيع المودة: سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ)، تحقيق: السيد علي جمال أشرف، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، منشورات دار الأسوة للطباعة والنشر.

المحتويات

٩	المحاضرة الأولى: شهرُ الله.....
١٩	المحاضرة الثانية: وظائف الرسول الأكرم ﷺ.....
٢٩	المحاضرة الثالثة: الانقياد لرسول الله ﷺ.....
٤١	المحاضرة الرابعة: تقوى الله تعالى والإيمان برسوله ﷺ وآثارهما.....
٥٣	المحاضرة الخامسة: الجانب الإنساني في شخصية الرسول الأكرم ﷺ وأثره على الناس.....
٦٣	المحاضرة السادسة: الأسلوب القرآني في الدعوة إلى الله تعالى.....
٧٣	المحاضرة السابعة: أبو طالب عليه السلام مؤمنٌ مكتملُ الإيمان.....
٨٥	المحاضرة الثامنة: القرآن.. أحسن الحديث وربيع القلوب.....
٩٧	المحاضرة التاسعة: سؤالُ المؤؤودة.....
١٠٩	المحاضرة العاشرة: النساء الكُمل.....
١١٩	المحاضرة الحادية عشرة: السيِّدة الزهراء عليها السلام على لسانها.....
١٢٧	المحاضرة الثانية عشرة: اصطفاء الزهراء عليها السلام أمرٌ من السماء / القسم الأول.....
١٣٧	المحاضرة الثالثة عشرة: اصطفاء الزهراء عليها السلام أمرٌ من السماء / القسم الثاني.....
١٤٥	المحاضرة الرابعة عشرة: اصطفاء الزهراء عليها السلام أمرٌ من السماء / القسم الثالث.....
١٥٧	المحاضرة الخامسة عشرة: دررٌ من سيرة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.....

المحاضرة السادسة عشرة: الضابطة في الإمامة وكيفية الدلالة على الإمام عليه السلام	١٦٩
المحاضرة السابعة عشرة: معركة بدر الكبرى.....	١٧٩
المحاضرة الثامنة عشرة: الوقاية من النار.....	١٨٩
المحاضرة التاسعة عشرة: سكرات الموت.....	٢٠٣
المحاضرة العشرون: كيف ننقل ميزاننا.....	٢١٥
المحاضرة الحادية والعشرون: العلم الدني والعلم المستفاد.....	٢٢٥
المحاضرة الثانية والعشرون: طلب الهداية للصراط.....	٢٣٣
المحاضرة الثالثة والعشرون: القرض، ثوابه وأحكامه.....	٢٤٣
المحاضرة الرابعة والعشرون: سيرة الإمام الصادق عليه السلام	٢٥٣
المحاضرة الخامسة والعشرون: المدح والثناء وآثارهما.....	٢٦١
المحاضرة السادسة والعشرون: الجهاد: أهميته، أقسامه.....	٢٧١
المحاضرة السابعة والعشرون: حمل الأمانة وأداؤها.....	٢٨١
المحاضرة الثامنة والعشرون: وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام للشيعه.....	٢٩١
المحاضرة التاسعة والعشرون: الفوائد التربوية لزيارة سيّد الشهداء عليه السلام	٣٠٣
المحاضرة الثلاثون: المهديّ حقٌّ وحقيقةٌ.....	٣١٣
فهرست المصادر.....	٣٢٣
المحتويات.....	٣٧٣